الحالم الغامض

دكستر

تم تحويله لمُسلسل تليفزيوني كبير حاز على العديد من الجوائز

قاتِل متسلسل لديه قلب كبير...

كُن مُمتنًا أنه لا يخصَّك

جيف ليندسي

ترجمة محمد عصمت



ديكستر الغامض الحالم

ليندسي ، جيف
ديكستر الغامض الحالم: رواية /جيف ليندسي.
ترجمة : محمد عصمت.
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2022.
320 صفحة، 20 سم.
تدمك : 6-108-820-977-978
ا- القصص الأمريكية
أ- محمد عصمت (مترجم)
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 23748 / 2021
الطبعة الأولى : يناير 2022.

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

DARKLY DREAMING DEXTER

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com

ديكستر الغامض الحالم

مكتبة | سُر مَن قرأ

تأليف: جيف ليندسي

ترجمة: محمد عصمت

رواية



كيان للنشر والتوزيع



اعتراف

كتابة هذا العمل لم تكُن مُمكِنة دون المُساعدة التقنية، والروحية السخيّة من أينشتاين والشمَّاس، اللذين يُمثلان شُرطة ميامي أفضل تمثيل، واللذين علَّماني بعض الأمور عن كيفية القيام بعملٍ صعبٍ في بيئة أكثر صعوبة.

أود كذلك أن أشكر عددًا من الناس الذين تقدَّموا ببعض الاقتراحات المُفيدة للغاية، ولا سيما زوجتي، باركليز، خوليو، دكتور أ. لـ فرويندليتش وزوجته، بوكي، بير، وتينكي.

كما أنني مدين بشدة لجيسون كوفمان لحكمته وبصيرته في صياغة هذا الكتاب.

كذلك أود شكر دوريس، صاحبة الضحكة الأخيرة.

وشكر خاص جدًّا لنيك إليسون، الذي يتمتَّع بكُل صفات الوكيل، لكنه لم يكُن كذلك يومًا.

الفصل الأول

قمـر، قمـر مهيـب، قمـر كبـير محمـرٌ كامِـل، ينـير الليـل كالنهـار، يفيـض ضـوؤه عـلى الأرض ويجلـب الفـرح، والسـعادة، يجلـب كذلِـك دعـوات صادِقـة مـن القلـب لتُحلِّـق في الليـالي الاسـتوائية، يطفـو صـوت الريـاح البرِيـة الناعمـة خـلال الشـعر الموجـود عـلى ذراعِـك، تسـمَع صـوت نحيبهـا المجـوَّف، كـما تسـمَع صـوت طحـين الأسـنان تحـت ضـوء القمـر قبالـة المـاء.

يـصرُخ مـن أجـل احتياجاتـه، سـيمفونية صراخ مكوَّنـة مـن آلاف الأصـوات المُختبِئـة، صراخ الاحتياجـات الداخليـة، الكيـان، المُراقِـب الصامِـت، الـشيء البـارِد الهـادئ، الـذي يضحَـك، الراقِـص تحـت القمـر، أنـا.. الـذي ليـس أنـا، الـشيء الـذي يسـخَر ويضحَـك والـذي أتى مُعلنًـا عـن جوعـه، عـن احتياجاتـه، التـي كانَـت قويـة الآن، شـديدة الحـذر، بـارِدة، مُلتفَّـة، زاحِفـة، مُتصدِّعـة، مُسـتعِدة، وجاهـزة، قويـة للغايـة، وجاهـزة جـدًا الآن، وعـلى الرغـم مـن ذلـك.. مـا زالـت تنتظِـر وتُراقِـب، وتُجـبرني عـلى الانتظـار والمُراقبـة.

كُنـت أنتظِـر وأراقِـب الكاهِـن منـذ خمسـة أسـابيع حتـى الآن، وكانـت الرغبـة تسـتفزني وتنكـزني، تضغـط عـليّ لأجـد واحـدة، لأجـد التاليـة، لأجـد هـذا الكاهِـن.

لمُـدة ثلاثـة أسـابيع كُنـت أعلـم أنـه هـو، هـو التـالي، نحـن ننتمـي للراكِـب المُظلِـم، أنـا وهـو معًـا، وطـوال تلـك الأسـابيع الثلاثـة كُنـت أقـاوِم الضغـط، والحاجـة المُتناميـة التـي ترتفِـع فوقـي كموجـة عملاقـة ترتفِـع وتـزأر فـوق الشـاطئ دون أن تنحسِـر، تتضخَّـم فقـط مـع كُل دقَّـة سـاعة مـن سـاعات الليـل المُشرِق.

لكنـه كان وقتًـا حـذرًا كذلِـك، الوقـت الـذي قضيتـه لأتأكَّـد، ليـس لأتأكَّـد مـن الكاهِـن بالطبـع، لا، كُنـت مُتأكِّـدًا منـه منـذ وقـت طويـل، الوقـت الـذي قضيتـه لأتأكَّـد مـن قـدرتي عـلى القيـام بالأمـر بطريقـةٍ صحيحـةٍ، بشـكلٍ أنيـقٍ، لأتأكَّـد أن جميـع الزوايـا مطويَّـة، كُلهـا مُرتَّبـة جيـدًا، لا يُمكننـي المُخاطـرة بـأن يتـم القبـض عـليّ، ليـس الآن، لقـد عملـت بجـدٍّ، لفـترةٍ طويلـةٍ، لأضمَـن هـذا العمـل، لأحمـي حيـاتي الصغـيرة السـعيدة.

وكُنت أحظى بالكثير من المرح لأتوقَّف الآن.

لطالمـا كُنـت حـذرًا، لطالمـا كُنـت مرتبًـا، لطالمـا كُنـت مُسـتعدًا بشـكلٍ يسـبق الوقـت، كي يكـون كُل شيء عـلى مـا يُـرام، وحـين يكـون كُل شيء عـلى مـا يُـرام، آخـذ وقتًـا إضافيًـا لأتأكَّـد مـن ذلـك، كانـت هـذه طريقـة هـاري، بـارَك اللـه فيـه، ذلـك الشُّرطـي المثـالي صاحِـب النظـرة البعيـدة، والـدي بالتبنـي، لتبقـى واثِقًـا دائمًـا، لتبقـى حـذرًا، كُـن عـلى يقـين، هكـذا كان يقـول دومًـا، مـن أن كُل شيء يتـم عـلى طريقـة هـاري قـدر الإمـكان، وحـين تركـت العمـل في تلـك الليلـة، كُنـت أعلـم أنهـا هـي، هـذه الليلـة هـي المنشـودة، بـدت الليلـة مُختلِفـة، هـذه الليلـة التـي سيحدُث فيهـا الأمـر، يجـب أن يحـدُث، مثلـما حَـدَث مـن قبـل، ومثلـما سـيحدث مـرة أخـرى، وأخـرى.

والليلة، سيحدُث الأمر للكاهِن.

كان اسـمه الأب دونوفـان، وكان يقـوم بتدريـس الموسـيقى للأطفـال في دار أيتـام سـانت أنتـوني في هومسـتيد، فلوريـدا، أحبـه الأطفـال، وبالطبـع أحـب الأطفـال، أحبهـم للغايـة في الواقِـع، لقـد كـرَّس حياتـه بأكملهـا مـن أجلهـم، ليعلمهـم الغنـاء واللغـة الإسـبانية، وليعلمهـم الموسـيقى كذلِـك، فعـل كُل شيء مـن أجـل الأطفـال، وكُل شيء فعلـه.. كان مـن أجـل الأطفـال.

كُل شيء.

راقبتـه تلـك الليلـة مثلـما راقبتـه لليـالٍ عديـدةٍ مـن قبـل، راقبتـه وهـو يتوقَّـف عـلى بـاب دار الأيتـام، توقَّـف ليتحـدَّث لفتـاة صغـيرة سـوداء كانـت قـد لحقـت بـه للخـارِج، كانـت صغـيرة، لا يتجـاوز سـنها ثمـاني سـنوات رغـم أنهـا تبـدو أصغـر مـن ذلـك، جلـس عـلى الـدرج وتحـدَّث معهـا لمُـدة خمـس دقائـق، جلسـت بدورهـا، وأخـذت تتحـرَّك صعـودًا وهبوطًـا، ضحـكا معًـا، انحنَـت نحـوه، لمـس شـعرها، قبـل أن تظهـر راهبـة وتقـف في المدخَـل، نظـرت إليهـما للحظـةٍ قبـل أن تتحـدَّث، ثـم ابتسـمت وعقـدت يديهـا، قرَّبـت الفتـاة رأسـها مـن الكاهِـن، فاحتضنهـا الأب دونوفـان، قبـل أن يقِـف ويُقبِّلهـا مُتمنيًـا لهـا ليلـة سـعيدة، ضحكـت الراهبـة وقالـت شـيئًا مـا لـلأب دونوفـان، فـرد عليهـا بـشيءٍ آخـر.

ثم بدأ التحرُّك نحو سيارته، في النهاية: كُنت مُستعدًّا للهجوم و...

ليـس بعـد، وقفـت شـاحنة النظافـة الصغـيرة عـلى بُعـد خمسـة عـشر قدمًـا مـن البـاب، عبرهـا الأب دونوفـان، قبـل أن يُفتَـح بابهـا الجـرّار، ظهـر مـن خلفـه رجـل ينفُـخ سـيجارته، حيَّـا الكاهِـن الـذي وقـف أمـام الشـاحِنة واسـتند إليهـا وهـو يتحـدَّث مـع الرجـل.

الحـظ، الحـظ مـرة أخـرى، دائمًـا مـا يكـون الحـظ في تلـك الليـالي، لم أر الرجـل، ولم أخمِّـن كذلـك أنـه كان هنـاك، لكنـه كان لـيراني، لـولا الحظ.

أخذت نفسًا عميقًا، تركته يخرُج ببطءٍ، بثباتٍ، وبرودةٍ كالثلج.

لقـد كان شـيئًا واحـدًا صغـيرًا، لم أفـوِّت أي أشـياء أخـرى، لقـد فعلـت كُل شيء عـلى مـا يُـرام، كُلهـا بنفـس الطريقـة، كـما يجـب أن تتـم، كُل شيء سـيكون عـلى مـا يُرام.

الآن.

تحـرّك الأب دونوفـان نحـو سـيارته مـرة أخـرى، اسـتدار مـرة واحـدة وقـال شـيئًا مـا، لـوّح لـه عامِـل النظافـة مـن عـلى بـاب دار الأيتـام، قبـل أن يُلقـي سـيجارته بالخـارج ويختفـي داخِـل المبنـى، ذَهَـبَ.

الحظ، الحظ مرة أخرى.

بحـث الأب دونوفـان عـن مفاتيحـه، فَتَـح بـاب سـيارته، ودخلهـا، سـمعت المفتـاح يدخُـل، وسـمعت المُحـرّك يعمَـل، وبعـد ذلـك..

الآن.

جلسـت في المقعـد الخلفـي، ولففـت الحبـل حـول عنقـه، في حركـةٍ سريعـةٍ، شـعر بلفائـف حبـل الصيـد الـذي يبلُـغ وزنـه خمسـين رطـلًا وهـو يضيـق، صـدر منـه صـوت صغـير مذعـور وكان هـذا كُل شيء.

أخبرته: "أنت ملكي الآن».

تجمَّـد تمامًـا كـما لـو أنـه تـدرَّب عـلى هـذا مـن قبـل، كـما لـو كان قـد سَـمِع الصـوت الآخـر، المُراقِـب الضاحِـك الموجـود بداخلي.

قُلت له: "افعل ما أقوله بالضبط".

تنفَّـس نصـف نفـس ونظـر نحـوي في مـرآة الرؤيـة الخلفيـة، كان وجهـي هنـاك بانتظـاره، ملفوفًـا بقنـاع مـن الحريـر الأبيـض لم يُظهِـر سـوى عينـيّ.

سألته: "هل تفهَم؟".

شعرت بملمس الحرير الناعِم على شفتي وأنا أتحدَّث.

لم ينطِق الأب دونوفان بكلمةٍ، حدَّق في عينيّ، سحبت الحبل.

كرَّرت حديثي بصوتٍ أكثر خفوتًا: "هل تفهم؟".

هـذه المـرة.. أومـأ، حـرّك يـده عـلى الحبـل الـذي يخنقـه، غـير واثِـق مـما سـيحدُث لـو حـاول تخفيفـه، كان وجهـه قـد تحـوّل إلى اللـون الأرجـواني.

أرخيـت الحبـل قليـلًا وأنـا أقـول: "كُـن جيـدًا، وسـتعيش لوقـتٍ أطـول".

أخـذ نفسًـا عميقًـا، كُنـت قـادرًا عـلى سـماع صـوت الهـواء وهـو يدخُـل إلى حلقـه، سـعل قبـل أن يعـود للتنفُّـس مـرة أخـرى، لكنـه ظـلَّ جالسًـا في سـكون، ولم يحـاوِل الهـرب.

كان هذا جيدًا للغاية.

قدنـا السـيارة، اتبـع الأب دونوفـان تعليـماتي، دون حيـل، دون تـردُّد، قدنـا السـيارة جنوبًـا نحـو مدينـة فلوريـدا، سـلكنا طريـق كارد سـاوند، كان بإمـكاني أن أعـرف أن هـذا الطريـق جعلـه عصبيًـا، لكنـه لم يعـترِض، لم يحـاول التحـدُّث معـي، أبقـى كلتـا يديـه عـلى عجلـة القيـادة، شـاحبة ومُتعرِّقـة، قبـض عليهـا بشـدة لدرجـة أن مفاصِـل أصابعـه ابيضَّـت، كان هـذا بـدوره جيـدًا جـدًا.

قدنـا السـيارة جنوبًـا لخمـس دقائِـق أخـرى في صمـت باسـتثناء صـوت صريـر الإطـارات، وصـوت الريـاح، بينـما صَنَـع القمـر العظيـم مـن فوقنا موسـيقاه الجبَّـارة داخِـل عروقـي، بينـما كان المُراقِـب الحريـص يضحَـك بهـدوء في جنـح الليـل الثابِـت.

قُلت أخيرًا: "استدِر هنا".

تطلَّـع الكاهِـن إليّ في المـرآة، يحـاول الذعـر التقافُـز مـن عينيـه، وصولًا لأسـفل وجهـه، نحـو فمـه مـن أجـل أن يتحـدَّث، لكن...

قُلت: "استدر".

وهكـذا فعـل، كـما لـو أنـه كان يتوقَّـع هـذا طـوال الوقـت، كـما لـو أنـه في انتظـار هـذا طـوال الوقـت، اسـتدار.

كان الطريـق الـتُّرابي الصغـير بالـكاد مرئيًـا، كان يجـب أن تعـرف أنـه هنـاك، لكننـي عرِفـت، كُنـت هنـا مـن قبل، يمتـد الطريـق لمسـافة ميلين

ونصف، ينحني ثلاث مرات، يمتد من خلال العُشب المُنتشِر، عبر الأشجار، جنبًا إلى جنب مع قناة صغيرة، في عُمق المُستنقع قبل أن يصل لمساحة خالية.

قبل خمسين عامًا، بنى شخص ما منزلًا، ما زال مُعظمه موجودًا، كان كبيرًا على ما كان عليه، ثلاث غُرف، نصف السقف ما زال موجودًا، لكن المكان أصبح مهجورًا الآن ومنذ عدة سنوات.

باستثناء حديقة الخضراوات الصغيرة القديمة الموجودة في الفناء الجانبي، كانت هناك علامات على أن شخصًا ما كان يحفر هناك مؤخرًا.

قُلت بينما كانت مصابيح السيارة الأمامية مُثبَّتة على المنزل المُتداعي: "أوقِف السيارة".

أطاع الأب دونوفان الأمر في بطءٍ، كان الخوف قد سيطر على جِيده الآن، كانت أطرافه وأفكاره في حالة تجمُّد تام.

قُلت: "أطفئ المُحرك".

وكذلك فعل، وفجأة.. كان المكان هادئًا تمامًا.

بعض الأشياء الصغيرة كانت تتحرك بالقُرب من شجرة ما، حرَّكت الرياح بعض العُشب، قبل أن يسود المزيد من الهدوء، كان الصمت عميقًا للدرجة التي جعلته قادرًا على إغراق هدير الموسيقي الليلية التي كانت تعصف في نفسي السريَّة.

قُلت له: "اخرج".

لم يتحرك الأب دونوفان، ظلَّت عيناه مُثبّتتين على حديقة الخضراوات.

سبعة تلال صغيرة فوق الأرض كانت واضحة للعيان هناك، بدت التُّربة مُظلِمة للغاية في ضوء القمر، ولا بد أنها قد بدت أكثر

قتامة بالنسبة للأب دونوفان، ورغم ذلك.. لم يتحرك.

جذبت الحبل بقوة، أكثر مما ظننت أنه بإمكانه العيش من خلاله، أكثر مما كان يعرِف أنه من المُمكِن أن يحدُث له، تقوَّس ظهره على المقعد، ظهرت الأوردة في جبينه، ظنَّ أنه على وشك الموت.

لكنه لم يكُن كذلك، ليس بعد، ليس لبعض الوقت في الواقع.

ركلت باب السيارة لأفتحه وجذبته للخارج من بعدي، فقط لأجعله يشعُر بقوتي، تعثَّر في الطريق التُّرابي، وسَقَطَ وهو يتلوى كثُعبان مُصاب، ضحك الراكِب المُظلِم وأحب ذلك، قرَّرت القيام بذلك الدور، وضعت قدمي فوق صدر الأب دونوفان، وأمسكت بالحبل الذي يخنقه.

قُلت له: "عليك أن تسمع وتفعل ما أقوله، عليك أن تفعل هذا".

انحنيت نحوه وأنا أخفِّف من قبضتي على الحبل، وقُلت: "يجب أن تعرِف ذلك، إنه أمر مهم".

كان مُنصِتًا، عيناه المليئتان بالدم والألم بدأتا في ذرف الدموع على وجهه، التقت عيناه بعينيّ في اندفاعٍ مليء بالتفاهُم، جميع الأشياء التي كان لا بُد من حدوثها، كانت موجودة الآن ليراها، رآها.. وعَرِف كم كان مُهمًّا بالنسبة له أن يكون مُحِقًّا، بدأ يعرِف.

أمرته: "انهض الآن".

وببطء، ببطءٍ شديدٍ، وعيناه مُثبّتتان في عينيّ، نهض الأب دونوفان، وقفنا بهذه الطريقة لوقتٍ طويلٍ، عينانا مُلتقيتان، تحولنا لشخصٍ واحدٍ برغبةٍ واحدةٍ، ثم ارتعد، رفع يده إلى نصف الطريق نحو وجهه، وأسقطها مرة أخرى.

وبصوتٍ خافتٍ قُلت: "في المنزل".

في المنزل حيث كُل شيء جاهز.

خفض الأب دونوفان عينيه، رفعهما نحوي لكنه لم يعُد قادرًا على النظر، التفت نحو المنزل لكنه توقَّف حين رأى الأكوام التُّرابية الداكنة الموجودة في الحديقة، أراد أن ينظُر نحوي، لكنه لم يستطِع، ليس بعد أن رأى الأكوام التُّرابية السوداء تلتمِع تحت ضوء القمر مرة أخرى.

بدأ بالتحرُّك نحو المنزل، أمسكت بمقوده، تحرَّك بطاعةٍ، رأسه مُنكَّس إلى الأسفل، ضحية جيدة مُطيعة، فوق الدرجات الخمس المُحطَّمة، عبر الشُّرفة الضيقة نحو الباب الأمامي، المُغلَق بقوة، توقَّف الأب دونوفان، لم ينظُر للأعلى، لم ينظُر نحوي.

قُلت بصوتٍ آمرٍ خفيض: "ادخل من الباب".

لكن الأب دونوفان ارتعد، قُلت مرة أخرى: "ادخُل من الباب الآن".

لكنه لم يستطِع.

مِلت نحوه ودفعت الباب لأفتحه، دفعت الكاهِن للداخِل بقدمي، تعثَّر، لكنه تمالك نفسه، ووقف في الداخِل تمامًا، عيناه مُغلقتان بشكلٍ ضيقٍ.

أغلقت الباب، كُنت قد تركت مصباحًا يعمل بالبطارية بجانِب الباب، أمسكت به وفتحته.

همست: "انظُر".

وببطءٍ شديدٍ، وبحرصٍ بالغٍ، فتح الأب دونوفان عينًا واحدةً قبل أن يتجمَّد.

توقَّف الزمن بالنسبة للأب دونوفان.

قال: "لا".

فقُلت: "نعم".

قال: "أوه، لا».

فأجبته: "أوه، نعم».

صرخ: "لا!".

جذبت الحبل الخانِق، قُطِعت صرخته وهو يسقُط على ركبتيه، أصدر صوت همس مكتوم وهو يغطي وجهه، قُلت: "أجل، إنها فوضى رهيبة، أليس كذلك؟".

استخدم وجهه بالكامِل من أجل إغلاق عينيه، لم يقدر على النظر، ليس الآن، وليس هكذا، لم ألُمه، ليس حقًّا، كانت فوضى رهيبة، لقد أزعجني فقط أن أعرِف أنها كانَت هناك منذ قُمت بإعدادها من أجله، لكن كان عليه أن يراها، كان عليه أن يفعَل، ليس فقط من أجلي، ليس فقط من أجل الراكِب المُظلِم، بل من أجله، كان عليه أن يرى، بينما لم يكُن ينظُر.

قُلت: "افتح عينيكَ أيها الأب دونوفان".

قال في صوتٍ خفيضٍ مُرتعِد: "أرجوك".

لقد أثار أعصابي بشكلٍ سيئ للغاية، لا ينبغي لهذا أن يحدُث، ينبغي أن أتحكَّم في أعصابي نظيفة وباردة كالثلج، لكنه أثَّر عليّ، أنَّ في وجه تلك الفوضى الموجودة على الأرض، ركلت ساقيه من تحته، جذبت الحبل الخانِق بقوة وأنا أضغط على الجزء الخلفي من رقبته بيدي اليُمنى، ثم اصطدَم وجهه بقوة في ألواح الأرضية المشوَّهة القذرة، كان هناك القليل من الدماء، وهذا جعلني أكثر غضبًا.

قُلت: "افتحهما، افتح عينيكَ، افتحهما الآن، وانظر".

جذبت شعره ورأسه للخلف، قُلت: "افعل مثلما تؤمَر، انظُر، أو سأقطَع جفنيك من على وجهك".

كُنت مُقنعًا للغاية، لذلك امتثَل للأمر، فعل ما أُمِر به، ونظر.

لقد عملت بجدٍّ لتصحيح الأمر، لكن عليكَ أن تستخدِم ما يجب أن تعمل به، لم أكُن لأستطيع القيام بالأمر لو لم يكونوا هناك لفترةٍ كافيةٍ ليجف كُل شيء، لكنهم كانوا قذرين للغاية، كُنت قد تمكَّنت من تنظيف مُعظَم الأوساخ، لكن بعض الأجساد كانت في الحديقة لفترةٍ طويلةٍ جدًّا، لدرجة أنه لم يكُن بإمكانِك معرفة أين تبدأ الأوساخ وأين ينتهي الجسد، لن يُمكِنك أن تعرف ذلك أبدًا، ربما فقط عندما تتوقَّف للتفكير في الأمر، قذرة للغاية.

كان هناك سبعة منهم، سبع جُثث صغيرة، سبعة أطفال يتامى قذرون للغاية وضعوا على ملاءات دُش مطاطية، التي كانت أكثر أناقة ولا تسمَح بالتسريب، سبعة خطوط مُستقيمة تُشير إليه مُباشرةً عبر الغُرفة.

تُشير إلى الأب دونوفان مُباشرةً، لذلك عَلِم.

كان على وشك الانضمام إليهم.

بدأ بالصلاة: "السلام لكِ يا مريم، يا مُمتلِئة نعمة...".

جذبت الحبل الخانِق بقوة وأنا أقول: "لا شيء من هذا القبيل يا أبتاه، ليس الآن. الآن للحقيقة الكاملة".

اختنق وهو يقول: "من فضلك".

جذبت الحبل مرة أخرى وأنا أقول: "أجل، توسَّل لي، هذا جيد، هذا أفضل بكثيرٍ، هل تعتقد أن هذا هو كُل شيء يا أبتاه؟ سبع جُثث؟ هل توسَّلوا؟".

لم يكُن لديه ما يقوله، أكمَلت: "هل تعتقِد أن كُلهم هنا يا

أبتـاه؟ سـبعة فقـط؟ هـل حصلـت عليهـم جميعًـا؟".

قال بصوتٍ مليء بالألم، والذي كان جيدًا للغاية: "أوه، يا الله".

"ومـاذا عـن المُدن الأخـرى يـا أبتـاه؟ مـاذا عـن فايتفيـل؟ هـل تريـد التحـدُّث بشـأن فايتفيـل؟".

اختنـق بالبُـكاء، دون أي كلـمات، أكملـت: "ومـاذا عـن شرق أورانـج؟ هـل كانـوا ثلاثـة؟ أم أننـي فـوَّت واحـدًا هنـاك؟ مـن الصعـب التأكُّـد مـن ذلـك، هـل كانـوا أربعـة في شرق أورانـج يـا أبتـاه؟".

حـاول الأب دونوفـان أن يـصرُخ، لكـن لم يكـن هنـاك هـواء كافٍ في حلقـه ليكـوِّن صرخـة جيـدة للغايـة، لكنـه كان لديـه شـعور حقيقـي بذلـك، والـذي عـبَّر عنـه بتلـك الطريقـة الفقـيرة، قبـل أن يسـقُط للأمـام عـلى وجهـه، سـمحت لـه بالتنفُّـس لبعـض الوقـت، قبـل أن أسـحبه صعـودًا إلى أن وقـف عـلى قدميـه، لم يكُـن ثابتًـا، ولم يكُـن مُسـيطرًا، كان قـد فقـد السـيطرة عـلى مثانتـه، وسـال لعابـه عـلى ذقنـه.

قـال: "مـن فضلـك، لم أسـتطِع منـع نفـسي، لم يكُـن بإمـكاني منـع نفـسي، مـن فضلـك.. عليـك أن تفهَـم...".

قُلت: "أنا أفهم يا أبتاه".

كان هنـاك شيء مـا في صـوتي، كان صـوت الراكِـب المُظلِـم الآن، جمَّـده صوتـه، رفـع رأسـه ببـطءٍ ليواجهنـي، ومـا رآه في عينـيّ جعلـه سـاكنًا للغايـة، أخبرتـه وأنـا أقرِّبـه مـن وجهـي: "أنـا أفهـم تمامًـا".

تحـوَّل العـرق الموجـود عـلى وجنتيـه إلى جليـد وأنـا أكمِـل: "كـما تـرى، لا أسـتطِع منـع نفـسي كذلـك".

كُنـا قريبـين للغايـة الآن، بالـكاد عـلى وشـك التلامُـس، وبـدت قذارتـه فجـأة أكـثر مـن الـلازِم، جذبـت الحبـل الخانِـق قبـل أن أركل قدميـه مـن تحتـه مـرة أخـرى، سـقط جسـد الأب دونوفـان مُترامـي الأطـراف

على الأرض.

قُلت: "لكن الأطفال؟ لا يُمكنني فعل ذلك بالأطفال".

ضغطت بحذائي الصلب النظيف على مؤخرة رأسه، وأنا أضغط وجهه للأسفل، قُلت: "ليس مثلك يا أبتاه، الأطفال لا، كان يجب أن أجد من هُم على شاكِلتك".

همس الأب دونوفان: "ما أنت؟».

قُلت: "البداية والنهاية، قابِل خالِقك يا أبتاه».

كانت الإبرة جاهزة، غرسَت في عنقه كما ينبغي لها أن تفعل، قاوَمت عضلاته الجامدة مقاومة طفيفة، لكن الكاهِن لم يفعَل، دفعت المكبس وأفرغت الحقنة، ملأت الأب دونوفان بهدوءٍ سريعٍ ونظيفٍ، لحظات، لحظات فحسب، وبدأ رأسه يطفو، قبل أن يتدحرَج نحوي.

هل رآني حقًّا الآن؟ هل رأى القفازات المطّاطية المزدوجة، الأغطية الدقيقة، وقناع الحرير؟ هل رآني حقًّا؟ أم أن الأمر حدث فقط في الغُرفة الأخرى، غُرفة الراكِب المُظلِم، الغُرفة النظيفة؟ التي قضيت الليلتين الماضيتين في طلائها بالأبيض، في مسحها، فركها، ورشّها، في تنظيفها كما ينبغي أن تكون، وفي وسط الغُرفة.. غطيت نوافذها بملاءات مطاطية بيضاء سميكة، تحت الأضواء الموجودة في مُنتصف الغُرفة، هل رآني أخيرًا هناك، في الطاولة التي صنعتها، في صناديق أكياس القمامة البيضاء، في زجاجات المواد الكيميائية، وفي الصف الصغير من المناشير والسكاكين؟ هل رآني في النهاية؟

أم تُراه رأى تلك الكُتل السبع غير المُرتَّبة، من يدري كم عدد الكُتل الأخرى؟ هل رأى نفسه أخيرًا، غير قادِر على الصراخ، يتحوَّل لذلك النوع من الفوضى في الحديقة؟

لم يفعل بالطبع، لن تسمح له مُخيّلته أن يرى نفسه على نفس الشاكلة، وبطريقةٍ ما.. كان مُحقًّا، لن يتحوَّل أبدًا لنفس الفوضى التي صنعها من الأطفال، لن أفعل ذلك أبدًا، لا يُمكنني السماح بذلك، أنا لست مثل الأب دونوفان، لست هذا النوع من الوحوش.

أنا وحش أنيق للغاية.

والأناقة تستغرق وقتًا بطبيعة الحال، لكنها تستحِق كُل هذا العناء، تستحِق كُل هذا العناء لجعل الراكِب المُظلم سعيدًا، والحفاظ عليه هادئًا لفترةٍ طويلةٍ أخرى، تستحق كُل هذا العناء لجعل الأمر على ما يُرام، إزالة كومة واحدة من الفوضى خارِج العالم، في عدد قليل من أكياس القمامة الملفوفة بدقة، ليكون ركن صغير من العالم أكثر أناقة، أكثر سعادة، مكانًا أفضل.

لديّ حوالي ثماني ساعات قبل أن أرحَل، سأحتاجها جميعًا لأفعل الأمر بشكلٍ صحيحٍ.

ثبتُّ الكاهِن إلى الطاولة بشريطٍ لاصِق وقطعت ملابسه، قُمت بالعمل المبدئي بسُرعة، الحلاقة، الفرك، قطع الأشياء التي تعلق بالخارِج بشكلٍ غير مُرتَّب، وكما هي العادة.. شعرت بالطاقة الطويلة البطيئة الرائعة وهي تعصف بجسدي بأكمله، سوف تطفو من خلالي أثناء قيامي بالعمل، سترتفع وتأخذني معها، حتى النهاية، الرغبة، والكاهن يسبحان بعيدًا معًا حتى يتلاشى المد.

وقبل أن أبدأ في العمل الجاد، فتح الأب دونوفان عينيه ونظر إليّ، لم يكُن هناك خوف الآن، هذا يحدُث في بعض الأحيان، نظر إليّ مُباشرةً، وتحرك فمه.

قُلت وأنا أقترِب منه قليلًا: "ماذا؟ لا أستطيع أن أسمعك».

سمعته يتنفَّس، يتنفَّس ببطءٍ وفي سلامٍ، ثم قالها مرة أخرى قبل أن يُغلِق عينيه.

قُلت وأنا أبدأ في العمل: "على الرحب والسعة".

الفصل الثاني

بحلول الرابعة والنصف صباحًا كان الكاهِن نظيفًا تمامًا، شعرت بتحسُّن كبير، لطالما فعلت بعدها، القتل يجعلني أشعر أنني بحالةٍ جيدةٍ، يعمل على إخراج العُقد من مُخطَّط ديكستر المُظلِم العزيز، إفراج لذيذ، إفراج ضروري لكُل الصمامات الهيدروليكية الصغيرة الموجودة بالداخِل، أنا أستمتع بعملي، وآسف لو كان هذا يُزعِجك، آسف جدًا، حقًا، لكن هذا هو الأمر، وليس فقط أي قتل بالطبع.

يجب أن يتم ذلك بالطريقة الصحيحة، في الوقت المُناسِب، ومع الشريك المُناسِب، أمر مُعقَّد للغاية، لكنه ضروري للغاية.

ودائمًا ما يكون مُستنزِفًا بطريقةٍ ما، لذلك كُنت مُرهقًا، لكن توتُّر الأسبوع الماضي كان قد ذهب، وصوت الراكِب المُظلِم البارِد كان قد خَفت، وأصبح بإمكاني أن أكون أنا مرة أخرى، ديكستر الملتوي، المَرِح، السعيد، المحظوظ، والميت من الداخِل، لم أعُد ديكستر المُمسِك بالسكين، ديكستر المُنتقِم، ليس حتى المرة القادِمة، وضعت كُل الجُثث مرة أخرى في الحديقة، بالإضافة لجارٍ جديدٍ، رتبت المنزل الصغير المُتهدِّم بقدر ما استطعت، حزمت أشيائي في سيارة الكاهِن، وتوجَّهت جنوبًا نحو القناة الجانبية الصغيرة، حيث كُنت قد تركت قاربي، صائِد الحيتان الذي يبلغ طوله سبعة عشر قدمًا، صاحِب السحب الضحل والمُحرِّك الكبير، دفعت سيارة الكاهِن إلى القناة، خلف قاربي قبل أن أصعد إلى متنه، راقبت السيارة تستقِر وتختفي، ثم قُمت بتحريك اللوح الخارجي، وتحرَّكت في القناة، مُتجهًا ناحية الشمال عبر الخليج، كانت الشمس تُشرِق، وتنشُر

سحرها البرّاق، رسمت أجمل ابتساماتي على وجهي، مُجرّد صياد سمك آخر يتجه لمنزله في الصباح الباكِر، هل يريد أي شخص سمك النهّاش الأحمر؟

بحلول السادسة والنصف صباحًا كُنت في شقتي في كوكونوت جروف، أخرجت الشريحة من جيبي، شريط زجاجي نظيف وبسيط، مع قطرة واحدة دقيقة من دماء الكاهِن تستقِر في ثبات في مُنتصفها، كانت جافة الآن، ومُستعِدة للانزلاق تحت مجهَري حين أرغَب في التذكُّر، وضعت الشريحة مع الأخريات، ستٌّ وثلاثين نقطة دماء نظيفة، دقيقة، وجافّة.

أخذت حمامًا طويلًا للغاية، سمحت للماء الساخن أن يغسل آخر التوتُّر ويُخفِّف آخر العُقَد الموجودة في عضلاتي، أن يغسِل الآثار الصغيرة لرائحة الكاهِن، وحديقة المنزل الصغير الموجود في المُستنقَع التي تشبَّثت بي.

أطفال، كان يجب أن أقتله مرتين.

أيًّا كان ما جعلني على هذه الشاكِلة، فقد تركني أجوَف، خاويًا، غير قادِر على الشعور، لا أكترِث لهذا، فأنا مُتأكِّد أن مُعظَم الناس يزيِّفون القدر الأكبر من تعاملاتهم اليومية، أنا فقط أزيِّفها جميعًا، أزيفها ببراعةٍ، المشاعِر لم تكُن موجودة يومًا، لكنني أحب الأطفال، لن يُمكنني أبدًا إنجاب طفل، طالما أن فكرة مُمارسة الجنس غير مطروحة من الأساس، تخيَّل أن تفعل كُل هذه الأشياء، كيف يُمكِنك فعل هذا؟ أين إحساسك بالكرامة؟ لكن الأطفال.. الأطفال مميَّزون، الأب دونوفان استحَقّ الموت، قانون هاري كان راضيًا، جنبًا إلى جنب مع الراكِب المُظلِم.

في السابعة والرُّبع.. كُنت قد شعرت أنني نظيف مرة أخرى، شربت كوبًا من القهوة، وتناولت إفطارًا من الحبوب، قبل أن

أتوجَّـه إلى العمـل.

المبنـى الـذي أعمـل بـه مبنـى عـصري كبـير، أبيـض اللـون وبـه الكثـير مـن الزُّجـاج، قريـب مـن المطـار، معمـلي في الطابِـق الثـاني، في الخلـف، لـديَّ مكتـب صغـير مُلحَـق بالمعمـل، لا يُشـبه المكاتِـب كثـيرًا، لكنـه خـاص بي، حجـرة مُلحَقـة بمُختـبر الـدم الرئيـسي، لا يُسـمَح لأي شـخص آخـر بدخولـه، لا يُشـاركني فيـه أحـد، غـير مسـموح لأي شـخص بإلحـاق الفـوضى فيـه، مكتـب خلفـه مقعِـد، ومقعـد آخـر لزائـرٍ، في حـال لم يكُـن ضخـم البُنيـان، حاسـب آلي، رف، خزانـة ملفَّـات، هاتِـف، جهـاز آلي للـرد عـلى المُكالمـات، كان ضـوؤه يومـض حـين دخلـت، وجـود رسـالة مـن أجـلي لم يكُـن أمـرًا يوميًّـا، لسـببٍ مـا.. هنـاك عـدد قليـل للغايـة مـن البـشر في هـذا العـالم يُمكنهـم التفكـير في أشـياء يُمكِـن قولهـا لمُحلِّـل نمـط بقـاع الدمـاء أثنـاء سـاعات عملـه، أحـد هـؤلاء الأشـخاص القلائـل الذيـن لديهـم بعـض الأشـياء ليقولوهـا لي كانـت ديـبرا مورجـان، أختـي بالتبنـي، شُرطيـة، تمامًـا مثـل والدهـا.

وكانت الرسالة منها.

ضغطــت الــزر، وســمعت موســيقى التيجانــو، ثــم صــوت ديــبرا: "ديكســتر، مــن فضلَــك، بمُجــرَّد أن تصلــك تلــك الرســالة، أنــا في مــسرَح جريمــة في تاميامــي تريــل، في فنــدق كاشــيك".

صمتــت قليــلًا، ســمعتها تضــع يدهــا عــلى ســماعة الهاتِــف، وتقــول شــيئًا لشــخصٍ مــا، ثــم صــدح صــوت الموســيقى المكســيكية ثانيــةً قبــل أن تعــود إليــه مــرة أخــرى لتســأله: "هــل يُمكِنــك أن تــأتي إلى هنــا فــورًا؟ أرجــوك يــا ديكــس؟".

وأنهَت المُكالمة.

ليــس لــديَّ عائلــة، أعنــي.. عــلى حــد علمــي، هنــاك في مــكانٍ مــا بالخــارِج، هنــاك بعــض الأشــخاص الذيــن يحملــون جينــات وراثيــة

مُشابهة لجيناتي، أنا مُتأكِّد، ومُشفِق عليهم، لكنني لم أقابِلهم من قبل، ولم أحاول حتى، وهم كذلك لم يحاولوا إيجادي، كُنت طفلًا مُتبنى، تربَّيت على يد هاري ودوريس مورجان، والدي ديبرا، وبالنظر إلى ما أنا عليه، لقد قاما بعملٍ رائعٍ في تربيتي، ألا تعتقِد ذلك؟

كلاهما ميت الآن، والآن.. ديب هي الشخص الوحيد الذي يُعطي أدنى قدر من الاهتمام اللعين بسواء كُنت حيًّا أو ميتًا، لسببٍ ما لا أستطيع فهمه، فهي في الواقِع تُفضِّل أن أكون على قيد الحياة، أعتقِد أن هذا لطيف، وإن كان بإمكاني أن يكون لديّ أي مشاعِر على الإطلاق، فكُنت سأكنُّها لديب.

لذلك ذهبت، خرجت من موقف سيارات مترو ديد (قسم شُرطة ميامي)، وتوجَّهت إلى أقرَب كُشك تحصيل رسوم على الطريق، ومنه قُدت جنوبًا وصولًا إلى تامايمي تريل، حيث يقبع فندق كاشيك وعدة مئات من إخوته وأخواته، بطريقتها الخاصَّة.. كانَت جنة، خاصةً إذا كُنت صرصورًا، اصطفَّت المباني على الجانبين لتلتمِع وتتعفَّن في الوقت ذاته، النيون يُشرِق فوق المباني القديمة، القذرة، والمُتعفِّنة المظهَر، إذا لم تذهَب في الليل.. فلا تذهَب، لأن رؤية هذه الأماكِن في وضح النهار تُماثِل رؤية خلاصة عقدنا الواهي مع الحياة.

كُل مدينة رئيسية لديها قسم مثل هذا القسم، في حال أراد قزم مُصاب بحالة مُتقدِّمة من الجذام مُمارسة الجنس مع كنغر وجوقة غناء في سن المُراهقة، فسيجد هنا طريقة لإيجاد غُرفة يتم بها الأمر، وحين ينتهي.. فربما يصطحِب كامل أفراد عصابته للغُرفة المجاورة من أجل تناول فنجان من القهوة الكوبية وساندويتش ميديانوش كوبي.

لن يهتم أحد، طالما كان يترك بقشيشًا.

تقضي ديبرا الكثير من الوقت هنا مؤخرًا، في رأيها، وليس رأيي، يبدو هذا مكانًا جيدًا لتكون ضابط شرطة، كي تزيد من إحصائياتك وفرصك في القبض على شخصٍ ما يفعل شيئًا مروعًا.

ديبرا لا ترى الأمر بهذه الطريقة، ربما لأنها كانت تعمل في مُحاربة الرذيلة، امرأة شابة حسِنة المظهَر تعمل في مُحاربة الرذيلة في تامي تريل وعادةً ما ينتهي بها الأمر كطُعم، تقف في الخارِج عارية تقريبًا للقبض على الرجال الذين يريدون دفع مُقابِل لمُمارسة الجنس، ديبرا تكره هذا، لا تطيق العمل في مجال البغاء، حتى كقضية سيكولوجية، لا تعتقِد أن القبض على مثل هؤلاء الرجال يُعد مُحاربة للجرائم الحقيقية، كما أنني الوحيد الذي يعرف أنها تكره أي شيء يُبالِغ في التأكيد على أنوثتها وشكل جسدها، أرادَت فقط أن تكون شُرطية، لم يكُن خطؤها أنها بدت مليئة بالأنوثة.

وبينما توقَّفت في موقف السيارات الذي يتشاركه فندق كاشيك وجاره مقهى تيتو كوبانو، كُنت قادرًا على تبيُّن أنها تشعُر بالغضب من شكلها الخارِجي، كانت ترتدي قميصًا لامعًا وردي اللون، سراويل سبانديكس رياضية ضيِّقة، جوارِب شبكة صيد سوداء، وحذاء بكعبٍ عالٍ، بدت وكأنها قادمة لتوها من متجر لعاهرات هوليوود ثلاثية الأبعاد.

قبل بضع سنوات حَصَل شخص ما في مكتب مُحاربة الرذيلة على معلومة تقول أن القوادين كانوا يسخرون منهم في الشارِع، على ما يبدو.. أن ضُبّاط الشُرطة، ومعظمهم من الذكور، كانوا يختارون أزياء النساء اللواتي عملن في عمليات التخفي بالطريقة التي تُظهِر الكثير من الأشياء التي يحبّونها في النساء، لكنها لم تبدُ أبدًا كأزياء للعاهرات، لذلك كان بإمكان كُل شخص في الشارِع تقريبًا أن يعرف

أيًا من هؤلاء الفتيات الجديدات تحمل شارة ومسدسًا في حقيبة يدها.

وكنتيجة لهذه المعلومة.. بدأ ضُبَّاط الشُرطة الرجال يصرّون على أن الفتيات اللاتي ذهبن مُتخفيّات هن من اخترن ملابسهن الخاصة لهذا العمل، في النهاية.. الفتيات يعرفن الكثير عن كيف تبدو الأشياء صحيحة، أليس كذلِك؟

ربما كان أغلبهن يعرف ذلك، لكن ديبرا لم تعرفه، لم تشعُر بالراحة أبدًا سوى في ارتداء الملابس الزرقاء، كان يجب أن ترى ما أرادت ارتداءه لحفلتها الراقصة، والآن.. لم يسبق لي أن رأيت امرأة جميلة ترتدي مثل ذلك الزي العاري الذي يجعلها أقل جاذبية من الذي ترتديه ديب.

لكنها كانت على قدر المسؤولية، كانت تعمل في السيطرة على الحشود، شارتها مُثبّتة على صدر قميصها، كانت أكثر وضوحًا من شريط مسرح الجريمة الأصفر المُمتد لمسافة نصف متر، والذي كان مربوطًا بالفعل، أكثر حتى من سيارات الدورية الثلاث المصطفة في الزاوية وأضواؤها تومض، لمع القميص الوردي أكثر من أي شيء آخر.

كانت تتحرك نحو جانِب موقف السيارات، لتُبقي حشدًا مُتزايدًا من الناس بعيدًا عن تقني المُختبَر الذين بدوا وكأنهم ينقّبون في القمامة التابعة للمقهى، كُنت سعيدًا أنها لم تُسنِد لي هذا الأمر، فرائحته النتِنة تُسافِر كُل هذه المسافة وصولًا إلى نافذة سيارتي هنا، رائحة القهوة اللاتينية الداكِنة المُمتزجة برائحة الفاكهة القديمة ولحم الخنزير الزنِخ.

كان الشُّرطي الموجود عند مدخَل موقف السيارات رجلًا أعرفه، لوّح لي حين دخلت، ووجدت بقعة شاغرة للتوقُّف.

قُلت وأنا أقترِب منها: "ديب، زي جميل، يُظهِر حقًا كيفية الاستفادة الكاملة من مظهرك الجميل».

قالت: "اللعنة عليك».

قبل أن تحمر خجلًا، شيء رائع لتراه يحدُث مع ضابط شُرطة مُكتمل النمو.

قالت: "وجدوا عاهرة أخرى، أو على الأقل هذا ما يعتقدونه، من الصعب معرفة هذا مما تبقى منها".

قُلت: "هذه الثالثة خلال الشهور الخمسة الأخيرة".

قالت وهي تهز رأسها: "الخامسة، هناك اثنتان أخريان في بروارد، هؤلاء الأوغاد لا ينفكون عن القول بأنه لا توجد صلة رسمية".

قُلت في محاولة لأكون مُساعدًا: "هذا من شأنه أن يجلب الكثير من الأعمال الورقية الفظيعة".

ابتسمت ديب ابتسامة أظهرت أسنانها قبل أن تزمجِر وهي تقول: "ماذا عن القليل من عمل الشُّرطة الحقيقي اللعين؟ بإمكان أي معتوه رؤية أن عمليات القتل ذات صلة".

سرت قشعريرة في جسدها، حدّقت بها بدهشةٍ، كانت شُرطية، ابنة شُرطي، لم يزعجها أي شيء من قبل، حتى حينما كانَت شُرطية مُبتدئة ولعب الرجال الأكبر سنًا الكثير من الحيل على ديبرا، حتى أنهم أظهروا لها الجُثث المُشوَّهة في ميامي كُل يوم لتدمير ساعات الغداء الخاصة بها، لم يغمض لها جفن، لقد شاهدت كُل شيء، وعاشت كُل شيء.

لكن هذا.. جعلها ترتجِف.

مُثير للاهتمام.

سألتها: "هذه حالة خاصّة، أليس كذلك؟".

أشـارت بإصبعها نحـوي وهـي تقـول: "هـذه ضمـن نطـاق عمـلي، مـع العاهـرات، وهـذا يعنـي أن لـديّ فرصـة للدخـول في الأمـر، للحصول عـلى الاهتـمام، قدَّمـت طلـب نقـل إلى مكتـب جرائـم القتـل".

رسمت أسعد ابتساماتي وأنا أقول: "الطموح يا ديبرا؟".

قالـت: "أنـت عـلى حـق، أريـد الخـروج مـن مُكافحـة الرذيلـة، أريـد الخـروج مـن تلـك الوحـدة الجنسـية، أريـد أن أعمـل عـلى جريمـة قتـل يـا ديكسـتر، وقـد تكـون هـذه هـي تذكـرتي، للحصـول عـلى اسـتراحة صغـيرة مـن...".

صمتـت قليـلًا قبـل أن تقـول شـيئًا مُذهـلًا: "أرجـوك سـاعدني يـا ديكـس، أنـا أكـره هـذا حقًّـا".

"ترجـونني يـا ديـبرا؟ هـل ترجونـنـي حقًّـا؟ هـل تعلمـين كيـف يجعلنـي هـذا الأمـر عصبيًّـا؟".

"توقَّف عن الهراء يا ديكس".

"لكن يا ديبرا، حقًّا...".

"قُلت لك توقَّف، هل ستساعدني أم لا؟".

حـين تصـوغ الأمـر عـلى هـذا النحـو، بكلمـة (أرجـوك) الغريبـة النـادرة المُعلَّقـة في الهـواء، مـاذا بإمـكاني أن أقـول سـوى: "طبعًـا سـأفعل يـا ديـب، أنـتِ تعرفـين ذلـك».

نظـرت لي بشـدة، سـحبت (أرجـوك) الخاصـة بهـا بعيـدًا وهـي تقـول: "أنـا لا أعـرف ذلـك يـا ديكـس، لا أعـرف أي شيء حـين يتعلَّـق الأمـر بـك".

حاولـت التظاهُـر بأنـنـي مجـروح وأنـا أكـرِّر: "بالطبـع سـوف أسـاعدكِ يا ديـب».

حاولـت التظاهُـر بـأن كرامتـي مُصابـة، قبـل أن أتوجَّـه إلى القمامـة

مـع بقيـة فـئران المُختـبر.

كاميـلا فيـج كانـت تزحـف وسـط القمامـة، تنفـض الغُبـار بحثًـا عـن أي بصـمات أصابِـع، كانـت امـرأة مُمتلئـة تبلُـغ مـن العُمـر خمسـة وثلاثـين عامًـا بشـعرٍ قصـيرٍ الـذي لم يبـدُ أنـه مُتأثِّـر بالنسـيم الناتِـج عـن تنفُّـسي، صاحبـة مُجامـلات سـاحِرة، لكنهـا حـين رأتنـي، وقفـت عـلى ركبتيهـا، احمـرَّت خجـلًا، راقبتنـي أتحـرَّك دون أن أتحـدَّث، عـادةً مـا كانـت تحـدِّق بي أولًا ثـم تحمـر خجـلًا بعـد ذلـك، بينـما في الطـرف البعيـد مـن مقلـب القمامـة.. كان يجلـس عـلى كرتونـة حليـب بلاسـتيكية مفـرودة، ينقِّـب خـلال حفنـة مـن النفايـات، فينـس ماسـوكا، كان رجـلًا نصـف يابـاني، ودائمًـا مـا يحـب المـزاح بشـأن أنـه حصـل عـلى النصـف القصـير، قـال إنهـا مُجـرَّد مزحـة عـلى أي حـال، لكـن دائمًـا مـا كان يوجـد شيء غريـب بعـض الـشيء في ابتسـامة فينـس الآسـيوية المُشرِقـة، كـما لـو كان قـد تعلَّـم أن يبتسِـم مـن الصـور الموجـودة في الكُتـب، حتـى حينـما كان يتبـادل النـكات البذيئـة مـع رجـال الشُّرطـة، لم يغضـب منـه أي شـخص، كـما أنـه لم يضحـك أي شـخص كذلـك، لكـن هـذا لم يوقفـه، ظـل يقـوم بـكُل الإيمـاءات الروتينيـة الصحيحـة، لكنـه بـدا دائمًـا وكأنـه يزيِّـف الأمـر، لهـذا السـبب أحبـه، رجـل آخـر يتظاهَـر بكونـه بشريًـا، مثـلي تمامًـا.

قـال فينـس دون أن ينظُـر إليّ: "حسـنًا يـا ديكسـتر، مـا الـذي أتى بـكَ إلى هنـا؟".

أجبتـه: "جئـت لأرى كيـف يعمـل الخـبراء الحقيقيـون في جـو احـترافي كامِـل، أخـبرني.. هـل رأيـت أيهـم؟".

قـال فيـما كان مـن المُفـترض أن يكـون ضحكـة، لكنهـا بـدت مُزيَّفـة أكـثر مـن ابتسـامته: "هـا هـا، يبـدو أنـك تظـن أنـكَ في بوسـطن".

بـدا وكأنـه وجـد شـيئًا مـا، رفعـه تحـت الضـوء وحملـق بـه وهـو

يقـول: "لمـاذا أنـت هنـا؟".

حاولـت التظاهُـر بالسُّـخط وأنـا أقـول: "ولمـاذا لا أكـون هنـا يـا فينـس؟ هـذا مـسرح جريمـة.. أليـس كذلـك؟".

قـال وهـو يلقـي الـشيء الـذي وجـده بعيـدًا ويبـدأ رحلـة بحثـه عـن شيء جديـد: "أنـت تُحلِّـل نمـط بقـع الـدم".

"أعرف ذلك».

نظـر لي وهـو يرسـم أكـبر ابتسـاماته المُزيفـة قبـل أن يقـول: "لا توجـد أي دمـاء هنـا يـا ديكـس".

شعرت بالحيرة وأنا أسأله: "ماذا يعني هذا؟".

"لا توجـد أي دمـاء هنـا يـا ديكـس، ولا حتـى بالقُـرب مـن هنـا، لا دمـاء عـلى الإطـلاق، أغـرب شيء سـتراه في حياتـك".

لا دمـاء عـلى الإطـلاق، كان بإمـكاني سـماع تلـك العبـارة تتكـرَّر مـرارًا داخِـل رأسي، بصـوتٍ أعـلى في كُل مـرة، لا توجـد بقـع لزجـة، سـاخنة، فوضويـة، وفظيعـة مـن الدمـاء، لا بُقـع، لا دمـاء، لا دمـاء عـلى الإطـلاق.

لماذا لم أفكِّر في هذا من قبل؟

يبدو الأمر وكأنه قطعة ناقصة من شيء لم أكُن أعرف أنه ناقِص.

أنـا لا أدعـي أننـي أفهـم مـا هـي عليـه العلاقـة بـين ديكسـتر والدمـاء، مُجـرَّد التفكـير في هـذا يجعـل أسـناني عـلى حافـة الهاويـة، ومـع ذلـك.. بعـد كُل شيء.. كانـت جـزءًا مـن مسـيرتي، دراسـتي، ووظيفتـي الحقيقيـة، مـن الواضِـح أن بعـض الأمـور العميقـة للغايـة تحـدُث، لكننـي أجـد صعوبـة في البقـاء مُهتـمًا، أنـا مـا أنـا عليـه، أوليسـت تلـك ليلـة جميلـة لتشريـح قاتـل أطفـال؟

لكن هذا..

سألني فينس: "هل أنت بخير يا ديكستر؟".

أجبته: "أنا على خير ما يُرام، كيف فعل ذلك؟".

"هذا يعتمِد على بعض الأمور".

نظـرت إلى فينـس، كان يحـدِّق في حفنـة مـن القهـوة، ويدفعها بعناية بإصبـع واحـد مـن أصابعـه التـي يغطيهـا القفـاز المطاطـي، سـألته: "يعتمـد عـلى مـاذا يـا فينـس؟".

قال: "ها ها، يعتمِد على من هو، وعلى ماذا يفعل؟".

هـزت رأسي وأنـا أقـول: "في بعـض الأحيـان يبـدو لي وكأنـك تعمـل بجـد كي تبـدو غـير واضـح».

قبل أن أضيف: "كيف يتخلَّص القاتِل من الدماء؟».

أجابنـي: "مـن الصعـب القـول في الوقـت الحـالي، لم نعـثُر عـلى أي منهـا بعـد، والجسـد ليـس في حالـةٍ جيـدةٍ، لذلـك سـيكون مـن الصعـب معرفـة الكثـير".

لا يبـدو هـذا مُثـيرًا للاهتـمام، أحـب أن أتـرك جسـدًا أنيقًـا دون ضجـة، دون فـوضى، ودون نزيـف، إذا كان القاتِـل مُجـرَّد كلـب آخـر يُمـزِّق عظمـة، فهـذا كُلـه لا يعنـي أي شيء بالنسـبة لي.

تنفَّست بقليلٍ من الراحة وأنا أسأل فينس: "أين الجُثة؟".

أشـار برأسـه نحـو بُقعـة مـا عـلى بُعـد عشريـن قدمًـا وهـو يقـول: "هنـاك، مـع لاجويرتـا".

قُلت: "يا إلهي، لاجويرتا تتولى الأمر؟".

رسم ابتسامته المُزيَّفة مرة أخرى وهو يقول: "القاتل محظوظ".

نظـرت نحـوه، مجموعـة مـن النـاس تتجمهـر حـول مجموعـة مُرتَّبـة مـن أكيـاس القمامـة، قبـل أن أقـول: "لا أراهـا".

"هنـاك، أكيـاس القمامـة، في كُل كيـس جُـزء مـن الجسـد، قـام بتقطيـع الضحيـة لقطـعٍ، ثـم قـام بلـف كُل منهـا لتبـدو مثـل هدايـا

الكريســماس، هــل رأيــت أي شيء مثــل هــذا مــن قبــل؟».

بالطبع رأيت.

هذه هي طريقتي في القيام بالأمر.

الفصل الثالث

هناك شيء غريب وغامِض حول النظر في مسرَح جريمة قتل في ضوء النهار الساطِع بفضل شمس ميامي المُشرِقة، يجعل هذا أكثر جرائم القتل بشاعةً تبدو وكأنها مُعقَّمة، مُنظَّمة، وكأنّك في قسمٍ جديد وجريء من عالم ديزني، أرض القاتِل المُتسلسِل دامر، تعالى واركب الثلاجة، من فضلك ألق بغدائك في الحاويات المُخصَّصة لذلك فقط.

ليس وكأن منظر الجُثث المشوَّهة في أي مكان قد يُزعجني، قطعًا لا، الأمر أبعد ما يكون عن ذلك، أنا أستاء فقط من الجُثث الفوضوية قليلًا عندما يتعلَّق الأمر بسوائل الجسد، تلك الأشياء مُقزِّزة، لكن بخلاف ذلك.. لا يبدو الأمر أسوأ من النظر إلى الأضلاع الموجودة في محل البقالة، لكن المُبتدئين وزوَّار مسرح الجريمة يميلون إلى التقيؤ قليلًا، ولسببٍ ما.. فإنهم يتقيؤون هنا أقل بكثير مما يفعلون في الشمال، تنزع منهم الشمس تلك الغريزة، تجعلهم أكثر أناقةً، ربما لهذا السبب أحب ميامي، إنها حقًّا مدينة أنيقة.

كان يومًا جميلًا وحارًّا من أيام ميامي، كُل من يرتدي معطفًا كان يبحث الآن عن مكان لتعليقه، للأسف.. لم يجدوا مكانًا لهذا في موقف السيارات الصغير القذر هذا، لم يكُن هناك سوى خمس أو ست سيارات فقط وصندوق قمامة، كان محشورًا في أحد الأركان، بجوار المقهى، مدعومًا بجدارٍ من الجص الوردي الذي تعلوه أسلاك شائكة، كان باب المقهى الخلفي هناك، انتقلت شابة متجهِّمة عبره دخولًا وخروجًا، للقيام بأعمال تجارية نشطة في مقهى كوبانو والباستيل مع رجال الشُّرطة والتقنيين الموجودين في مكان الحادِث،

كان هناك كذلك حفنة من رجال الشُّرطة المتنوِّعين في أزيائهم الرسمية يتسكعون في مسرح الجريمة، إما أن يُلاحظوا.. من أجل مُمارسة الضغط، أو للتأكُّد من أنهم يعرفون ما يحدُث، والآن.. كان هناك شيء آخر يتلاعبون به، قهوة، مُعجَّنات، ومعطف رسمي.

رجال مُختبَر الجريمة لم يرتدوا بدلات، قُمصان بولينج حريرية بزوجٍ من الجيوب كانت تُزيد من سُرعتهم، كُنت أرتدي واحدًا بدوري، مُزيَّن بنمطٍ مُتكرِّر من طبول الفودو، وأشجار النخيل، على خلفية خضراء جيرية، أنيق.. لكنه عملي كذلك.

توجَّهت نحو أقرب قميص حريري في كومة الناس المُلتفِّين نحو الجُثة، كان قميص أنجيل باتيستا (لست قريبه)[1] كما كان مُعتادًا على تقديم نفسه، مرحبًا.. أنا أنجيل باتيستا ولست قريبه، كان يعمل في مكتب الطبيب الشرعي، في تلك اللحظة.. كان يجلس القُرفصاء بجانِب أحد أكياس القمامة وينظر بداخله.

انضممت إليه، كُنت متلهِّفًا لرؤية ما بداخل الحقيبة بدوري، من أجل الحصول على رد فعل من ديبرا.. فأي شيء يستحِق نظرة خاطفة.

قُلت وأنا أجلس جواره: "أنجيل.. ماذا لدينا؟».

قال: "ماذا تقصد ب»لدينا" أيها الفتى الأبيض، لا توجد دماء في هذه الجُثة، لا شأن لكَ بهذا العمل».

انحنيت نحوه وأنا أقول: "لقد سمعت هذا، هل تم الأمر هنا، أم أن هنا كان مكان التخلُّص من الجُثة فحسب؟».

هزَّ رأسه قائلًا: "من الصعب القول.. يفرغون المكّب مرتين في الأسبوع، ربما كان هذا هنا ليومين تقريبًا».

نظرت من حولي لموقَف السيارات، قبل أن أنظر نحو واجهة

[1] في إشارة لكونه ليس قريبًا للديكتاتور الكوبي السابق فولجينسيو باتيستا.

فُندق كاشيك العَفِنة، قبل أن أقول: "ماذا عن الفندق؟».

قال بلا مُبالاة: "ما زالوا يفحصونه، لكنني لا أعتقِد أنهم سيجدون أي شيء، في المرات الأخرى.. كان يستخدم صناديق القمامة فحسب".

قبل أن يضيف فجأة: "ها..".

"ما الأمر؟».

أمسك قلم رصاص ليُبعِد الكيس البلاستيكي قائلًا: "انظر إلى هذا القطع».

ظهرت نهاية ساق مقطوعة، بدت شاحِبة وميتة بشكلٍ استثنائي في وَهَج الشمس، انتهَت هذه القطعة بالكاحِل، بينما انحرفَت القدم بدقة مُتناهية، وظهَر وشم صغير لفراشة، جناح واحد فقط قُطِع بعيدًا مع القدم.

أطلقت صفيرًا، كان الجرح دقيقًا لدرجة الجراحة تقريبًا، قام هذا الرجل بعمل جيد جدًّا، جيد بقدر ما استطعت أن أفعل، قُلت: "نظيف للغاية».

وقد كان كذلك، وحتى بعيدًا عن أناقة الجرح، لم يسبِق لي أن رأيت مثل هذا اللحم النظيف، الجاف، الأنيق، والذي يبدو ميتًا بشكلٍ مُذهِل.

قال: "اللعنة على هذا، نظيف للغاية، لم ينته الأمر».

نظرت إلى داخِل الكيس، أعمق قليلًا، لا يتحرك أي شيء هناك، قُلت: "يبدو لي الأمر مُنتهيًا للغاية يا أنجيل».

قال وهو يفتَح كيسًا آخر: "انظر، هذه الساق، قام بتقطيعها إلى أربع قطع، تمامًا كما لو كان فعلها بالمسطرة أو بشيءٍ من هذا القبيل، وكذلك هذه".

أشار مرة أخرى نحو الكاحِل الذي كُنت مُعجبًا به للغاية وهو

يقـول: "أمـا هـذا فتـم تقطيعـه لقطعتـين فقـط، لمـاذا؟».

قُلـت: "أنـا مُتأكِّـد مـن أننـي لا أعـرِف، ربمـا ستكتشِـف المُحقِّقـة لاجويرتـا الأمـر".

نظـر أنجيـل نحـوي لدقيقـةٍ، حـاول كلانـا أن يُحافِـظ عـلى وجهـه جـادًا قبـل أن يقـول: "ربمـا تفعـل».

عـاد مـرة أخـرى لعملـه وهـو يقـول: "لمـاذا لا تذهَـب وتسـألها بنفسـك؟».

قُلت: "أراك لاحقًا يا أنجيل».

أجاب وهو يدس رأسه داخِل كيس بلاستيكي: "هذا شبه مؤكَّد".

سَرَت شـائعة منـذ عـدة سـنوات أن المُحقِّقـة ميجديـا لاجويرتـا قـد انضمَّـت إلى مكتـب جرائـم القتـل عـن طريـق النـوم مـع شـخص مـا، ويكفيـك أن تنظُـر إليهـا مـرة واحـدة لتقتنِـع بالأمـر، كانـت لديهـا كافـة الإمكانيـات في الأماكِـن الصحيحـة لتكـون جذّابـة جسـديًا، بطريقـةٍ أرسـتقراطيةٍ مُتجهِّمـةٍ، فنانـة حقيقيـة بمكياجهـا الكامِـل وفسـتانها الأنيـق مـن ماركـة بلومينجـدال، لكـن بـادئ ذي بـدء.. فالإشـاعة لا يُمكِـن أن تكـون صحيحـة، لأنهـا عـلى الرغـم مـن أنهـا تبـدو أنثويـة جـدًا مـن الخـارِج، لكننـي لم يسـبِق لي أن التقيـت امـرأة أكـثر ذكوريـة مـن الداخِـل، كانـت صعبـة المـراس، وطموحـة بأكـثر طريقـة يُمكِـن أن تخـدم بهـا نفسـها، وبـدا أن نقطـة ضعفهـا الوحيـدة تتمثَّـل في نمـوذج الرجـل الوسـيم الأصغـر منهـا بعـدة سـنوات، لا أعتقِـد أنهـا انضمَّـت لمكتـب جرائـم القتـل عـن طريـق اسـتخدام الجنـس، لكنهـا انضمَّـت للمكتـب لأنهـا كوبيـة الأصـل، مُحنَّكـة سياسـيًا، وتعـرِف كيـف تتملَّـق جيـدًا، هـذا المزيـج أفضـل بكثـير مـن الجنـس في ميامـي.

كانـت لاجويرتـا جيـدة للغايـة في التملُّـق، مُتملِّقـة مـن الطِـراز العالمـي، تملَّقـت طـوال الطريـق وصـولًا إلى رتبـة مُحقِّقـة جرائـم القتـل،

من سوء الحظ.. أنها وظيفة لا تحتاج إلى مهاراتها في التملُّق، كانَت مُحقِّقة فظيعة.

يحدث الأمر أحيانًا.. يُكافأ الشخص غير الكُفء في كثيرٍ من الأحيان، لكنني مُضطر للعمل معها على أي حال، لهذا استخدمت سحري الكبير لجعلها مثلي، وكان الأمر أسهل كثيرًا مما تعتقِد، يُمكِن لأي شخص أن يكون ساحرًا إذا لم يُمانِع في تزييفه، قائلًا كُل الأشياء الغبيّة، الواضِحة، والمُغرِضة التي يمنَع الضمير مُعظَم الناس من قولها، لحُسن الحظ.. ليس لديَ ضمير، لذا أقولها.

اقتربت من المجموعة الصغيرة المُتجمِّعة بالقُرب من المقهى، كانت لاجويرتا تُجري مُقابلة مع شخص ما باللغة الإسبانية السريعة، أنا أتكلَّم الإسبانية، وأفهم القليل من الكوبية، لكنني لا أستطيع فهم سوى كلمة واحدة من كُل عشر كلمات تنطقها لاجويرتا، اللهجة الكوبية هي جحيم العالم الناطِق بالإسبانية، يبدو وكأن الغرض من الإسبانية المنطوقة بلهجة كوبية هو السباق ضد ساعة غير مرئية، والخروج بأكبر قدر مُمكِن من الكلمات خلال ثلاث ثوانٍ، دون استخدام أي من الحروف الساكِنة، الخُدعة لمُتابعة ذلك هي معرفة ما سيقوله الشخص الآخر قبل حتى أن ينطِق به، كان الرجل الذي تستجوِبه لاجويرتا قصيرًا، عريضًا، وداكنًا، يبدو إسبانيًا أو برتغاليًا (إنديو) بشكلٍ واضح، كان من الواضِح أنها تقوم بتخويفه باستعمال لهجتها وشارتها، حاول ألا ينظُر إليها وهو يتحدَّث، وهو الأمر الذي جعلها تتحدَّث بشكلٍ أسرع.

قال: "لم يكُن هناك أي شخص بالخارِج، كانوا جميعًا داخِل المقهى».

سألته بصرامةٍ: "وأين كُنت أنت؟».

نظر الرجل نحو الأكياس التي تحتوي على الجُثة المُقطَّعة قبل

أن ينظـر بعيـدًا بشـكلٍ سريـعٍ وهـو يقـول: "في المطبَـخ، ثـم خرجـت لألقـي القمامـة".

استمرَّت لاجويرتـا، بـدت وكأنهـا تطـارده بكلماتهـا، طرَحـت الأسـئلة الخاطِئـة وكأنهـا تتنمَّـر عليـه أو تُقلِّـل مـن شـأنه، لم تحـاول أن تجعلـه ينـسى ببـطءٍ الرعـب الـذي يشـعُر بـه جـرّاء إيجـاد أجـزاء الجُثـة في القمامـة، تحوَّلـت لمُتجهِّمـة وغـير مُتعاونـة بـدلًا مـن ذلـك.

لمسـة احترافيـة حقيقيـة، أن تأخُـذ الشـاهِد الرئيـسي وتقلبـه ضـدّك، إذا كان بإمكانِـك تدمـير القضيـة خـلال السـاعات القليلـة الأولى، فـإن هـذا يوفِّـر الكثـير مـن الوقـت والأوراق في وقـتٍ لاحـقٍ.

أنهـت حديثهـا بعـددٍ قليـلٍ مـن التهديـدات قبـل أن تُرسِـل الرجـل بعيـدًا، قالـت وهـي تبصـق بمُجـرَّد خروجـه مـن نطـاق السـمع: "إنديـو!".

قُلت: "الأمر يتطلَّب كُل الأنواع أيتها المُحقِّقة، حتى الريفيين».

نظـرت للأعـلى وتطلَّعـت إليّ، بينـما وقفـت وتسـاءلت عـن السـبب، هـل نسـيت كيـف أبـدو؟ لكنهـا أنهـت الأمـر بابتسـامة كبـيرة، إنهـا مُعجبـة بي حقًّـا، الحمقـاء.

"أهلًا يا ديكستر، ما الذي جاء بكَ إلى هنا؟".

"سـمعت أنـكِ هنـا فلـم أقـدر عـلى البقـاء بعيـدًا، أرجـوكِ أيتهـا المُحقِّقـة.. هـل تتزوجينـنـي؟».

ضحكـت، بينـما تبـادَل الضبـاط الآخـرون الموجـودون عـلى مرمـي البـصر النظـرات قبـل أن ينظـروا بعيـدًا، قالـت لاجويرتـا: "لا أشـتري حـذاءً قبـل أن أقـوم بتجربتـه، مهـما كان مظهـره جيـدًا".

وبقـدر مـا كُنـت أعـرف أن هـذا ليـس صحيحًـا، إلا أنـه لم يُفـسِّر لي لمـاذا نظـرت لي ولسـانها بـين أسـنانها قبـل أن تقـول: "والآن.. اذهـب

بعيـدًا، أنـت تُشـتِّتني، لـديّ عمـل جـاد هنـا".

قُلت: "أرى ذلك، هل قبضتِ على القاتل بعد؟".

قالـت: "تبـدو كمُراسِـل، هـؤلاء الأوغـاد سـيتدفَّقون عـليّ خـلال سـاعة".

"ماذا ستخبرينهم حينئذٍ؟".

نظـرت إلى الأكيـاس التـي تحتـوي عـلى أجـزاء الجُثـة وتجهَّمـت، ليـس لأن المشـهد ضايقهـا، لكـن لأنهـا كانـت تنظـر لمسـيرتها المهنيَّـة، كانـت تحـاوِل أن تصـوغ بيانهـا للصحافـة.

"إنهـا مسـألة وقـت فقـط قبـل أن يرتكِـب القاتِـل خطـأ، ويُقبَـض عليـه».

قُلـت: "وهـذا يعنـي أنـه حتـى الوقـت الحـالي لم يقُـم بارتـكاب أي أخطـاء، وأنـكِ لا تمتلكـين أي دليـل، وأنـه سـيتحتَّم عليـكِ أن تنتظريـه ليقتُـل مـرة أخـرى قبـل أن تتمكنـي مـن فعـل أي شيء؟".

نظرت لي بقوة وهي تقول: "لقد نسيت، لماذا أنا مُعجبة بك؟».

لم أعرف، ليس لديّ أي فكرة، ويبدو أنها كذلك لا تعرِف.

قالـت وهـي تنظُـر نحـو الإنديـو المُبتعِـد: "كُل مـا لدينـا هـو هـذا الجواتيـمالي، لقـد وجـد الجُثـة حـين خـرج ليُلقـي قمامـة المطعـم، لم يُميِّـز أكيـاس القمامـة تلـك، فقـام بفتـح واحـدة لـيرى إذا مـا كانـت تحتـوي عـلى شيءٍ جيـدٍ، وكان الـرأس».

قُلت بصوتٍ خافتٍ: "بيكا - بو (بِخ)".

"ماذا؟".

"لا شيء".

تلفَّتـت حولهـا وهـي مُتجهِّمـة، ربمـا كانـت تأمـل في إيجـاد دليـل مـا لكنهـا لم تـره.

"إذًا هـذا هـو الأمـر، لم يـر أي شـخص أي شيء، أو يسـمَع أي شيء، لا شيء، علـيّ أن أنتظِـر زمـلاءك المُعقَّديـن لينتهـوا مـن عملهـم قبـل أن أعـرف أي شيء".

"أيتها المُحقِّقة".

ناداهـا صـوت مـن خلفنـا، اقـترب النقيـب ماثيـوس وهـو يسـبح في سـحابة مـن عطـر مـا بعـد الحلاقـة، مـما يعنـي أن المُراسـلين سـيكونون هنـا قريبًـا.

قالت لاجويرتا: "مرحبًا أيها النقيب».

قـال: "لقـد طلبـت مـن الضابِطـة مورجـان أن تعمـل بشـكلٍ سري في هـذه القضيـة».

جفلـت لاجويرتـا بينـما تابَـع: "بصفتهـا عميلـة سريـة لديهـا المـوارِد في قسـم مُكافحـة الرذيلـة، والتـي مـن المُمكِـن أن تُسـاعدنا في تسريـع الوصـول إلى حـل».

كان حديـث الرجـل مليئًـا بقامـوس مـن المُرادفـات التـي نمَّتها سـنوات عديـدة مـن كتابـة التقارير.

قالت لاجويرتا: "لا أعتقِد أن هذا ضروري أيها النقيب".

غَمَـزَ بعينـه وهـو يضـع يـده عـلى كتفهـا، إدارة النـاس في حـد ذاتهـا مهـارة، وقـال: "اسـترخي أيتهـا المُحقِّقـة، لـن تتدخَّـل في صلاحيـات قيادتـكِ، سـتتحدَّث معـكِ فقـط إذا مـا كان لديهـا مـا تُبلِّـغ عنـه، الشـهود، أشـياء مـن هـذا القبيـل، كان والدهـا شرطيًـا جيـدًا للغايـة، حسـنًا".

زاغَـت عينـاه قليـلًا قبـل أن يسـتعيد تركيـزه عـلى شيءٍ مـا في الطـرف الآخـر مـن موقـف السـيارات، نظـرت خلفـي، كانـت شـاحنة القنـاة السـابعة للأخبـار تدخُـل إلى المـكان، قـال ماثيـوس: "بعـد إذنِـك».

عـدَّل مـن وضـع رابِطـة عُنقـه، رسـم نظـرة جـادة عـلى وجهـه وهـو يتحـرَّك مـع الشـاحِنة، قالـت لاجويرتـا بصـوتٍ خافـتٍ: "كلبـة".

لم أعـرِف إذا مـا كانـت تعنـي هـذا بشـكلٍ عـامٍ، أو أنهـا كانـت تقصُـد ديـب، لكننـي اعتقـدت كذلـك أن هـذا هـو الوقـت المُناسِـب للهـروب أيضًـا، قبـل أن تتذكَّـر لاجويرتـا أن الضابِطـة الكلبـة هـي شـقيقتي.

عندمـا انضممـت مُجـدَّدًا لديـب، كان ماثيـوس يُصافِـح جـيري جونزاليـس مـن القنـاة السـابِعة، جـيري كان البطـل الرئيـسي لصحافـة منطقـة ميامـي، صحفـي مـن النـوع المُسـتعِد للنزيـف لـو كان هـذا سـيصل بـه إلى المُقدِّمـة، نوعـي المُفضَّـل مـن الرجـال، لكنـه كان ليعـود خائِـب الرجـاء هـذه المـرة.

شعرت بقشعريرة خفيفة تسري في جسدي، لا دماء على الإطلاق.

قالـت ديـبرا وهـي تحـاول التظاهُـر بكونهـا ضابِطـة دون أن تقـدِر عـلى إخفـاء حماسـها: "ديكسـتر، لقـد تحدَّثـت إلى النقيـب ماثيـوس، سـيدعني أعمـل في هـذه القضيـة".

قُلت: "لقد سَمِعت، كوني حَذِرَة".

رَمَشت في وجهي وهي تقول: "ما الذي تتحدَّث عنه؟".

قُلت: "لاجويرتا".

ظهرت عليها علامات الاستياء وهي تقول: "هي".

"أجل، هي، إنها لا تُحبِك، ولا تريدكِ على أرضها».

"هذا صعب، إنها تتلقى أوامرها من النقيب".

"أجـل، وهـا هـي قـد أمضَـت خمـس دقائِـق بالفعـل في معرفـة كيفيـة الالتفـاف مـن حـول أوامـره، لـذا انتبهـي إلى نفسـكِ يـا ديبـس".

سألتني: "ماذا اكتشفت؟».

هـزت رأسي وأنـا أقـول: "لا شيء بعـد، لاجويرتـا نفسـها لا تعـرف

شـيئًا، لكـن فينـس قـال..."

توقفـت عـن الحديـث لأن هـذا بـدا خاصًـا للغايـة، سـألتني: "مـاذا قـال فينـس؟".

"شيء صغير يا ديب، تفصيلة، من يدري ماذا تعني؟".

"لا أحد سيعرف إن لم تقُل شيئًا يا ديكستر".

"يبدو.. أنه لا توجد دماء في الجسد، لا توجد دماء على الإطلاق».

صمتـت ديـبرا لدقيقـةٍ تقريبًـا، غارقـة في أفكارهـا، ليسـت وقفـة صمـت، ليسـت مثـلي، كانـت تُفكِّـر فحسـب، قبـل أن تقـول في النهايـة: "حسـنًا، أنـا أستسـلِم، مـاذا يعنـي هـذا؟".

قُلت: "من المُبكِّر القول".

"لكنك تعتقِد أن هذا يعني شيئًا ما".

كان هـذا يعنـي خفّـة رأس غريبـة، كان يعنـي حكّـة لمعرفـة المزيـد عـن هـذا القاتِـل، كان يعنـي ضحكـة مكتومـة مُقـدَّرة مـن الراكِـب المُظلِـم، الـذي كان يجـب أن يكـون هادئًـا لفـترةٍ قصـيرةٍ بعـد الكاهِـن، لكـن كان مـن الصعـب شرح هـذا لديـبرا.. أليـس كذلـك؟ لذلـك قُلـت: "ربمـا يـا ديـب، مـن يـدري؟".

نظـرت لي بقـوةٍ لمُـدة نصـف دقيقـة تقريبًـا، قبـل أن تقـول: "حسـنًا، هـل هنـاك شيء آخـر؟».

قُلـت: "عمـل رائـع، قـام بعمـلٍ رائـعٍ بالنصـل الحـاد، القطـع يبـدو أقـرب مـا يكـون للقطـع الجراحـي، في حـال لم يجـدوا شـيئًا في الفنـدق، وهـو الأمـر الـذي لا يتوقّعـه أي شـخص، فعمليـة القتـل تمّـت في مـكانٍ آخـرٍ، ثـم تـم التخلُّـص مـن الجُثـة هنـا".

"أين؟".

"سـؤال جيـد للغايـة، نصـف رجـال الشُرطـة يسـألون السـؤال

الصحيـح".

قالت لي: "والنصف الآخر يُجيب".

"حسنًا، لا أحـد يعلـم أيـن يـا ديـب، وأنـا بـكُل تأكيـد لا أملـك كُل بيانـات الطـب الشرعـي".

قالت: "لكنك كُنت قد بدأت تشعُر بشيءٍ في هذه القضية".

نظـرت إليهـا، فبادلتنـي النظـر، كان لي القليـل مـن الحـدس مـن قبـل، كُنـت مشـهورًا بذلـك قليـلًا، كان حـدسي في كثـيرٍ مـن الأحيـان جيـدًا جـدًّا، ولمـاذا لا يجـب أن يكـون كذلـك؟ عـادةً مـا أعـرِف كيـف يُفكِّـر القتلـة، فأنـا أفكِّـر بنفـس الطريقـة، بالطبـع لم أكُـن دومًـا مُحقًّـا، أحيانًـا أخطـئ في أشـياء كثـيرةٍ، لـن يبـدو الأمـر جيـدًا إذا مـا كُنـت دومًـا مُحقًّـا، وبالطبـع لا أريـد لرجـال الشُّرطـة أن يقبضـوا عـلى كُل القتلة المُتسلسـلين الموجوديـن بالخـارج، إذًا مـاذا كُنـت لأفعـل عـلى سـبيل تزجيـة الوقـت؟ لكـن هـذا.. كيـف لي أن أذهـب في تلـك المغامـرة المثـيرة للاهتـمام؟

جادلتنـي ديـبرا قائلـة: "أخـبرني يـا ديكسـتر، هـل لديـك أي شـكوك حـول هـذه القضيـة؟".

قُلت: "ربما، لكن من المُبكِّر القول".

قـال لاجويرتـا مـن خلفنـا: "إذًا يـا مورجـان، أرى أنـكِ ترتديـن الـزي المناسـب لعمـل الشرطـة".

اسـتدرنا لنواجههـا، أحيانًـا مـا تكـون نـبرة صـوت لاجويرتـا مثـل صفعـة عـلى الوجـه، تصلَّبـت ديـبرا وهـي تقـول: "أيتهـا المُحقِّقـة، هـل وجـدتِ أي شيء بعـد؟".

قالتهـا وهـي تعلـم جيـدًا ماهيـة الإجابـة، طلقـة رخيصـة، لكنهـا طائشـة كذلـك، لوَّحـت لاجويرتـا بيدهـا في الهـواء وهـي تقـول: "لم أجِـد سـوى العاهـرات".

قالتها وهـي تنظُـر إلى صـدر ديـبرا البـارز للغايـة مـن زي العاهـرة الـذي ترتديـه، قبـل أن تضيـف: "العاهـرات فحسـب، الـشيء الهـام هنـا هـو منـع الصحافـة مـن الدخـول في حالـة هيسـتيريا".

هـزَّت رأسـها ببـطء، وكأنهـا لا تُصـدِّق الأمـر قبـل أن تنظُـر للأعـلى قائلـة: "بالنظـر إلى مـا يُمكنـكِ القيـام بـه مـع الجاذبيـة، ينبغـي أن يكـون هـذا سـهلًا".

غمـزت لي قبـل أن تعـود للتحـرُّك في المـكان، نحـو الكابـتن ماثيـوس الـذي كان يتحـدَّث متحليًـا بكثـيرٍ مـن الكرامـة إلى جـيري جونزاليـس مـن القنـاة السـابعة.

قالت ديبرا: "عاهرة".

"أنـا آسـف يـا ديـبرا، هـل تريديـن منـي أن أقـول سـنريها مـاذا سـنفعل؟ أم ينبغـي عـليّ أن أقـول لقـد أخبرتـكِ بهـذا؟".

رمقتنـي بنظـرةٍ حـادةٍ وهـي تقـول: "اللعنـة يـا ديكسـتر، أردت حقًّـا أن أكـون الشـخص الـذي سـيلقي القبـض عـلى هـذا الرجـل".

وبينما كُنت أفكِّر في أنه لا توجد أي دماء على الإطلاق..

وكذلك أنا، أردت حقًّا أن أجده بدوري.

الفصل الرابع

أخذت قاربي في تلك الليلة بعد العمل، للابتعاد عن أسئلة ديب، وترتيب مشاعري، مشاعر، أنا، مشاعري، يا له من مفهوم.

حرَّكت قاربي إلى خارج القناة ببطءٍ، لم أكُن أفكِّر في شيء، في حالة كاملة من السلام النفسي، أعبر المنازل الكبيرة بسرعة خاملة جدًّا، تفصلها جدران عالية وأسوار مصنوعة من السلاسل عن بعضها البعض، ألقيت ابتسامة مُشرقة وأنا ألوِّح بيدي للجيران الموجودين في ساحاتهم التي تمَّت بدقة وصولًا لجدار القناة البحري، الأطفال يلعبون على العشب المُشذَّب، الآباء والأمهات مشغولون بالشواء، أو التسكُّع، أو تلميع الأسلاك الشائكة، بينما يُراقبون الأطفال بأعين كالصقور، لوَّحت للجميع، حتى أن بعضهم لوَّح لي بالمقابل، كانوا يعرفونني، رأوني أمرُّ من هنا من قبل، دائمًا ما أكون مُبتهجًا، حريصًا على تحية الجميع، يا له من رجل لطيف، ودود للغاية، لا أصدِّق أنه فعل تلك الأشياء الرهيبة.

فتحت الخانِق بمُجرَّد خروجي من القناة، متوجهًا نحو الجنوب شرق، نحو خليج فلوريدا، أشعر بالرياح في وجهي، يُساعدني رذاذ الملح في التفكير، يجعلني أشعر أنني نظيف وأنشط قليلًا، وجدت أن الأمر أسهل كثيرًا في التفكير بهذه الطريقة، كان الهدوء وسلام الماء جزءًا من الأمر، أما الجُزء الآخر فكان في الزوارق.. تقليد ميامي الأفضل، بدا وكأن مُعظم القوارب الأخرى تحاول قتلي، وجدت ذلك مُريحًا للغاية، كُنت في منزلي، هذا هو بلدي، وهؤلاء هم شعبي.

كُنت أحصل على القليل من تحديثات الطب الشرعي طوال

اليوم في العمل، بحلول وقت الغداء.. انتشرت القصة على الصعيد الوطني، كان الستار ينكشِف عن جرائم قتل العاهرات بعد (الاكتشاف المروِّع) في فندق كاشيك، قامت القناة السابعة بعملٍ بارع في تصدير حالة من الرعب الهيستيري لأجزاء الجسد الموجودة في صندوق القمامة دون أن تقول أي شيء عنها، وكما لاحظت المُحقِّقة لاجويرتا بذكاءٍ، فإن هؤلاء لم يكُن سوى عاهرات، لكن بمُجرَّد أن بدأ الضغط الشعبي في التصاعُد من وسائل الإعلام، فقد يكونون كذلك بنات سيناتور، وهكذا.. بدأت الإدارة تستعِد لفترةٍ طويلةٍ من المناورات الدفاعية، مُدركةً تمامًا نوع الهراء الموجِع للقلب الذي سيأتي من الجنود الشجعان الذين لا يشعرون بالخوف في المقاطعة الخامسة.

بقيت ديب في مسرح الجريمة حتى بدأ النقيب يشعُر بالقلق بشأن تصريحها بحصولها على الكثير من العمل الإضافي، قبل أن يُعيدها إلى المنزل، بدأت تتصل بي في الثانية بعد الظهر لتسمع عما اكتشفته، الذي كان قليلًا للغاية، لم يجدوا أي أثر لأي شيء في الفُندق، بينما وجدوا آثارًا لإطارات سيارات كثيرة في موقف السيارات التي لم يبدُ أي منها مُميَّزًا، لا بصمات أو آثار في صندوق القمامة، أو على الأكياس، أو على أجزاء الجسد، كل شيء نظيف تمامًا.

الدليل الوحيد الكبير لهذا اليوم كان القدم اليُسرى، كما لاحظ أنجيل، تم تقسيم القدم اليُمنى إلى عدة قطع دقيقة؛ قطعة الفخذ، الركبة، والكاحِل، لكن القدم اليُسرى لم تكُن كذلك، كانت مُجرَّد قطعتين، ملفوفتين بدقةٍ، وكما قالت المُحقِّقة لاجويرتا، السيدة العبقرية، فإن شخصًا ما قد قاطَع القاتل، فاجأه، شتَّته قبل أن ينتهي من التقطيع، شعر بالفزع حين شوهِد، وجَّهت كُل جهودها للبحث عن ذلك الشاهِد.

كانت هناك مُشكلة صغيرة في نظرية لاجويرتا عن المُقاطعة، شيء صغير للغاية، ربما أصغر من شعرة، كان الجسد كُله لا يزال نظيفًا للغاية، كما يبدو أنه تم لفّه بهذه الطريقة بعد تقطيعه، وبعد ذلك تم نقله بعنايةٍ إلى صندوق القمامة، على ما يبدو كان لدى القاتِل ما يكفي من الوقت للتركيز على عدم ارتكاب أي أخطاء، وعدم ترك أي آثار، ولم يُشر أي شخص إلى ذلك أمام لاجويرتا، أو -للعجب العجاب- ربما لم يلاحظ هذا أي شخص آخر؟ مُمكِن، الكثير من عمل الشرطة هو أمور روتينية، تحويل التفاصيل إلى أنماط، وفي حال كان النمط جديدًا، سيبدو التحقيق تمامًا كما لو كان ثلاثة من العميان يبحثون عن فيل بالميكروسكوب.

لكن بما أنني لم أكُن أعمى، أو يعوقني الروتين، فقد بدا لي أن القاتل ببساطةٍ غير راضٍ، كان لديه الكثير من الوقت من أجل العمل، لكن كانت هذه هي جريمة القتل الخامسة بنفس النمط، هل أصبح الأمر مُمِلًا، ببساطة تقطيع الجُثة؟ هل كان ولدنا يبحث عن شيء آخر. شيء مُختلِف؟ اتجاه جديد، تطوُّر غير مُجرَّب؟

كان بإمكاني الشعور بإحباطه تقريبًا، أن تصل إلى هذا الحد، أن تقطع الطريق بأكمله وصولًا للنهاية، أن تقسِّم البقايا وتلفها كهدية، ثم تُدرِك فجأة.. هذا ليس هو، هناك أمر غير صحيح.. كلذّة الجماع..

لم يعُد الأمر يلبي رغبته بهذه الطريقة بعد الآن، كان بحاجةٍ لنهجٍ جديدٍ، كان يحاول التعبير عن شيء ما، ولم يجد مفرداته بعد، وفي رأيي الشخصي -أعني، إذا كُنت أنا- فإن هذا سيجعله مُحبطًا جدًا، ومن المُرجَّح جدًا أن يبدأ في البحث عن الجواب أبعد قليلًا. قريبًا.

لكن دع لاجويرتا تبحث عن الشاهِد، لن تجد شيئًا، إنه وحش

بـارد، حـذر، وبالتأكيـد مُبهـر بالنسـبة لي، ومـاذا يجـب عـليّ أن أفعـل تجـاه ذلـك الانبهـار؟ لم أكُـن مُتأكِّـدًا، لذلـك أتيـت إلى قـاربي للتفكـير، أقطـع المياه كسـهم بسرعـة سـبعين ميـلًا في السـاعة، عـلى بُعـد بوصـات قليلـة، لوَّحـت بسـعادة وأنـا أعـود للحـاضر مـرة أخـرى، كُنـت أقـترِب مــن ستيلتســفيل، مجموعــة كبــيرة مــن المنــازل القديمــة المهجــورة الموجـودة في الميـاه بالقُـرب مـن خليـج فلوريـدا.

دُرت في دائــرة كبــيرة، غــير ذاهــب إلى أي مــكان، ســامحًا لأفــكاري بالــدوران في نفــس القــوس البطــيء.

مــاذا ســأفعل؟ كُنــت بحاجــة لاتخــاذ القــرار الآن، قبــل أن أصبــح مفيـدًا جـدًّا لديـبرا، بإمـكاني مُسـاعدتها في حـل هـذا، بالطبـع.. لا يوجـد أحــد أفضــل، لــن يتحــرَّك أي شــخص في الاتجــاه الصحيــح، لكــن هــل أريـد المُسـاعدة؟ هـل أريـد أن يتـم القبـض عـلى هـذا القاتـل؟ أم أننـي أريـد العثـور عليـه وإيقافـه بنفسـي؟ والأهـم مـن ذلـك.. الأمـر الـذي كان التفكـير فيـه مُزعجًـا للغايـة، هـل أريـده حقًّـا أن يتوقَّـف؟

ماذا سأفعل؟

إلى يمينــي.. كان بإمــكاني رؤيــة إليــوت كي عــلى ضــوء آخــر شــعاع شــمس في اليــوم، وكــما هــو الحــال دائمًــا.. تذكَّــرت رحلتــي للتخييــم هنــاك مــع هــاري مورجــان، والــدي بالتبنــي، الشُّرطــي الجيــد.

أنت مُختلِف يا ديكستر.

أجل يا هاري، بالتأكيد أنا كذلك.

لكــن بإمكانِــك أن تتعلَّــم الســيطرة عــلى هــذا الاختــلاف، واســتخدامه بشــكلٍ بنــاء.

حســنًا يــا هــاري، إذا كان باعتقــادِك أنــه ينبغــي عــليّ فعــل هــذا، فكيــف؟

وأخبرني.

لا توجـد سـماء مُرصَّعـة بالنجـوم في أي مـكان مثـل سـماء جنـوب فلوريـدا، عندمـا تكـون في الرابعـة عـشرة مـن عُمـرك وتذهَـب للتخييـم مـع والـدك، حتـى لـو كان والـدك بالتبنـي، وحتـى لـو كان منظـر كُل تلـك النجـوم يملـؤك بنـوعٍ مـن الارتيـاح، العواطـف غـير مطروحـة الآن، أنـت لا تشـعُر بهـا، هـذا جـزء مـن سـبب وجـودك هنـا.

هــدأ وهــج النــيران، وأضحــت النجــوم أكــثر إشراقًــا، وهــدأ والــدك بالتبنـي العجـوز العزيـز لبعـض الوقـت، يرتشِـف رشـفات صغـيرة مـن قـارورة الخمـر ذات الطـراز القديـم، التـي كان قـد أخرجهـا مـن حقيبـة ظهــره، لم يكُــن جيــدًا في ذلــك، ليــس كالعديــد مــن رجــال الشُرطــة الآخريـن، لم يكُـن سـكيرًا، لكنـه كان فارغًـا في الوقـت الحـالي، وقـد حـان الوقـت ليقـول خطبتـه إذا مـا كان سـيقولها يومًـا.

قال: "أنت مُختلِف يا ديكستر".

نظـرت بعيـدًا عـن سـطوع النجـوم، نحـو الظـلال الصغـيرة الرمليـة التــي تبــدو عــلى وهــج النــيران الصغــيرة، بعضهــا يتدفَّــق عــبر وجــه هـاري، يبـدو غريبًـا بالنسـبة لي، كـما لـو أننـي لم أره مـن قبـل، صـارِم، غـير سـعيد، شـارِد قليـلًا، أقـول: "مـاذا تقصـد يـا أبي؟".

لا ينظر نحوي وهو يقول: "يقول بيلوبس أن بادي اختفى".

"كلــب مُخيــف صغــير، كان ينبــح طــوال الليــل، ولم تســتطِع أمــي النــوم".

تحتــاج أمــي للنــوم بالطبــع، الاحتضــار بســبب السرطــان يتطلَّــب الكثـير مـن الراحـة، التـي لم تكُـن تحصُـل عليهـا بسـبب هـذا الكلـب الصغـير المُزعِـج، الموجـود في الجهـة المُقابِلـة مـن الشـارع والمُسـتمر بالنبـاح عـلى كُل ورقـة شـجر تطـير عـلى الناحيـة الأخـرى مـن الرصيـف.

قـال هـاري: "لقـد وجـدت القـبر، كان هنـاك الكثـير مـن العظـام هنـاك يـا ديكسـتر، لم تكُـن عظـام بـادي فقـط".

لم يكُـن هنـاك الكثـير لقولـه الآن، رفعـت يـدي ببـطء وهـي مليئـة بإبـر الصنوبـر، وانتظـرت هـاري.

"منذ متى وأنت تفعل هذا؟".

بحثـت في وجـه هـاري، قبـل أن أنظـر إلى الجهـة المُقابِلـة نحـو الشـاطئ، قاربنـا هنـاك، يتحـرَّك بلطـفٍ مـع حركـة المِيـاه، أضـواء ميامي مطفـأة ناحيـة اليمـين، إلا مـن توهُّـج أبيـض خافِـت، لا أسـتطيع معرفـة أيـن يذهـب هـاري بهـذا، مـاذا يُريـد أن يسـمَع، لكنـه كان والـدي بالتبنـي، الحقيقـة دائمًـا مـا تكـون فكـرة جيـدة مـع هـاري، لأنـه دائمًـا يعـرف، أو يكتشِـف هـذا.

قُلت: "عام ونصف».

أومأ هاري وهو يقول: "لماذا بدأت؟".

سـؤال جيـد للغايـة، وبالتأكيـد يتجـاوز سـنوات عُمـري الأربعـة عـشر، قُلـت: "إنـه فقـط.. مُجـرَّد نـوع مـن.. كان لا بـد لي مـن ذلـك".

وحتى وقتذاك.. كُنت صغيرًا للغاية، لكنني كُنت سلسًا للغاية.

أراد أن يعـرف، سـألني: "هـل تسـمع صوتًـا مـا؟ شـيئًا مـا أو شـخصًا مـا يُخـبرِك بمـا سـتفعل، أو بمـا يجـب أن تفعـل؟".

قُلت ببلاغة طفل عمره أربعة عشر عامًا: "ليس بالضبط".

قال هاري: "أخبرني عن الأمر".

القمـر، القمـر المُكتمِـل الجيـد، كان شـيئًا أكـبر للنظـر إليـه، أمسـكت بحفنـة أخـرى مـن إبـر الصنوبـر، شـعرت بوجهـي سـاخنًا، كـما لـو كان أبي قـد طلـب منـي أن أتحـدَّث عـن أحلامـي الجنسـية، الأمـر الـذي كان مُشـابهًا بطريقـةٍ مـا، قُلـت: "أنـا.. نوعًـا مـا.. كـما تعـرف.. أشـعر

بشيءٍ ما.. بداخلي.. يُراقبني، ربما.. ربما يضحك؟ لكنه ليس صوتًا، إنه فقط...".

عجزت بلاغتي عن التعبير عن الأمر، لكن هاري بدا وكأنه قد فهم كُل شيء.

"وهذا الـ (شيء ما)، يجعلك تقتل الأشياء".

حلَّقت طائرة بطيئة فوق رؤوسنا وأنا أقول: "لا، لا يُجبرني، هو فقط.. يجعل الأمر يبدو كفكرة جيدة؟".

"هل أردت يومًا أن تقتل شيئًا آخر؟ شيئًا أكبر من الكلب؟".

حاولت الإجابة، لكن كان هناك شيء ما في حلقي، حاولت تنظيفه وأنا أقول: "أجل".

"شخصًا؟".

"لا أحد على وجه الخصوص يا أبي".

قُلتها وصمت قليلًا، فسألني: "لماذا لم تفعَل؟".

"لم أعتقِد أنكما ستحبّان الأمر، أنت ووالدتي".

"هذا هذا كُل ما جعلَك تتوقَّف؟".

"أنا.. أنا لم أرِد أن أجعلكما.. غاضبين مني.. أنت تعرف.. أو خائبي الأمل".

استرقت النظر إلى هاري، كان ينظُر إليّ، دون أن يرمِش، سألته: "هل هذا هو سبب قيامنا بتلك الرحلة يا أبي؟ لنتحدَّث عن ذلك؟".

قال هاري: "أجل، نحن بحاجة إلى تهيئتك".

تهيئة، أجل، فكرة هاري المثالية عن كيفية عيش الحياة، مع أركان المُستشفيات والأحذية المصقولة، وحتى في ذلك الحين.. كُنت

أعرِف، الرغبة في قتل شيء بين الحين والآخر، سواء عاجلًا أم آجلًا كانت ستعترض طريق عملية التهيئة.

قُلت: "كيف؟".

نظر لي نظرة طويلة وقاسية، قبل أن يومئ برأسه حين رأى أنني مُستعد للقيام بالأمر خطوة بخطوة.

قال: "ولد جيد، الآن...".

صمت بعدما نَطَق كلمة الآن، مرَّ وقت طويل قبل أن يتحدَّث مرة أخرى، راقبت أضواء قارب وهو يمر، ربما على بُعد مائتي ياردة من شاطئنا الصغير، وفوق صوت مُحرِّكهم.. كانت تصدح موسيقى كوبية، قال هاري مرة أخرى: "الآن...".

نظرت نحوه، لكنه كان ينظُر بعيدًا، عبر النار المُحتضِرة، نحو المُستقبل الموجود هناك في مكانٍ ما، قال: "هكذا الأمر...".

استمعت بعناية، هذا ما يقوله هاري حينما يُعطيك حقيقة صادِقة، حينما علَّمني كيفية رمي كُرة مقوَّسة، هكذا الأمر، دائمًا ما قال هذا، ودائمًا ما كان الأمر كذلك.

"أنا أتقدَّم في السن يا ديكستر".

انتظرني لأعترِض، لكنني لم أفعل، أومأ وهو يقول: "أعتقِد أن الناس يفهمون الأشياء بشكلٍ مُختلِفٍ حينما يتقدَّمون في السن، ليست المسألة في اللين، أو في رؤية الأشياء في المنطقة الرمادية، بدلًا من الأسود والأبيض، أعتقد حقًّا أنني أفهَم الأمور بشكلٍ مُختلفٍ، بشكلٍ أفضل".

نظر إليّ، نظرة هاري، حُب قاسٍ وأعين زرقاء.

قُلت: "حسنًا".

قال: "قبل عشر سنوات، كُنت سأضعك في مصحة نفسية في

مـكانٍ مـا".

رمشــت، كاد هــذا يؤلمنــي، إلا أننــي فكَّــرت في الأمــر، قــال: "الآن.. أعتقِـد أننـي أعـرف أفضـل، أعـرِف مـا أنـت عليـه، وأعـرِف كذلـك أنـك طفـل جيـد".

قُلت: "لا".

خرجــت خافتــة وضعيفــة، لكــن هــاري ســمعها، وقــال بصرامــة: "أجــل، أنــت طفــل جيــد، أنــا أعــرف ذلــك، أنــا أعــرف ذلــك".

قالهـا وكأنـه يُحـدِّث نفسـه، ربمـا مـن أجـل إحـداث التأثـير، قبـل أن ينظُـر في عينـيَّ وهـو يقـول: "وإلا لمـا كُنـت اهتممـت بمـا اعتقـدت، أو بمـا اعتقـدَت والدتـك، كُنـت لتفعـل الأمـر فحسـب، لا يُمكِنـك منـع الأمـر، أعـرِف هـذا.. لأن...".

صَمَـت وهـو ينظـر لي، كان هـذا غـير مُريـح بالنسـبة لي، سـألني: "مـاذا تتذكَّـر مـن قبـل، أنـت تعـرِف.. مـن قبـل أن نأخـذك".

لا يـزال هـذا مؤلمًـا، لكننـي حقًّـا لا أعـرف لمـاذا، كان عُمـري ثـلاث سـنوات فقـط.

"لا شيء".

قال: "هذا جيد، لا ينبغي لأحد أن يتذكَّر ذلك".

ومـا دام عـلى قيـد الحيـاة، لـن يقـول أكـثر مـن ذلـك، أضـاف: "لكـن عـلى الرغـم مـن أنـك لا تتذكَّـر يـا ديكـس، لقـد فعلـت أشـياء لـك، تلـك الأشـياء هـي مـا يجعلـك مـا أنـت عليـه، لقـد تحدَّثـت مـع البعـض بشـأن الأمـر".

والغريـب في الأمـر.. أنـه ابتسـم نحـوي ابتسـامة صغـيرة جـدًّا، خجولة تقريبًـا، قبـل أن يقـول: "لقـد توقعـت هـذا، مـا حـدث لـك عندمـا كُنـت طفـلًا صغـيرًا هـو مـا شـكَّلت، حاولـت تصحيـح الأمـر، لكـن...".

صمت قليلًا قبل أن يُضيف: "كان قويًا للغاية، أكثر من اللازِم، لقد دخل إليك مُبكرًا للغاية، وسيبقى هناك، سيجعلك راغبًا في القتل، لن يُمكِنك منع ذلك، لن يُمكِنك تغيير ذلك، لكن...".

نظر بعيدًا مرة أخرى وهو يقول: "لكن يُمكنَك توجيهه، السيطرة عليه، اختر...".

انتقى كلماته بعنايةٍ شديدةٍ، كان أكثر حرصًا مما سمعته يتحدَّث من قبل وهو يقول: "اختر ماذا.. أو من.. ستقتل».

ابتسم نحوي ابتسامة لم أرها من قبل، ابتسامة كئيبة وجافة مثل رماد نارنا المُحتضرة وهو يُضيف: "هناك العديد من الناس الذين يستحقُّون الأمر يا ديكس".

وشكَّلت هذه الكلمات القليلة حياتي بأكملها، كُل شيء فيَّ، كينونتي وماهيتي، هاري، الرجل الرائع، العارِف بكُل شيء، المُتفهِّم لكُل شيء، أبي.

لو كُنت قادرًا على الحُب، كُنت سأحب هاري.

حدث ذلك منذ وقت طويل، هاري ميت منذ فترة طويلة، لكن دروسه حية تُرزَق، ليس بفضل أي مشاعِر عاطفية دافئة أملكها نحوه، لكن لأن هاري كان مُحقًّا، لقد أثبت الأمر مرارًا وتكرارًا، هاري كان يعرف، وهاري علَّمني جيدًا.

كُن حذرًا، قالها هاري، وعلَّمني كيف أكون حريصًا مثلما يُعلِّم شُرطيٌّ قاتلًا.

أن أختار بعنايةٍ من بين أولئك الذين يستحقّون ذلك، أن أتأكَّد تمامًا، ثم أرتِّب للأمر، ألا أترك آثارًا، وأن أتجنَّب دائمًا التورُّط العاطفي، حيث يُمكِنه أن يؤدي إلى أخطاء، بالطبع.. توخي الحذر أكثر أهمية من القتل ذاته.

توخـي الحـذر يعنـي بنـاء حيـاة مليئـة بالحـرص، تقسـيمها، خلـق صداقـات، تقليـد الحيـاة.

وكان هـذا كُل مـا فعلتـه، بعنايـةٍ فائقـةٍ، كُنـت صـورة شـبه مثاليـة ثلاثيـة الأبعـاد، فـوق مسـتوى الشـبهات، فـوق اللـوم، وتحـت حـد الاحتقـار، وحـش أنيـق ومُهـذَّب، صبـي مـن المنـزل المجـاور، حتـى ديـبرا كانـت نصـف مُخدوعـة عـلى الأقـل، نصـف الوقـت، بالطبـع صدقـت مـا أرادت تصديقـه كذلـك.

في الوقـت الحـالي، كانـت تصـدِّق أننـي يُمكننـي أن أسـاعدها في حـل هـذه الجريمـة، قفـزة للأمـام في مسـيرتها المهنيَّـة، وقفـزة هائلـة للأمـام نحـو خروجهـا مـن زي العاهـرة الهوليوديـة، لارتـداء بدلـة تجاريـة مُصمَّمـة لهـا خصيصًـا، وكانـت مُحقَّـة، بالطبـع يُمكننـي مُسـاعدتها، لكننـي لم أرد ذلـك حقًّـا، لأننـي استـمتعت بمُشـاهدة عمـل هـذا القاتـل الآخـر، وشـعرت بنـوعٍ مـن التواصـل الجـمالي.

تورُّط عاطفي.

حسنًا، هذا هو الأمر، كُنت أنتهِك قانون هاري انتهاكًا واضحًا.

وجَّهـت القـارِب مـرة أخـرى نحـو القنـاة، كانـت غارِقـة في الظـلام الآن، لكننـي قُـدت اعتـمادًا عـلى بـرج الراديـو وأنـا أميـل بضـع درجـات يسـارًا نحـو ميـاه منـزلي.

فليكُن.. لطالما كان هاري مُحقًّا، وقد كان مُحقًّا الآن كذلك.

لا تتورَّط عاطفيًّا، قالها هاري، لذلك لن أفعل.

سأساعِد ديب.

الفصل الخامس

في صباح اليوم التالي كانت تُمطِر، وكان الازدحام المروري مجنونًا، كما هو الحال في ميامي دائمًا عندما تُمطِر، تباطأ بعض السائقين على الطُرق الزلِقة، وهو الأمر الذي جَعَل السائقين الآخرين غاضبين، وضغطوا على أبواقهم، صرخوا عبر نوافِذهم، صعدوا على الأرصفة، ومروا بغضبٍ بجوار السائقين المُبطئين ولوَّحوا بقبضاتهم.

عند مُنحدَر طريق ليجين، كانت شاحِنة مُنتجات ألبان ضخمة قد طاحَت من فوق الرصيف واصطدمَت بسيارة تابعة لمدرسةٍ كاثوليكيةٍ مليئةٍ بالأطفال، انقلَبت شاحنة مُنتجات الألبان، والآن.. خمس فتيات صغيرات يرتدين تنانير صوف منقوشة كُن يجلِسن في بركة ضخمة من الحليب، وتعلو وجوههن نظرات مذهولة، توقَّفت حركة المرور لمُدة ساعة تقريبًا، بينما تم نقل طفل واحد عن طريق الجو إلى مُستشفى جاكسون، بينما جلس البقية في الحليب بملابسهم الرسمية يراقبون البالغين وهم يصرخون في بعضهم بعضًا.

تحرَّكت ببطءٍ مُستمعًا إلى الراديو، على ما يبدو.. كانت الشرطة في أثر جزار تاميامي، لم تكُن هناك تفاصيل مُتاحة، لكن النقيب ماثيوس الذي كان يتحدَّث بصوتٍ جميلٍ، جعل الأمر يبدو وكأنه سيعتقِل الجاني بنفسه بمُجرَّد أن يُنهي قهوته.

أخيرًا وصلت إلى الطريق الرئيسي، وبدأت أمشي أسرع قليلًا، توقَّفت في متجر كعك محلِّي ليس ببعيد عن المطار، اشتريت فطائر التفَّاح وفطائر مقليَّة، لكن فطائر التُفَّاح كانت قد اختفَت قبل أن أعود إلى السيارة، لديّ شهية مفتوحة للغاية، يأتي الأمر مع عيش الحياة الجيدة.

توقَّف المطر بحلول الوقت الذي وصلت فيه إلى العمل، أشرقَت الشمس وبدأ البُخار في التصاعُد من الرصيف وأنا أسير في الردهة، تومِض أوراق اعتمادي، صعدت إلى الطابِق العلوي.

ديب كانت تنتظرني بالفعل.

لم تبد سعيدة هذا الصباح بطبيعة الحال، لكنها لا تبدو سعيدة في كثير من الأحيان ففي النهاية.. إنها شُرطية، ومُعظمهم لا يستطيع القيام بالخُدعة على الإطلاق، يقضون الكثير من الوقت في الخدمة محاولين التظاهُر بأنهم ليسوا بشرًا، وهذا يترك وجوههم عالِقة.

قُلت وأنا أضع كيس المُعجّنات البيضاء الشهية على مكتبي: "ديب".

قالت: "أين كُنت الليلة الماضية؟".

كانت لاذِعة للغاية كما توقَّعت، قريبًا ستتحوَّل خطوط العبوس إلى خطوطٍ دائمةٍ، لتُدمِّر وجهًا رائعًا، عينان زرقاوان عميقتان، مليئتان بالذكاء، وأنف مقلوب صغير، مع كثير من النمش، مُحاطًا بشعرٍ أسودٍ، ملامِح جميلة، مُغطَّاة بحوالي سبعة كيلو جرامات من المكياج الرخيص.

نظرت إليها بولعٍ، كان من الواضِح أنها آتية من العمل، ارتدَت اليوم حمالة صدر، سروال سبانديكس قصيرًا ورديًا فاتحًا، وحذاء ذهبيًا بكعبٍ عالٍ، قُلت: "لا تؤاخذيني، أين كُنتِ أنتِ؟".

احمرَّت خجلًا، كانت تكره ارتداء أي شيء إلا إذا كان نظيفًا، أزرق اللون، قالت: "حاولت أن أتحدَّث إليك".

قُلت: "أنا آسف".

"أجل، بالطبع".

جلست في مقعدي دون أن أنبس بكلمة، تُحب ديب أن تُفرِغ

طاقتها فيّ، هذا ما تعنيه العائلة، سألتها: "لماذا كُنتِ مُتلهِّفة للتحدُّث معي؟".

قالت وهي تفتح كيس الكعك المحلى وتنظر بداخله: "يحاولون إبعادي".

قُلت: "ماذا توقعتِ؟ أنتِ تعرفين كيف تشعُر لاجويرتا تجاهكِ".

أمسكت بواحدة من الفطائر المقلية وأخرجتها من الكيس، والتهمتها.

قالت بفمٍ مُمتلئ: "توقعت.. أن أشارك في تلك القضية، مثلما أمر النقيب".

قُلت: "ليس لديكِ أي أقدمية، أو أي ذكاء سياسي".

طبَّقت الكيس وألقت به نحو رأسي، لكنها أخطأت التصويب وهي تقول: "اللعنة يا ديكستر، أنت تعلم جيدًا أنني أستحِق التواجُد في قسم جرائم القتل اللعين، بدلاً من...".

جذبت ذراع حمَّالة الصدر وهي تُشير نحو زيها الفاضِح وهي تقول: "هذا الهراء".

أومأت وأنا أقول: "يبدو جيدًا رغم كُل شيء".

رمقتني بوجهٍ غاضبٍ، تنافس الغضب والاشمئزاز على الظهور عليه وهي تقول: "أنا أكره هذا، أقسِم لك.. بأنني لا أستطيع القيام بالأمر أكثر من ذلك، وإلا سأجن".

"من المُبكِّر قليلًا بالنسبة لي أن أكتشِف كُل شيء يا ديب".

قالت: "اللعنة".

كُل ما يُمكِنك قوله عن عمل الشُّرطة، كان يُدمِّر مُفردات ديبرا، حدجتني بنظرة شرطية قاسية، لأول مرة ترمقني بها، كانت نظرة هاري، نفس العينين، نفس الشعور بالنظر إليك وصولًا إلى الحقيقة،

وهـي تقـول: "لا تتعامَـل معـي بهـذه الطريقـة اللعينـة يـا ديكـس".

قالـت: "كُل مـا عليـك فعلـه نصـف الوقـت هـو رؤيـة الجُثـة، وتعلـم مـن فعلهـا، لم أسـألك يومًـا كيـف تفعلهـا، لكـن في حـال كان لديـك أي حـدس بخصـوص تلـك القضيـة، أريـد أن أعـرِف بـه".

لكمـت مكتبـي المعـدني مُسـببةً انبعاجًـا صغـيرًا وهـي تُضيـف: "اللعنـة.. أريـد خلـع هـذا الـزي الغبـي".

سـمعنا صوتًـا عميقًـا يـأتي مـن خلفهـا ليقـول: "ونحـن سـنُحِب أن نـرى هـذا يـا مورجـان".

نظرت للأعلى، ورأيت فينس ماسوكا يبتسِم لنا.

قالت له ديب: "لن تعرف ماذا تفعل يا فينس".

اتسـعت ابتسـامته، تلـك الابتسـامة المُزيّفـة، المُشرِقـة وهـو يقـول: "لمـاذا لا نُجـرِّب ونكتشِـف الأمـر؟".

قالـت في عبـوسٍ لم أره منـذ كانـت في الثانيـة عـشرة مـن عُمرهـا وهـي تقـول: "في أحلامـك يـا فينـس".

رمـق فينـس الكيـس الورقـي المُجعّـد الموجـود فـوق مكتبـي وهـو يقـول: "كان اليـوم دورك، مـاذا أحـضرت لي؟ أيـن هـي؟".

قُلت: "آسف يا فينس، أكلت ديب فطيرتك المقلية".

قـال مُقلـدًا لهجتـي: "أتمنـى هـذا، حينئـذٍ سـآكل لفافـة الجيـلي الخاصـة بهـا، أنـت مديـن لي بكعكـة مُحـلاة كبـيرة يـا ديكـس".

قالت ديبرا: "ستكون الشيء الكبير الوحيد الذي ستحظى به".

قال لهـا فينـس: "لا يتعلّـق الأمـر بحجـم الكعكـة المحـلاة، بـل بمهـارة الخبّاز».

قُلـت: "مـن فضلكـما.. سـتصيبانني بصُـداع في الفـص الجبهـي، مـن المُبكّـر للغايـة أن تكونـا بمثـل ذلـك الـذكاء".

قال فينس بابتسامته المُزيَّفة الفظيعة: "حسنًا.. أراك لاحقًا".

غَمَزَ بعينه وهو يقول: "لا تنسي كعكتي المحلاة".

وهو عائد نحو مجهره الموجود في نهاية القاعة، سألتني ديب: "إذًا.. ماذا اكتشفت؟".

تؤمِن ديب أنني أمتلك حدسًا بين الحين والآخر، ولديها سبب لتعتقِد بهذا، عادةً ما كانت تخميناتي المُلهِمة تتعلّق بالضربات الوحشية التي تخترِق مسكينًا قذرًا كُل بضعة أسابيع، رأتني ديبرا عدة مرات وأنا أضع إصبعًا نظيفًا وسريعًا على شيء لم يعرف أي شخص آخر بوجوده، لم تقُل شيئًا أبدًا، لكن أختي شرطية لعينة جيدة، ولهذا اشتبهت فيّ لشيءٍ ما لفترةٍ ما، لم تكُن تعرف للأمر سببًا، لكنها عَرِفت أن هناك شيئًا خاطئًا، وهو الأمر الذي يُزعِجها كالجحيم بين الحين والآخر، لأنها كانت تحبني رغم كُل شيء، آخر شيء يُحبني على وجه الأرض، ليست هذه شفقة على الذات، بل هي معرفة واضِحة وبارِدة بنفسي، أنا غير محبوب، باتباع خطة هاري.. حاولت إقحام نفسي في علاقات مع أشخاص آخرين، لدرجة أنني حاولت الوقوع في الحُب، في أشد لحظاتي سذاجة، لكن الأمر لم يُفلح، هناك شيء مكسور أو مفقود بداخلي، وعاجلًا أم آجلًا.. سيُمسك بي شخص ما وأنا أمثِّل، أو في ليلة من تلك الليالي.

لا أستطيع تربية الحيوانات الأليفة، الحيوانات تكرهني، اشتريت كلبًا في مرة، نَبَح وزمجر نحوي دون توقُّف أو مُبرِّر لمُدة يومين مُتتاليين، قبل أن أتخلَّص منه، حاولت تربية سلحفاة، لمستها مرة، ولم تخرُج من صدفتها مرة أخرى، وماتَت بعد عدة أيام، فضلت الموت على أن تراني أو على أن ألمسها مرة أخرى، ماتت.

لا شيء يُحبني، أو سيُحبني يومًا، ولا حتى -على وجه الخصوص- أنا، أعرف حقيقتي، وهذا شيء أحبه، أنا بمُفردي في هذا العالم،

بمُفردي تمامًا، بخلاف ديبرا، وباستثناء -بالطبع- هذا الشيء الموجود بداخلي، والذي لا يخرُج للعب كثيرًا، ولا يلعب معي حقًّا، لكن يجب أن يكون لديه شخص آخر.

لذا أحاول قدر المُستطاع أن أهتم بها، ديبرا العزيزة، على الأرجح هذا ليس حُبًّا، لكنني أفضِّل أن تكون سعيدة.

وجلست ديبرا العزيزة هناك، تبدو غير سعيدة، أسرتي، حدَّقت في وجهي، دون أن تعرِف ماذا تقول، لكنها اقتربت من قول الأمر أكثر من أي وقت مضى.

قُلت: "حسنًا، في الحقيقة...».

"كُنت أعرِف! لديك شيء ما!".

"لا تُقاطعي نشوتي يا ديبرا، أنا في اتصال مع عالم الأرواح".

قالت: "قُل الأمر".

"إنه الجرح الذي لم يَكتمل يا ديب، الساق اليُسرى".

"ماذا عنه؟".

"تظُن لاجويرتا أن القاتِل كُشِف، فشعر بالارتباك، ولم يستطِع أن يُكمِله".

أومأت ديبرا وهي تقول: "سألت العاهرات الليلة الماضية إذا كُنَّ رأين أي شيء، لا بُد أن شخصًا ما رأى شيئًا ما".

قُلت: "أوه، ليس أنتِ أيضًا، أعتقِد يا ديبرا أنه في حال كُشِف أمره.. أو كان خائفًا بشدة من إتمام...".

قالت سريعًا: "التغليف، لقد قضى الكثير من الوقت في تغليف الجُثة، وفي التنظيف".

بدت مُتفاجئة وهي تقول: "اللعنة، بعد أن تمَّت مُقاطعته".

صفَّقت بيديّ وأنا أثني عليها قائلًا: "برافو أيتها الآنسة ماربِل".

"ومن ثمّ لا يبدو الأمر معقولًا".

"بالعكـس تمامًـا، كان لديـه مُتَّسَـع مـن الوقـت، ورغـم هـذا.. لم يُكمِـل الطقـوس بشـكلٍ صحيـحٍ، وتذكَّـري يـا ديـب.. الطقـوس هـي كُل شيء تقريبًـا، مـاذا نفهَـم مـن هـذا؟".

قالت في غضب: "لماذا لا يُمكِنك أن تُخبرني فحسب، بحق الله؟".

"كيف سيكون الأمر مرحًا؟".

تنفَّسـت بعُمـقٍ وهـي تقـول: "اللعنـة، حسـنًا يـا ديكـس، إذا لم تتـم مُقاطعتـه، لكنـه لم ينتـه.. اللعنـة، التغليـف كان أكـثر أهميـة مـن التقطيـع؟".

نظـرت إليهـا بشـفقةٍ وأنـا أقـول: "لا يـا ديـب، فكِّـري، هـذه هـي المـرة الخامسـة، تمامًـا مثـل الأخريـات، أربـع سـيقان يُـسرى قُطِّعـت جيـدًا، والآن.. رقـم خمسـة...".

نظـرت إليهـا في صمـت وأنـا أرفَـع حاجبـي، قالـت: "اللعنـة يـا ديكسـتر، كيـف لي أن أعـرِف؟ ربمـا كان بحاجـةٍ لأربـع سـيقان يُـسرى فقـط، ربمـا.. لا أعلـم، أقسـم باللـه أننـي لا أعلـم، مـاذا؟".

ابتسـمت وأنـا أهـز رأسي، بالنسـبة لي.. كان الأمـر واضحًـا وأنـا أقـول: "لقـد ذَهَـب التشـويق يـا ديـب، شيء مـا ليـس صحيحًـا، هـذا ليـس عمـلًا، جـزء أسـاسي مـن السـحر الـذي يجعلـه يبـدو مثاليًـا، لم يعُـد هنـاك".

"كان من المُفترض أن أكتشِف هذا؟".

"عـلى شـخص مـا أن يفعـل، ألا تعتقديـن هـذا؟ هـو فقـط نـوع مـن المراوغـة للتوقُّـف، البحـث عـن الإلهـام، دون أن يعـثر عـلى أي شيء".

تجهَّمت وهي تقول: "إذًا فقد انتهى، لن يفعل هذا مُجدَّدًا؟".

ضحكـت: "يـا إلهـي، لا يـا ديـبرا، العكـس تمامًـا، إذا كُنـتِ كاهنـةً، وآمنـتِ باللـه حقًـا، لكنـكِ لم تجـدي الطريقـة الصحيحـة لعبادتـه، فـماذا كُنـتِ سـتفعلين؟".

قالـت وهـي تحـدّق بي: "سأسـتمِر في المحاولـة، حتـى أجـد الطريقـة الصحيحـة، يـا إلهـي.. هـل هـذا مـا تعتقِـده؟ سـيفعل هـذا ثانيـةً في وقـتٍ قريـبٍ؟".

قُلت بتواضُع: "إنه مُجرّد حدس، قد أكون مُخطئًا".

لكنني كُنت مُتأكِّدًا أنني لست مُخطئًا.

قالـت: "يجـب أن نُمهِّـد الطريـق للقبـض عليـه عندمـا يفعـل ذلـك، وليـس البحـث عـن شـاهد غـير موجـود".

وقفـت وتوجَّهـت نحـو البـاب وهـي تقـول: "سـأتصل بـك لاحقًـا، وداعًـا!".

ورحلت.

ضغطـت عـلى الكيـس الورقـي الأبيـض، لم يتبـق شيء بداخلـه، مثـلي تمامًـا، نظيـف، هـش مـن الخـارِج، ولا شيء عـلى الإطـلاق مـن الداخـل.

طويـت الكيـس ووضعتـه في سـلة القمامـة الموجـودة بجانِـب مكتبـي، لـديّ عمـل للقيـام بـه هـذا الصبـاح، عمـل مُختـبَر الشرطـة الرسـمي الحقيقـي، لـديّ تقريـر طويـل لأكتبـه، صـور لأرتِّبهـا، أدلـة لأفرزهـا، كانـت أشـياء روتينيـة، جريمـة قتـل مزدوجـة.. عـلى الأرجـح لم تذهـب إلى المحكمـة، لكننـي أحـب أن أتأكَّـد أن كُل مـا ألمسـه مُنظَّـم بشـكلٍ جيـدٍ.

بالإضافـة إلى أن هـذه القضيـة كانـت مُثـيرة للاهتـمام، كان مـن الصعـب جـدًا قـراءة بُقـع الـدم، بـين انفجـار الشرايـين، الضحايـا المُتعدِّديـن، والتـي مـن الواضِـح أنهـم تحرَّكـوا، ونمـط السـلاح الـذي

كان عـلى الأرجـح نصـل منشـار، كان مـن المُسـتحيل تقريبًـا العثـور عـلى موقِـع الاصطـدام، ومـن أجـل تغطيـة الغُرفـة بأكملهـا، تحتَّـم عـليّ اسـتخدام زجاجتـين مـن اللومينـول، والـذي يكشِـف حتـى أضعـف بُقـع الـدم، لكنـه مُكلِّـف بشـكلٍ صـادمٍ، حيـث إن سـعر الزجاجـة اثنـي عـشر دولارًا».

تحتَّـم عـليّ في الواقِـع أن أضـع خيوطًـا لتُسـاعدني في معرفـة زوايـا التناثُـر الأوليـة، وهـي تقنيـة قديمـة لمـا يكفـي لتبـدو أشـبه بالكيميـاء، كانـت أنمـاط التناثُـر مُذهِلـة، حيَّـة، كانـت هنـاك بُقـع مُشرِقـة، بريـة، ووحشـية عـبر الجـدران، الأثـاث، التليفزيـون، المناشِـف، غطـاء الفـراش، والسـتائر، رعـب مُذهِـل وحـشي مـن الدمـاء المُتطايـرة، حتـى في ميامي.. كُنـت لتظـن أن شـخصًا مـا.. سَـمِع شـيئًا مـا، شـخصان تـم تقطيعهـما وهـما عـلى قيـد الحيـاة بنصـل منشـار، في غُرفـة فُنـدق أنيقـة وباهظـة الثمـن، وببسـاطة.. رفـع الجيران أصـوات أجهـزة التلفـاز الخاصـة بهـم.

قـد تقـول أن ديكسـتر العزيـز الـدؤوب مشـغول في وظيفتـه، لكننـي أحـب أن أكـون دقيقًـا، وأحـب أن أعـرف أيـن تختبـئ كُل الدمـاء.

الأسـباب المهنيَّـة لذلـك واضِحـة، لكنهـا ليسـت بنفـس قـدر الأسـباب الشـخصية مـن الأهميـة، ربمـا في يـومٍ مـن الأيـام.. سيُسـاعدني الطبيـب النفسـي الـذي يسـتعين بـه نظـام العقوبـات الحكومـي في معرفـة السـبب.

عـلى أي حـال.. كانـت أجـزاء الجسـد بـاردة جـدًا بحلـول الوقـت الذي وصلنـا فيـه إلى مـسرح الجريمـة، وربمـا لـن نجـد أبـدًا الرجـل الإيطـالي الـذي يبلُـغ طولـه سـبع أقـدام ونصـف، صاحِـب اليـد اليُمنـى والـوزن الزائِـد، وصاحِـب الضربـة الخلفيـة.

لكننـي ثابـرت، وقُمـت بعمـلٍ جيـدٍ للغايـة، لا أقـوم بعمـلي مـن أجـل القبـض عـلى الأشرار، لمـاذا أريـد أن أفعـل هـذا؟ لا، أقـوم بعمـلي لإخـراج

النظام من الفوضى، لإجبار بُقع الدم الكريهة على التصرُّف بشكلٍ صحيح، قبل أن تزول، ربما يقوم الآخرون بعملي من أجل القبض على المُجرمين، وهذا جيد بالنسبة لي، لكنه لا يهم.

إذا كُنت غير مُبالٍ بما فيه الكفاية ليتم القبض عليّ، فسيقولون عني أنني وحش مُعتل اجتماعيًّا، شيطان مريض ومُعقَّد، ربما حتى ليس بشريًا، على الأرجَح.. سيرسلونني للموت في أولد سباركي بعجرفةٍ، إذا ما قبضوا على صاحِب السبع أقدام ونصف، سيقولون أنه رجل سيئ أخطأ بسبب القوى الاجتماعية التي لم يقدر على مقاومتها، وسيذهب للسجن لعشر سنوات قبل أن يطلقوا سراحه بما يكفي من المال لشراء نصل منشار جديد وبدلة.

مع كُل يوم في العمل.. كُنت أفهم هاري بشكلٍ أفضل قليلًا.

الفصل السادس

ليلة الجُمعة، ليلة المواعدة في ميامي، وصدِّق أو لا تُصدِّق.. ليلة المواعدة لديكستر، والأمر الغريب.. أنني وجدت شخصًا ما، ماذا.. ماذا؟ ديكستر الميت من الداخِل بشدة يواعِد عشيقة شابة؟ جنس بين الموتى؟ هل اضطرَّتني حاجتي لتقليد الحياة لتزييف هزَّة الجِماع؟

تنفَّس بيُسرٍ، لم يدخُل الجنس في الأمر أبدًا، بعد سنوات من البحث المروِّع والإحراج في التظاهُر بشكلٍ طبيعي، توصَّلت أخيرًا للموعِد المثالي.

تعرَّضت ريتا لأضرارٍ بالغةٍ مثلي تقريبًا، تزوَّجت في سن صغيرة، ناضلت كي يستمِر الأمر لمُدة عشر سنوات وطفلين، شريك حياتها الساحِر كان لديه بعض المشاكِل، في البداية؛ الكحول، ثم الهيروين، صدِّق أو لا تُصدِّق، وأخيرًا.. الكوكايين، كان يضربها، بوحشية، كسَّر الأثاث، صرخ، ألقى أشياء، وهدَّدها، ثم اغتصبها، أصابها ببعض الأمراض المنزليَّة المروِّعة، فعل كُل هذا بانتظام، وتحمَّلته ريتا، عملت، قاومته عن طريق إعادة التأهيل مرتين، قبل أن يتحوَّل نحو الأطفال في ليلةٍ من الليالي، وتدخَّلَت ريتا لإنهاء الأمر.

كان وجهها قد شُفي الآن، أما كسور الذراعين والأضلاع فكانت أمورًا روتينية بالنسبة لأطباء ميامي بالطبع، كانَت ريتا حسِنة المظهر تمامًا.

كان الطلاق نهائيًا، والجاني كان محبوسًا، وبعد ذلك؟ أسرار العقل البشري، بطريقةٍ ما.. ولسببٍ ما.. قرَّرَت عزيزتي ريتا أن تواعِد مرة أخرى، كانَت مُتيقِّنة تمامًا أنه الشيء الصحيح لتقوم به، لكن نتيجة

لاعتـداء الرجـل الـذي أحبتـه عليهـا مـرارًا وتكـرارًا، كانـت غـير مُهتمَّـة بالجنـس إطلاقًـا، فقـط.. ربمـا.. بعـض الصُّحبـة الذكوريـة لقليـلٍ مـن الوقـت.

كانـت تبحَـث عـن الرجـل المُناسِـب؛ حسَّـاس، لطيـف، ومُسـتعِد للانتظـار، بحثـت لوقـتٍ طويـلٍ، كانـت بالطبـع تبحـث عـن رجـل خيالي يهتـم فقـط بالتحـدُّث معهـا ومُشـاهدة الأفـلام بصُحبتهـا أكـثر مـن مُمارسـة الجنـس، لأنهـا لم تكُـن مُسـتعدة لذلـك بعـد.

هـل قُلـت خيالي؟ حسـنًا.. أجـل.. الرجـال ليسـوا كذلك، مُعظم النسـاء يعرِفـن هـذا بحلـول الوقـت الـذي يُنجِبن فيـه طفلـين أو يحصلـن عـلى طلاقهـن الأول، ريتـا المسـكينة تزوَّجـت صغـيرة جـدًّا وزواج سـيئ جـدًّا كي تتعلَّـم هـذا الـدرس القيِّـم، وكأثـر جانبـي ثانـوي للتعـافي مـن زواجهـا الفظيـع، بـدلًا مـن أن تُـدرِك أن جميـع الرجـال وحـوش، أتـت بهـذه الصـورة الرومانسـية الجميلـة لرجـلٍ مثـالي ينتظِرهـا لأجـلٍ غـير مُسـمى لتنفتِـح ببـطءٍ، مثـل زهـرة صغـيرة.

حسـنًا، في الحقيقـة.. ربمـا كان هـذا الرجـل موجـودًا في إنجلـترا الفيكتوريـة، عندمـا كانـت هنـاك بيـوت دعـارة في كُل ركـن، حيثـما كان بإمكانـه أن ينفُـث بخـاره في احتـكاكٍ خـالٍ مـن الحُـب، لكـن ليـس -عـلى حـد علمـي- في ميامـي في القـرن الحـادي والعشريـن.

ورغـم ذلـك.. كان بإمـكاني تقليـد كُل تلـك الأشـياء بشـكلٍ مثـالي، وفي الواقِـع.. أردت ذلـك، ليـس لـديّ أي اهتـمام بعلاقـةٍ جنسـيةٍ، أردت غطـاء، كانـت ريتـا هـي بالضبـط مـا أبحَـث عنـه.

كانـت -عـلى حـد قـولي- حسـنة المظهَـر، رقيقـة، شُـجاعة، وخبـيرة، ذات مظهَـر ريـاضي رشـيق، شـعر أشـقر قصـير، وعينـين زرقاويـن، كانـت مُتعصِّبـة للرياضـة، تقـضي كُل وقـت فراغهـا في الركـض، ركـوب الدراجـات، وأشـياء مـن هـذا القبيـل، في الحقيقـة.. كان التعـرُّق واحـدًا

مــن نشــاطاتها المُفضَّلــة، ركبنــا الدراجــات عــبر إيفرجليــدز، ركضنــا لمســافاتٍ طويلــةٍ، بــل ورفعنــا الأثقــال معًــا.

والأفضــل مــن كُل هــذا.. كان طفلاهــا؛ اســتور كان عُمرهــا ثمــاني ســنوات، وكــودي خمســة، وكانــا هادئــين للغايــة، بالطبــع كانــا كذلــك، الأطفــال الذيــن يحــاوِل آباؤهــم قتــل بعضهــم بعضًــا بالأثــاث باســتمرار، عــادةً مــا يميلــون للانســحاب قليــلًا، أي طفــل نشــأ في بيــت رُعــب كهــذا ســيكون كذلــك، لكــن يُمكِــن إخراجهــم مــن هــذا في النهايــة، انظــر لي، لقــد عانيــت مــن أهــوالٍ مجهولــةٍ وغــير مجهولــة عندمــا كُنــت طفــلًا، وهــا أنــا ذا؛ مواطِــن صالِــح، وأحــد أعمِــدة المُجتمَــع.

ربمــا كان ذلــك جــزءًا مــن إعجــابي الغريــب باســتور وكــودي، لأننــي أحببتهــما، وهــذا كان غريبًــا بالنســبة لي، أعــرف كيــف أنــا وأفهــم العديــد مــن الأشــياء عــن نفــسي، لكــن إحــدى الســمات القليلــة التــي لا أفهمهــا في شــخصيتي هــي ســلوكي مــع الأطفــال.

أنا أحبهما.

مُهمّان بالنسبة لي، مُهمان.

لا أفهــم الأمــر، في الحقيقــة.. أنــا لا أهتَــم بشــأن مــوت أي إنســان في هــذا العــالم فجــأة، باســتثناء نفــسي، وربمــا ديــبرا، أمــا الآخــرون فأقــل أهميــة بالنســبة لي مــن أثــاث الحديقــة، ليــس لــديّ أي إحســاس بالآخريــن، وكــما يقــول المُهتَمــون بالبلاغــة.. لســت مُثقــلًا بهــذا الإدراك.

لكن الأطفال.. الأطفال مُختلفون.

أواعِــد ريتــا لعــامٍ ونصــفٍ تقريبًــا، وفي هــذا الوقــت.. كُنــت أنتصِر عــلى اســتور وكــودي ببــطءٍ وبشــكلٍ مُعتمَــد، كُنــت عــلى مــا يُــرام، لــن أؤذيهــما، تذكــرت أعيــاد ميلادهــما، أيــام كتابــة التقاريــر، وإجازاتهــما، كان بإمــكاني الدخــول إلى بيتهــما دون أن أتســبَّب في أي ضرر، كُنــت جديــرًا بالثقــة.

لسُخرية القدر.. كان هذا حقيقيًا.

أنـا.. الرجـل الوحيـد الـذي يُمكِنهـما الوثـوق بـه، اعتقـدت ريتـا أن هـذا كان جـزءًا مـن تـوددي الطويـل البطـيء معهـا، أن أريهـا أن الأطفـال يحبوننـي، ومـن يعـرف؟ لكـن في الحقيقـة.. كانـا يهماننـي أكثر منهـا، ربمـا كان الوقـت قـد فـات بالفعـل، لكننـي لم أكُـن أرغَـب في رؤيتهـما يكـبران ليكونـا مثـلي.

في ليلـة هـذه الجُمعـة فتحـت اسـتور البـاب، كانـت ترتـدي قميصًـا طويـلًا مكتوبًـا عليـه «فـئران الأغطيـة» يتـدلى أسـفل ركبتيهـا، شـعرها الأحمـر كان مشـدودًا إلى الخلـف برباطـي شـعر طويلـين، ولم يكُـن لديهـا أي تعبـيرات عـلى الإطـلاق عـلى وجههـا الصغـير.

قالت بطريقتها الهادئة للغاية: "مرحبًا ديكستر".

بالنسبة لها.. كلمتان كانتا تُمثِّلان مُحادثة طويلة.

قُلـت مُقلـدًا النُبـلاء بأفضـل مـا استطعت: "مسـاء الخـير أيتها الشـابة الجميلـة، هـل لي أن أقـول أنـكِ تبديـن جميلـة للغايـة هذا المسـاء؟".

قالت وهي تفتح الباب: "حسنًا".

نظـرت مـن فـوق كتفهـا نحـو الأريكـة التـي تسـبح في الظـلام: "إنـه هنـا».

مـررت بجوارهـا، كان كـودي واقفًـا بجوارهـا، بالداخِـل.. كـما لـو كان مدعومًـا ليدعمهـا في حـال حـدث أي شيء، قُلـت: "كـودي".

أعطيتـه لفافـة مـن رقائـِق نيكـو، أخذهـا دون أن يرفـع عينيـه مـن عـليّ، وتـرك يـده تسـقُط بجـواره دون أن ينظُـر للحلـوى، لـن يفتحهـا إلا بعدمـا أرحَـل، ثـم بعـد ذلـك.. سيقتسـمها مـع شـقيقته.

نادتني ريتا من الغُرفة المجاورة: "ديكستر؟".

قُلت: "أنا هنا، ألا يُمكنكِ تهذيب هؤلاء الأطفال؟".

قال كودي بصوتٍ خافتٍ: "لا".

مزحة، حدّقت به، ماذا بعد؟ هل سيُغني في يومٍ ما؟ هل سيرقُص رقصًا نقريًا في الشوارع؟ هل سيُخاطِب المؤتمر الوطني الديمقراطي؟

ظهرت ريتا، ترتدي حلقًا دائريًا، كانت مُثيرة لحدٍ ما، مع الأخذ بعين الاعتبار أنها كانت ترتدي فستانًا حريريًا خفيفًا أزرق اللون يصل إلى مُنتصف الفخذ، وبالطبع كانت ترتدي أفضل حذاء رياضي تملكه من ماركة نيو بالانس، لم أقابل.. أو أسمع من قبل حتى.. عن امرأة ترتدي الأحذية الرياضية في المواعيد الغرامية، مخلوقة ساحرة.

قالت ريتا: "مرحبًا أيها الوسيم، دعني أتحدّث مع جليسة الأطفال قبل أن نخرج من هنا".

ذهبت إلى المطبخ، سمعتها وهي تلقي بالتعليمات على جارتها المُراهِقة التي ستقوم بمُجالستهما، بوضعهما في الفراش، كتابة الواجِب، ما يجب مُشاهدته في التلفاز وما لا يجِب، رقم هاتف محمول، رقم طوارئ، ماذا ستفعل في حال حدثت حالة تسمُّم عرضي أو رأس مقطوع.

لا يزال كودي واستور يحدّقان بي.

سألتني استور: "هل ستذهبان لمُشاهدة فيلم؟".

أومأت برأسي وأنا أقول: "هذا في حال وجدنا فيلمًا لن يجعلنا نتقيأ".

قالت وهي تضع تعبيرًا حادًا على وجهها الذي توهّج بقليلٍ من الإنجاز وهي تقول: "قرف".

سأل كودي: "هل تتقيأ في السينمات؟".

قالت استور: "كودي!".

لكنه أصر قائلًا: "هل تفعل؟".

قُلت: "لا، لكنني عادةً ما أرغَب في هذا".

قالت ريتا: "هيا بنا".

أبحرت نحوهما وهي تطبع قُبلة على وجنة كل منهما وهي تقول: "استمعا إلى آليس، ميعاد النوم في التاسعة".

سأل كودي: "هل ستعود؟".

قالت ريتا: "كودي! بالطبع سأعود".

قال كودي: "كُنت أقصد ديكستر".

قُلت: "ستكون نائمًا، لكنني سألوِّح لك، حسنًا؟".

قال بجديةٍ: "لن أكون نائمًا".

قُلت: "إذًا سآتي لألعب معك الورق".

قال: "حقًّا؟".

"بالطبع، لعبة بوكر عالية المخاطر، وسيحظى الفائز بفُرصة للحصول على الخيول».

قالت ريتا وهي تبتسِم: "ديكستر! ستكون نائمًا يا كودي، والآن.. ليلة سعيدة يا أطفال، كونا مؤدَّبين".

أمسكت بذراعي وقادتني نحو الباب وهي تُتمتم: "بصراحة.. لقد نجحت في كسب ود هؤلاء الاثنين".

لم يكُن الفيلم مُميَّزًا، ولم أرغَب حقًّا في التقيؤ، لكنني كُنت قد نسيت مُعظم أحداثه بحلول الوقت الذي توقَّفنا فيه في مكانٍ صغيرٍ بالقُرب من ساوث بيتش لتناول مشروب في وقتٍ متأخرٍ من الليل، كانت فكرة ريتا، على الرغم من أنها عاشَت في ميامي مُعظَم حياتها، لكنها ما زالت تعتقِد أن شاطئ ساوث بيتش ساحر،

ربما كان الأمر بسبب عربات التزلُّج، أو ربما كان لأنها اعتقدت أن أي مكان مُمتلئ بهذا القدر من ذوي الأخلاق السيئة يجب أن يكون ساحرًا.

على أي حال.. انتظرنا عشرين دقيقة للحصول على منضدة صغيرة، ومن ثم انتظرنا عشرين دقيقة أخرى للخدمة، لم أمانِع الأمر، استمتعت بمُشاهدة الحمقى حسني المظهَر وهم ينظرون إلى بعضهم بعضًا، رياضة تحديق رائعة.

تجوَّلنا على طول أوشن بوليفارد، وأجرينا مُحادثة لا طائل منها، وهو فن أجيده تمامًا، كانت ليلة لطيفة، كان القمر المُكتمل قد نقص أحد أركانه منذ عدة ليالٍ، عندما متَّعت نفسي بالأب دونوفان.

وبينما كُنا عائدين إلى منزل ريتا في جنوب ميامي بعد قضاء أمسيتنا المُعتادة في الخارِج، مررنا بتقاطُع في واحدة من المناطِق الأقل أمنًا في كوكونوت جروف، لفت ضوء أحمر وامِض انتباهي، نظرت إلى الشارِع الجانبي، مسرح جريمة، كان الشريط الأصفر قد تم ربطه بالفعل، وتوقَّفت العديد من السيارات في أماكِن مُتفرِّقة.

هو مرة أخرى، هكذا اعتقدت، وقبل أن أعرف ما كُنت أعنيه بذلك، كُنت قد حرَّكت السيارة في الشارِع الجانبي نحو مسرح الجريمة.

سألتني ريتا: "أين نذهَب؟".

قُلت بهدوء: "أود أن أتحقَّق من الأمر، لأري إذا ما كانوا يحتاجونني".

"أليس لديك جهاز استدعاء؟".

أعطيتها أفضل ابتسامات ليلة الجُمعة التي أملكها وأنا أقول: "لا

يعرفون دومًا أنهم في حاجة لي".

ربما كُنت قد توقَّفت على أي حال، لأتفاخَر أمام ريتا، الهدف الأساسي من التنكُّر هو أن أسمَح لها بمُشاهدتي وأنا أفعله، لكن في الحقيقة.. الصوت الصغير الذي لا يقاوَم في أذني كان قد جعلني أتوقَّف مهما كلَّفني الأمر، كان هو مرة أخرى، وكان عليّ أن أرى ما ينتوي فعله، تركت ريتا في السيارة وأسرَعت إلى هناك.

لم ينتوِ خيرًا مرة أخرى، هذا الوغد، كانت هناك نفس الكومة من أجزاء الجسد الملفوفة بعناية مرة أخرى، أنجيل -لست قريبه- كان ينحني فوقها في نفس الوضع الذي رأيته فيه حينما تركته في مسرح آخر جريمة.

قال عندما اقتربت منه: "ابن العاهرة".

قُلت: "ليس أنا، أنا مُتأكِّد".

قال أنجيل: "كان بقيتنا يشتكي من اضطرارنا للعمل في ليلة الجُمعة، وها أنت تظهَر مع موعِد، وما زال لا يوجد لك أي شيء ها هنا".

"نفس الرجل، نفس النمط؟".

قال وهو ينزع البلاستيك بقلمه: "نفس الشيء، عظام جافة مرة أخرى، ولا دماء على الإطلاق".

جعلتني الكلمات أشعر بدوارٍ خفيفٍ، ملت للأمام لإلقاء نظرة، ومرة أخرى.. كانت أجزاء الجسد نظيفة وجافة بشكلٍ مُثيرٍ للدهشة، تعلوها مسحة زرقاء لتبدو وكأنها محفوظة في لحظتها المثالية الصغيرة من الزمن، رائع.

قال أنجيل: "اختلاف بسيط في التقطيع هذه المرة، في أربعة أماكِن".

أشـار بيـده وهـو يقـول: "قـاسٍ للغايـة هنـا، بالـكاد عاطفـي، ثـم هنـا.. ليـس كثـيرًا، هنـا وهنـا، وفي المُنتصَـف.. أليـس كذلـك؟".

قُلت: "جيد للغاية".

قال: "ثم انظر إلى هذا".

قـام بدفـع الجـزء غـير الدمـوي بقمـة قلمـه الرصـاص، تحـت قطعـة أخـرى بيضـاء لامِعـة، كان اللحـم مسـلوخًا بعنايـةٍ شـديدةٍ، بالطـول، ليكشِـف عـن عظمـة نظيفـة.

سأل أنجيل بهدوء: "لماذا يفعَل هذا؟".

تنفَّست وأنا أقول: "إنه يُجرِّب، يحاوِل إيجاد الطريقة الصحيحة".

حدَّقـت إلى القسـم الجـاف النظيـف حتـى أدرَكـت أن أنجيـل كان ينظُـر إليّ منـذ وقـت طويـل جـدًّا.

"مثل طفل يلعب بطعامه".

هكذا وصفت الأمر لريتا حينما عُدت إلى السيارة.

قالت ريتا: "يا إلهي، هذا فظيع".

قُلت: "أعتقِد أن الكلمة الصحيحة هي مُشين".

"كيف يُمكِنك أن تمزَح بشأن هذا يا ديكستر؟".

أعطيتهـا ابتسـامة مُطمئِنـة وأنـا أقـول: "تعتاديـن عـلى هـذه الأمـور حيـنـما تعملـين في مجـال عمـلي، نطلِـق النـكات لإخفـاء الأمـر".

"حسنًا، يا إلهي.. أتمنى أن يقبضوا على هذا المجنون قريبًا".

فكَّـرت في أجـزاء الجسـد المُكدَّسـة بعنايـة، وتنـوُّع الجـروح، نقـص الـدم الـكُلي الرائـع وأنـا أقـول: "ليـس قريبًـا".

سألتني: "ماذا قُلت؟".

"قُلـت.. لا أعتقـد أن هـذا سـيحدُث قريبًـا، القاتـل ماهـر للغايـة،

والمُحقِّقة المسؤولة عن القضية مُهتمّة بلعبة السياسة أكثر من اهتمامها بحل جرائم القتل.

نظرت إليّ لترى إذا ما كُنت أمزَح، ثُم جلسَت بصمتٍ بينما قُدت جنوبًا نحو الطريق الأول، لم تتحدَّث إلا في جنوب ميامي، قالت في النهاية: "لا يُمكنني التعوُّد على رؤية.. لا أعرف، الجانِب المخفي عن الأنظار؟ كيف تسير الأمور حقًّا؟ بالطريقة التي تراها".

فاجأتني، كُنت أستغِل الصمت لأفكِّر في أجزاء الجسد المُكدَّسة بعنايةٍ التي تركناها للتو، كان عقلي يُحلِّق بجوعٍ حول الأطراف النظيفة الجافة المقطوعة مثل نسر يبحث عن قطعة من اللحم ليُمزِقها، كانت ملاحظة ريتا غير متوقَّعة لدرجة أنني لم أتمكَّن حتى من أن أتلعثَم لدقيقةٍ قبل أن أقول في النهاية: "ماذا تقصدين؟".

عبسَت وهي تقول: "أنا.. أنا لست مُتأكِّدة، فقط.. كُلنا نفترِض أن.. الأمور.. تسير بطريقةٍ مُعيَّنةٍ، بالطريقة التي من المُفترَض أن تسير بها؟ وبعد ذلك لا يكونون كذلِك أبدًا، دائمًا ما يكونون أكثر.. لا أعرِف.. إظلامًا؟ أكثر إنسانية، مثل تلك، أظن أن.. بالطبع المُحقِّقة تُريد الإمساك بالقاتِل، أليس هذا عمل المُحقِّقين؟ لم يخطر ببالي من قبل أن يكون هناك أي شيء سياسي على الإطلاق بشأن القتل".

قُلت وأنا أستدير إلى شارِعها وأبطئ من سُرعتي قليلًا أمام منزلها الأنيق غير الملحوظ: "عمليًّا.. في كُل شيء".

قالت: "لكن أنت...".

لم يبدُ عليها أنها لاحظت أين نحن أو ما قُلت وهي تستكمِل حديثها: "من هنا تبدأ.. مُعظَم الناس لن تُفكِّر حقًّا في هذا الأمر أبدًا».

قُلت وأنا أقود السيارة نحو حديقتها: "أنا لست بهذا العُمق يا ريتا".

"الأمـر يُشـبِه.. لـكُل شيء طريقتـان، الطريقـة التـي نتظاهَـر بهـا جميعًـا، والطريقـة التـي هـي عليهـا حقًّـا، وأنـت تعلـم ذلـك بالفعـل، الأمـر مثـل لعبـة بالنسـبة لـك".

لم يكُـن لـديّ أي فكـرة عـما كانـت تحـاول قولـه، في الواقِـع.. كُنـت قد يئسـت مـن محاولـة فهـم الأمـر، وبينـما كانـت تتحـدّث.. تركـت عقـلي يعـود إلى جريمـة القتـل الأخـيرة؛ نظافـة اللحـم، الجـودة الارتجاليـة للجـروح، الجفـاف التـام، والنقـص الكامِـل في الدمـاء..

قالت ريتا وهي تضع يدها على ذراعي: "ديكستر!".

قبّلتهـا، لا أعلـم أيًـا منـا تفاجـأ أكـثر، لم يكُـن هـذا شـيئًا فكّـرت في القيـام بـه مـن قبـل، وبـكُل تأكيـد.. لم يكُـن عطرهـا هـو السـبب، لكنني وضعـت شـفتيّ عـلى شـفتيها، واحتفظـت بهـما هنـاك لفـترةٍ طويلـةٍ.

دفعتني بعيدًا.

قالت: "لا، أنا.. لا يا ديكستر".

كُنت ما زلت مصدومًا مما فعلت وأنا أقول: "حسنًا".

قالـت: "لا أعتقِـد أننـي أريـد.. لسـت مُسـتعِدة لـ.. اللعنـة يـا ديكسـتر".

خلعت حزام مقعدها، فتحت باب السيارة، وركضت نحو منزلها.

أوه، لم أكُن أقصد يا عزيزتي، ما الذي فعلته؟

وأدركـت أننـي يجـب أن أتسـاءل عـن ذلـك، وربمـا كُنـت أشـعر بخيبة الأمـل لأننـي دمّـرت تظاهـري بعـد عـام ونصـف مـن العمل الشـاق.

لكـن كُل مـا كُنـت قـادرًا عـلى التفكـير فيـه هـو تلـك المجموعـة النظيفـة مـن أجـزاء الجسـد.

دون دماء.

على الإطلاق.



الفصل السابع

كانت هذه الجُثة مشدودة تمامًا بالطريقة التي أحبّها، الذراعان والساقان مؤمنة تمامًا، والفم مُغلّق بشريطٍ لاصِقٍ كيلا تكون هناك ضوضاء أو أي انسِكاب في منطقة عملي، شعرت بيديّ ثابتتين تمامًا بالسكين، لدرجة أنني كُنت مُتأكّدًا أنها ستكون جيدة، مُرضيّة للغاية..

باستثناء أنه لم يكُن سكينًا، كان نوعًا من...

باستثناء أنها لم تكُن يدي، على الرغم من أن يدي كانت تتحرّك مع تلك اليد، ليست يدي التي تُمسِك بالنصل، والغرفة كانت صغيرة نوعًا ما، ضيقة للغاية، الأمر الذي بدا منطقيًا لأنها.. ماذا؟

وها أنا ذا أطفو فوق مساحة العمل الضيقة المثالية وجسدها العذب، وللمرة الأولى.. أشعر بالبرد ينفجِر من حولي وحتى من خلالي بطريقةٍ ما، وإذا ما كان بإمكاني الشعور بأسناني.. فأنا مُتأكّد تمامًا أنها ستكون تصطك، ترتفِع يدي في انسجامٍ تامٍ مع اليد الأخرى، وتتقوّس للخلف من أجل الحصول على قطعٍ مثالي.

وبالطبع.. أستيقظ في شقتي، أقف بطريقةٍ ما أمام الباب الأمامي، عاريًا تمامًا، المشي أثناء النوم.. هو أمر أستطيع أن أفهمه، لكن التعري أثناء النوم؟ حقًا، أترنّح عائدًا إلى فراشي المُتحوّل الصغير، تكوّمت الأغطية على الأرض، خفّض مُكيّف الهواء درجة الحرارة إلى ما يُقارِب الستين، بدت وكأنها فكرة جيدة في هذا الوقت، الليلة الماضية.. شعرت بقليلٍ من الاغتراب بعد ما حدث مع ريتا، كان الأمر غير منطقي، إذا ما حدث حقًا يا ديكستر، سارِق الحُب، سارِق القُبلات، لذلك أخذت حمامًا طويلًا ساخِنًا عندما عُدت إلى

المنـزل، ودفعـت الترموسـتات للأسـفل بالكامِـل بينـما كُنـت أتسـلَّق الفـراش، لـن أتظاهَـر بأننـي لا أفهـم السبب، لكـن في لحظـاتي المُظلِمـة أجـد الـبرودة مُنظِفـة، وليسـت مُنعِشـةً بالـضرورة.

وكان الطقـس شـديد الـبرودة في الوقـت الحـالي مـن أجـل القهـوة وبدايـة اليـوم وسـط آخـر قطـع الحلـم المُمزَّقـة.

كقاعـدة.. عـادةً مـا لا أتذكَّـر أحلامـي، ولا أعلِّـق عليهـا أي أهميـة في حـال حدثـت، لذلـك كان مـن السـخف أن يظـل هـذا الشـخص معـي.

أطفو فوق مساحة العمل الضيقة المثالية..

ترتفِـع يـدي في انسـجامٍ تـامٍ مـع اليـد الأخـرى، وتتقـوَّس للخلـف مـن أجـل الحصـول عـلى قطـع مثـالي..

قـرأت الكُتـب، وربمـا لأننـي لـن أكـون واحـدًا أبـدًا، فلطالمـا كان البـشر مُثـيري الاهتـمام بالنسـبة لي، لذلـك.. كُنـت أعـرِف معنـى كُل تلك الرمـوز: الطفـو هـو نـوع مـن الطـيران.. هـذا يعنـي الجنـس، والسـكين..

نعــم يــا دكتــور، الســكين يُمثِّــل الأم، أليــس كذلِــك؟ دع الأمــر يــا ديكســتر.

إنه مُجرَّد حلم غبي بلا معنى.

رنَّ جـرس الهاتِـف، شـعرت بالفـزع، قالـت ديـبرا: "مـاذا عـن إفطـار في وولفيـز؟ عـلى حسـابي".

قُلت: "إنه صباح يوم السبت، لن ندخُل أبدًا".

قالــت: "ســأصل إلى هنــاك أولًا وســأحصل لنــا عــلى منضــدة، أراك هنــاك".

تنــاول الأطعمــة الشــهية في وولفيــز ديــلي عــلى شــاطئ ميامــي كان مــن تقاليــد ميامــي، ولأن عائلــة مورجــان كانــت مــن عائــلات ميامــي، كُنـا نـأكُل هنـاك طـوال حياتنـا في تلـك المُناسـبات الشـهية الخاصَّـة، لماذا

اعتقـدت ديـبرا أن اليـوم هـو واحِـد مـن تلـك المُناسـبات التـي نسـيتها، لكننـي كُنـت مُتأكّـدًا أنهـا سـتنيرني في الوقـت المُناسِـب، لـذا تحمَّمـت، ارتديـت أفضـل ملابِـس يـوم السـبت الخاصّـة بي، وقـدت سـيارتي نحـو الشـاطئ، كانـت حركـة المـرور خفيفـة فـوق جـسر مـاك آرثـر، وسُرعـان مـا كُنـت أشـق طريقـي بـأدبٍ بـين الحشـود المُزدحِمـة في وولفيـز.

وصَـدَق قولهـا.. كانــت ديـبرا تجلــس خلــف منضـدة في الزاويــة، كانـت تـدردش مـع نادلـة عجـوز، امـرأة حتـى أنـا كُنـت أعرِفهـا، قُلـت: "روز، حبيبتــي".

انحنيـت لأطبـع قُبلـة عـلى وجنتهـا المُتجعِّـدة، أدارت وجههـا العابِـس عـلى الـدوام نحـوي، قُلـت: "زهـرتي الأيرلنديـة البريـة".

قالـت بصـوتٍ صـدئ وبلهجـةٍ أوروبيـة ثقيلـة: "ديكسـتر، توقّـف عـن تقبيـلي، مثـل الرفيـق".

سـألتها وأنــا أجلِـس في مقعــدي: "هــل تعنــي الرفيــق خطيبــي بالأيرلنديــة؟".

نظرت لي وهي تستدير نحو المطبَخ وتهز رأسها نحوي.

قُلت لديبرا: "أعتقِد أنها تحبني".

قالــت ديــب: "عــلى شــخصٍ مــا أن يفعــل، كيــف كان موعِــدك في الليلــة الماضيــة؟".

قُلت: "كثير من المرح، عليكِ أن تجربي هذا في يومٍ ما".

قالت ديبرا: "لا أظن".

"لا يُمكنـكِ أن تقـضي كُل لياليـكِ في تاميامـي تريـل بملابسـكِ الداخليـة يـا ديـب، تحتاجـين لحيـاة".

صرخـت في وجهـي: "أحتـاج للنقـل، لقسـم جرائـم القتـل، وبعدهـا سـنرى بشـأن الحيـاة".

قُلت: "أتفهَّم الأمر، سيكون من الأفضل للأطفال أن يقولوا ماما تعمل في قسم جرائم القتل".

قالت: "ديكستر، بحق المسيح".

"إنها فكرة طبيعية يا ديبرا، أبناء وبنات أخت، المزيد من آل مورجان الصِّغار، لم لا؟".

تنفَّست بعُمقٍ وهي تقول: "ظننت أن أمي ميتة".

قُلت: "تتحدَّث من خلالي، عبر الكرز الدنماركي".

"حسنًا، غيِّر القناة، ماذا تعرِف عن تبلور الخلايا؟".

رمشت وأنا أقول: "واو، لقد نسفتِ لتوِّك كُل المُنافسة في بطولة تغيير الموضوع".

قالت: "أنا جادَّة".

"إذًا أنا غارِق في ذهولي وارتباكي يا ديب، ماذا تقصدين بتبلور الخلايا؟".

قالت: "بسبب البرد، الخلايا التي تتبلور بسبب البرد".

غَمَرَ الضوء عقلي وأنا أقول: "بالطبع.. جميلة".

وفي مكانٍ بعيدٍ بالداخِل.. بدأت أجراس صغيرة في الرنين، باردة.. نظيفة، شديدة البرودة، والسكين البارِد يصدر صوت أزيز أثناء تقطيعه لشرائح اللحم الدافئ.

البرودة النظيفة مُطهِّرة، تتباطأ الدماء دون جدوى، البرودة صحيحة تمامًا وضرورية تمامًا، بدأت بالقول: "بالطبع.. لماذا لا...".

صمت تمامًا حينما رأيت وجه ديبرا.

سألتني: "ماذا؟ بالطبع ماذا؟".

هزرت رأسي وأنا أقول: "في البداية أخبريني عمّا تريدين معرفته".

نظـرت نحـوي لدقيقـةٍ طويلـةٍ وتنفَّسـت نفسًـا عميقًـا آخـر قبـل أن تقـول في النهايـة: "أعتقِـد أنـك تعـرِف بـأن هنـاك جريمـة أخـرى".

قُلـت: "أعـرِف، ذهبـت إلى هنـاك الليلـة الماضيـة، في الحقيقـة.. سـمعت أنـكِ لم تذهبـي إلى هنـاك".

هـززت كتفـي، مـترو ديـد (قسـم شُرطـة ميامـي) مثـل عائلـة صغـيرة، سـألتني: "إذًا مـاذا تعنـي كلمـة (بالطبـع)؟".

قُلـت بانزعـاجٍ مُعتـدِلٍ في النهايـة: "لا شيء، لحـم الجُثـة بـدا مُختلِفًـا قليـلًا، كـما لـو كان قـد تعـرَّض للـبرودة".

لوَّحـت بيـدي وهـي تسـألني: "هـذا كُل شيء، حسـنًا؟ أي قـدر مـن الـبرودة؟".

"مثل تعبئة اللحوم الباردة".

قالت: "لماذا يفعل هذا؟".

لأنـه أمـر جميـل، هكـذا فكَّـرت، قبـل أن أقـول: "لأن هـذا يُقلِّـل مـن تدفُّـق الدمـاء".

راقبتني وهي تقول: "هل هذا مُهِم؟".

أخـذت نفسًـا طويـلًا وربمـا كان مُرتعِـدًا كذلـك، ليـس بإمـكاني فقـط أن أشرح ذلـك، سـتضطر للقبـض علـيّ إذا مـا حاولـت، قُلـت وأنـا أشـعر بالإحـراج لسـببٍ مـا: "إنـه أمـر حيـوي".

"لماذا هو أمر حيوي؟".

"إنـه.. لا أعـرِف، أعتقِـد أن لديـه هـذا الـشيء بخصـوص الدمـاء يـا ديـب، إحسـاس أتـاني فقـط مـن.. لا أعـرِف، ليـس لـديّ أي دليـل كـما تعرفـين".

رمقتنـي بتلـك النظـرة مـرة أخـرى، حاولـت أن أفكِّـر في شيءٍ مـا لقوله، لكننـي لم أسـتطِع، ديكسـتر اللبِـق ذو اللسـان الفـضي، بفـمٍ جـافٍ ودون

أي شيء ليقوله.

قالت في النهاية: "اللعنة، هذا هو الأمر؟ البرودة تبطئ تدفُّق الدماء، وهذا أمر حيوي؟ بحقِّك، ما فائدة هذا بحقِ الجحيم يا ديكستر؟".

قُلت وأنا أبذل جهدًا بطوليًا للتعافي: "لا أكتشِف أي فائدة قبل تناول القهوة يا ديبرا، فقط الأمور الدقيقة".

قالت مرة أخرى وروز تجلِب قهوتنا: "اللعنة".

رشفَت ديبرا من قهوتها وهي تقول: "تلقَّيت الليلة الماضية دعوة لحضور حفل طهي لمُدة اثنتين وسبعين ساعة».

صفَّقت بيديّ وأنا أقول: "رائع، لقد وصلتِ، لماذا تحتاجينني؟".

لقسم شُرطة ميامي عادة في تجميع فريق جرائم القتل معًا بعد حوالي 72 ساعة من وقوع جريمة قتل، تحدَّثت مسؤولة التحقيق وفريقها حول الأمر مع الفاحِص الطبي، وأحيانًا.. شخص ما من مكتب المُدعي العام، يُبقي الجميع على نفس الصفحة معًا، إذا ما تمَّت دعوة ديبرا، فهذا يعني أنها ضمن القضية.

عَبَسَت وهي تقول: "أنا لست جيدة في السياسة يا ديكستر، يُمكنني أن أشعر أن لاجويرتا تدفعني بعيدًا، لكنني لا أستطيع فعل أي شيء حيال الأمر".

"هل ما زالت تبحَث عن شاهدها السري؟".

أومأت ديبرا، سألتها: "حقًا؟ حتى بعد جريمة القتل الجديدة التي حدثت الليلة الماضية؟".

"تقول أن هذا يُثبِت الأمر، لأن الجروح الجديدة كاملة تمامًا".

قُلت محتجًا: "لكنهم كانوا جميعًا مُختلِفين".

هزَّت كتفيها، سألتها: "ماذا تعتقدين؟".

نظـرت ديـبرا بعيـدًا وهـي تقـول: "أخبرتهـا أننـي أعتقِـد أننـا نُضيـع الوقـت في البحـث عـن شـاهِد، بينـما مـن الواضِـح أن القاتِـل لم تتـم مُقاطعتـه، هـو فقـط غـير راضٍ".

قُلت: "يا للهول، أنتِ فعلًا لا تفقهين شيئًا في السياسة".

قالت: "حسنًا، اللعنة يا ديكستر".

حدَّقـت سـيدتان عجـوزان كانتـا تجلسـان عـلى منضـدة مجـاورة في وجههـا، لكنهـا لم تُلاحِـظ، أكملـت حديثهـا قائلـةً: "مـا قُلتـه يبـدو منطقيًـا، الأمـر واضـح، وهـي تتجاهلـه، وبعـد ذلـك.. حـدث الأسـوأ".

قُلت: "ما الذي يُمكِن أن يكون أسوأ من التجاهُل؟".

احمرَّت خجـلًا وهـي تقـول: "أمسـكت باثنـين مرتديـن الزي الرسـمي يضحـكان في وجهـي بعـد ذلـك، هنـاك نكتـة تـدور، وأنـا هـذه النكتـة".

عضَّت شفتها السُفلى وهي تنظُر بعيدًا قبل أن تقول: "آينشتاين".

"أخشى أنني لا أفهَم ذلك".

قالت بمرارة: "لو كان ثديي عقلًا.. كُنت لأكون آينشتاين".

تظاهـرت بالسُـعال بـدلًا مـن الضحـك وهـي تُكمِـل: "هـذا مـا تنـشره عنـي، هـذا النـوع مـن الوسـوم الصغـيرة الـذي يلتصِـق بـك، وبعـد ذلـك.. لا تحصـل عـلى أي ترقيـة لأنهـم يعتقـدون أنـه لا أحـد يحترمـك باسـم مُسـتعار مثـل ذلـك، اللعنـة عـلى ذلـك يـا ديكسـتر، هـذا يُدمِّـر حيـاتي المهنيَّـة".

شعرت بارتفاعٍ طفيفٍ في درجة الحرارة وأنا أقول: "إنها حمقاء".

"هـل ينبغـي أن أخبرهـا بذلـك يـا ديكـس؟ هـل هـذا يُعـد أمـرًا سياسـيًّا؟".

وصـل طعامنـا، وضعـت روز الأطبـاق أمامنـا بعُنـفٍ كـما لـو أن قاضيًـا فاسِـدًا قـد حَكَـم عليهـا بتقديـم طعـام الإفطـار لمجموعـة مـن قتلـة

الأطفـال، منحتهـا ابتسـامة عملاقـة قبـل أن تبتعِـد، تُتمتِـم بـشيءٍ مـا لنفسـها.

أخـذت قضمـة وأنـا أوجِّـه أفـكاري إلى مُشـكلة ديـبرا، كان عـليّ أن أحـاوِل التفكـير في الأمـر بهـذه الطريقـة، مُشـكلة ديـبرا، ليـس (جرائِـم القتـل الرائعـة)، ليـس (ذلـك الجـمال الجـذّاب بشـكلٍ مُثـيرٍ للدهشـة)، وليـس (الـشيء المُشـابِه جـدًّا لمـا سـأحِب أن أفعلـه يومًـا مـا)، عـليّ أن أحافِـظ عـلى عـدم تورُّطـي في الأمـر، لكـن هـذا كان يجذبنـي بشـدة، حتـى حلـم الليلـة الماضيـة، بهوائـه البـارِد، محـض صُدفـة بالطبـع، لكنها مُقلِقَـة عـلى أي حـال، لقـد لَمَـسَ هـذا القاتِـل قلـب مـا كان يـدور حوله قتـلي، بالطريقـة التـي عَمَـل بهـا بالطبـع، وليـس في اختيـاره للضحايـا، كان لا بُـد مـن إيقافـه دون شـك، هـؤلاء العاهـرات المسـكينات.

ولا تـزال.. الحاجـة للـبرودة.. مـن المُثـير للاهتـمام اكتشـافه في وقـتٍ مـا، إيجـاد مـكان لطيـف، مـكان ضيـق..

ضيق؟ من أين أتت هذه الفكرة؟

بشــكلٍ طبيعــي.. مــن حلمــي، لكــن هــذه كانــت طريقــة عقــلي للقـول بأننـي يجـب أن أفكِّـر في الأمـر.. أليـس كذلِـك؟ وبـدت كلمـة ضيـق صحيحـة بشـكلٍ مـا.

بارد وضيق..

قُلت: "شاحنة مُبردة".

فتحـت عينـيّ، كانـت ديـبرا تُصـارِع فـمًا مليئًـا بالبيـض لتتمكَّـن مـن الحديـث.

"ماذا؟".

"إنـه مُجـرَّد تخمـين، للأسـف.. ليسـت رؤيـة حقيقيـة، لكـن ألا يبـدو هـذا منطقيًـا؟".

سألتني: "كيف يبدو هذا منطقيًا؟».

نظـرت إلى طبقـي وتجهّمـت، حاولـت تصـوُّر كيـف يبـدو الأمـر منطقيًـا.

"يُريـد بيئـة بـارِدة، كي يُقلّـل مـن تدفُّـق الدمـاء، وبفضلهـا يبـدو الأمـر.. نظيفًـا".

"إذا كُنت تقول ذلك".

"أنا أقول ذلك، وعلى المكان أن يكون ضيقًا...".

"لماذا؟ من أين أتت هذه الفكرة بحق الجحيم.. ضيق؟".

اخـترت عـدم سـماع هـذا السـؤال وأنـا أقـول: "إذًا شـاحنة مُـبردة سـتفي بهـذه الـشروط، وهـي مُتحرِّكـة، الأمـر الـذي يجعـل التخلُّـص مـن القمامـة بعـد ذلـك سـهلًا".

أخـذت ديـبرا قضمـة مـن الخُبـز وفكَّـرت لدقيقـةٍ وهـي تمضغهـا، قبـل أن تقـول في النهايـة وهـي تبتلعهـا: "إذًا.. ربمـا يملـك القاتـل تصريـح دخـول لواحـدةٍ مـن هـذه الشـاحنات؟ أو يمتلِـك واحـدة؟".

"ربمـا.. باسـتثناء أن جريمـة قتـل الليلـة الماضيـة كانـت الأولى التـي ظهـرت فيهـا علامـات التبريـد".

عَبَسَت ديبرا وهي تقول: "إذًا خرج واشترى شاحنة؟".

"عـلى الأرجَـح لا، لا يـزال هـذا أمـرًا تجريبيًـا، ربمـا كان هـذا دافعًـا لتجربـة التبريـد".

أومـأت وهـي تقـول: "ولـن يُحالِفنـا الحـظ أبـدًا للدرجـة التـي سـتجعله يقـود واحـدة مـن أجـل كسـب قـوت يومـه أو شـيئًا مـن هـذا القبيـل، أليـس كذلِـك؟".

أعطيتهـا أكـبر ابتسـاماتي وأنـا أقـول: "يـا ديـب، كـم أنـتِ سريعـة هـذا الصبـاح، لا.. أخـشى أن صديقنـا أذكى مـن أن يـورِّط نفسـه بهـذه

الطريقـة".

رَشَـفَت ديـبرا مـن قهوتهـا قبـل أن تضـع كوبهـا، انحنـت للأمـام وهـي تسـأل: "إذًا نحـن نبحَـث عـن شـاحنة مـبردة مسروقـة؟".

قُلـت: "أخـشى ذلـك، لكـن كـم عـدد الشـاحنات المسروقـة خـلال الثمانيـة وأربعـين سـاعة الأخـيرة؟".

قالـت في غضـب: "في ميامـي؟ شـخص مـا سـيسرق واحـدة، وسـينتشر الحديـث أن الأمـر يسـتحِق، وفجـأة.. كُل عصابـة لعينـة مكوّنـة مـن شـخصين؛ مُهاجـر غـير شرعـي، مُدمِـن، أو لـص مبتـدئ سـيسرق واحـدة، فقـط لتواكـب الأمـر".

قُلت: "دعينا نأمل أن الحديث لم ينتشر بعد".

ابتلعَـت ديـبرا آخـر قطعـة مـن خبزهـا وهـي تقـول: "سـأتحقَّق مـن الأمـر".

مـدَّت يدهـا عـبر المنضـدة لتضغـط عـلى يـدي، قبـل أن تقـول: "أقـدِّر هـذا حقًّا".

منحتنـي ابتسـامة خجولـة مُـتردِّدة دامَـت لثانيتـين وهـي تقـول: "لكننـي قَلِقـة بشـأن كيفيـة توصُّلـك لهـذه الأمـور يـا ديكـس، أنـا فقـط...".

نظـرت للأسـفل وهـي تضغـط عـلى يـدي مـرة أخـرى، ضغطـت عـلى يدهـا، وأنـا أقـول: "دعـي القلـق لي، عليـكِ فقـط أن تجـدي تلـك الشـاحنة".

الفصل الثامن

نظريًّا.. فاجتماع الاثنتين وسبعين ساعة الخاص بمترو يُعطي الفُرصة لكُل شخص كي يصل لمكانٍ ما في القضية، لكنه عليه أن يحدُث مبكرًا والجميع يبحثون عن حلول، لذلك.. أقيم صباح يوم الاثنين، في غُرفة اجتماعات بالطابق الثاني، اجتمع فريق مُكافحة الجرائم بالمُحققة لاجويرتا التي لا تُقهَر مرة ثانية لمُدة اثنتين وسبعين ساعة، اجتمعت معهم، رُمِقت ببعض النظرات، وبعض المُلاحظات الجيدة من رجال الشُّرطة الذين يعرفونني، بعض المُجاملات البسيطة، المُبهِجة، وخفيفة الظل مثل: "مرحبًا يا رجل الدماء، أين ممسحتك المطاطية؟".

هؤلاء الرجال هُم ملح الأرض، وقريبًا.. ستُصبح عزيزتي ديبرا واحدةً منهم، شعرت بالفخر والتواضُع لكوني موجودًا معهم في نفس الغُرفة.

لسوء الحظ.. لم يكُن كُل الحضور يشعُر بهذه المشاعِر، قال الرقيب دوكس بفظاظةٍ: "ماذا تفعل هنا بحق اللعنة؟".

كان رجلًا أسود ضخمًا للغاية مشهورًا للغاية بميله للعداء الدائم، يمتاز بالشراسة الباردة وهو أمر كان سيكون مُفيدًا لشخصٍ ما لديه هوايتي، من العار أننا لا يُمكِن أن نكون أصدقاء، لسببٍ ما.. كان يكره كُل تقنيي المُختبر، ولسببٍ إضافي آخر.. كان هذا دائمًا ما يعني ديكستر على وجه الخصوص، كما أنه أيضًا يحمل رقم مترو ديد القياسي في تمرين ضغط البنش، لذلك قدَّر ابتسامتي الباردة.

قُلت له: "أتيت من أجل الاستماع فقط أيها الرقيب".

قال: "لم أتلق أي أمر لبقائك هنا، اخرج من هنا".

قالت لاجويرتا: "يستطيع البقاء أيها الرقيب".

حدَّق دوكس بها وهو يقول: "من أجل أي شيء لعين؟".

قُلـت وأنـا أتوجَّـه نحـو البـاب دون قناعـة حقيقيـة: "لا أريـد أن أجعـل أي شـخص غـير سـعيد".

قالـت لاجويرتـا وهـي تمنحنـي ابتسـامة حقيقيـة: "كُل شيء عـلى مـا يُـرام تمامًـا".

نظرت إلى دوكس وهي تُكرِّر: "بإمكانه البقاء".

تذمَّر دوكس وهو يقول: "يجعلني أشعر بشعورٍ غريبٍ".

بـدأت أقـدِّر مـدى جـودة هـذا الرجـل، بالطبـع أجعله يشـعر بشـعورٍ غريـبٍ، كان السـؤال الحقيقـي الوحيـد هـو لمـاذا كان هـو الوحيـد في غُرفـة مليئـة برجـال الشرطـة الـذي يمتلـك مـن البصـيرة مـا يكفـي ليشـعر بشـعورٍ غريـبٍ في حضـوري.

قالـت لاجويرتـا بصرامـةٍ لطيفـةٍ لا تجعـل مجـالًا للشـك في كونهـا المسـؤولة: "لنبـدأ".

استرخى دوكس في مقعده وهو يرمقني بنظرةٍ عابسةٍ أخيرةٍ.

كان الجـزء الأول مـن الاجتـماع مسـألة روتـين: تقاريـر، منـاورات سياسـية، كُل الأشـياء الصغـيرة التـي تجعلنـا بـشرًا، هـؤلاء الذيـن كانـوا بـشرًا منـا، عـلى أي حـال.. أطلَعـتْ لاجويرتـا الموظَّفـين عـلى المعلومـات عـمَّا يُمكِنهـم أو لا يُمكنهـم البـوح بـه للصحافـة. تضمَّنـت الأشـياء التـي يُمكِـن الإفصـاح عنهـا للصحافـة صـورة جديـدة لامِعـة للاجويرتـا كانـت قـد أتـت بهـا خصيصًـا لهـذه المُناسـبة، كانـت برَّاقـة عـلى الرغـم مـن كونهـا جـادة، حـادة لكنهـا رقيقـة، بإمكانِـك أن تراهـا تُعِـد مُلازمًـا في تلـك الصـورة، لـو أن ديـبرا فقـط تمتلِـك هـذا النـوع مـن الـذكاء في

العلاقات العامة.

استغرق الأمر أكثر من ساعة لنصل لجرائم القتل الفعلية، لكن في النهاية.. طلبت لاجويرتا تقديم تقارير عن التقدُّم المُحرَز في العثور على شاهدها الغامض، لم يكُن لدى أي شخص أي شيء ليقدِّمه لها، حاولت جاهدًا أن أبدو متفاجئًا.

رمقت لاجويرتا المجموعة بعبوسٍ صارمٍ وهي تقول: "بحقكم أيها الناس، يجب أن يجد شخص ما شيئًا ما هنا".

لكن شخصًا لم يفعل، كانت هنالك وقفة بينما كان الجميع مشغولًا في فحص أظافِرهم، الأرض، أو البلاط الليِّن الموجود في السقف.

تنحنحت ديبرا وهي تقول: "أنا...".

تنحنحت مرة أخرى وهي تقول: "لديّ.. فكرة، فكرة مُختلِفة، حول تجربة شيء ما في اتجاه مُختلِف قليلًا".

قالتها كما لو كانت بين علامتي اقتباس، وقد كانت كذلك بالفعل، لم يستطِع كُل تدريبي الدقيق أن يجعل صوتها يبدو طبيعيًا عندما قالت ذلك، لكنها على الأقل.. تمسَّكت بعنايةٍ بصيغتي السياسية الصحيحة.

رفعت لاجويرتا حاجبًا مرسومًا بعناية وهي ترسم على ملامحها تعبيرًا لتُظهِر مدى دهشتها وسعادتها وهي تقول: "فكرة؟ حقًّا؟ من فضلك، بكُل الطُرق المُمكِنة، شاركينا بها، أيتها الضابِطة آينشـ.. أقصد.. أيها الضابطة مورجان".

ضحك دوكس، رجل مُضحِك.

احمرَّت ديبرا خجلًا، وهي تقول بتردُّد: "تـ.. تبلور الخلايا، في الضحية الأخيرة، أود التحقُّق لمعرفة إذا ما تمّ الإبلاغ عن سرقة أي

شـاحنات مُـبردة في الأسـبوع المـاضي أو مـا شـابه".

صمـت، صمـت مطبَـق غبـي، كقطيـع صامـت مـن البقـر، لم يفهمـوا الأمـر، الحمقـى، ولم تجعلهـم ديـبرا يدركـون مـدى حماقتهـم، تركـت الصمـت ينمـو، صمـت غذّتـه لاجويرتـا بعبـوسٍ فاتـنٍ، قبـل أن تُرسِـل نظـرة حائـرة حـول الغُرفـة لـترى إذا مـا كان أي شـخص آخـر يُتابِـع الأمـر، ثـم ابتسـمت ابتسـامة مُهذَّبـة إلى ديـبرا.

قالت لاجويرتا: "شاحِنة.. مبرِدة؟".

بـدت ديـبرا في حالـة تأثُّـر تـام، المسـكينة، لم تكُـن هـذه الفتـاة تسـتمتع بالحديـث أمـام العامـة، قالـت: "هـذا صحيـح".

تركـت لاجويرتـا الأمـر مُعلَّقًـا، كانـت مُسـتمتِعة وهـي تقـول: "إمممـم".

أظلـم وجـه ديـبرا، لم تكُـن تلـك علامـة جيـدة، تنحنحـتُ، وحـين لم يُفـد ذلـك.. سـعلت، بصـوتٍ عـالٍ بمـا يكفـي ليُذكِّرهـا أن تظـل هادئـة، نظـرت لي، وكذلـك فعلـت لاجويرتـا، قُلـت: "آسـف، أعتقِـد أننـي سـأصاب بالـبرد".

هل يُمكِن لأي شخص حقًّا أن يطلب أخًا أفضل؟

صاحـت ديـبرا وهـي تتمسَّـك بحبـل نجـاتي: "الـ. بـرد، مـن المُحتمَـل أن تُسـبِّب الشـاحنة المُـبردة هـذا النـوع مـن تلـف الأنسِـجة، وهـي مُتحرِّكـة، لذلـك سـيكون مـن الصعـب الإمسـاك بهـا، أمـا التخلُّـص مـن الجُثـة فسـيكون أسـهل كثـيرًا، لذلـك.. إذا سرقهـا أحدهـم، أعنـي الشـاحنة المـبردة، فربمـا يعطينـا هـذا دليـلًا".

حسـنًا، كان هـذا مُعظَـم الأمـر، وقـد نَجَحَـت في نـشره هنـاك، انتشرت نظـرة عابِسـة أو اثنتـان عـلى وجـوه تـدرس الأمـر في الغُرفـة، كان بإمكاني سـماع صـوت الـتروس وهي تـدور.

أومأت لاجويرتا وهي تقول: "هذه فكرة.. مُثيرة للاهتمام للغاية أيتها الضابِطة".

نطقت كلمة الضابِطة بأقل قدر مُمكِن من التأكيد، لتذكيرنا جميعًا بأنها كانت ديمقراطية بالقدر الذي يسمح لأي شخص بالتحدُّث، لكن في الحقيقة.. ابتسمت ابتسامة باردة خجولة وهي تقول: "لكنني ما زلت أعتقِد أن أفضل رهان بالنسبة لنا هو أن نجد الشاهِد، نحن نعرف أنه هناك".

قبل أن تقول لتُثبِت لنا أن بإمكانها أن تبدو حادة: "أو أنها هناك، لكن شخصًا ما رأى شيئًا ما، نعرف هذا بفضل الأدلة، لذا دعونا نركِّز على ذلك، ونترك هذه المحاولة اليائِسة الضعيفة للرجال في بروارد، حسنًا؟".

توقَّفت مؤقتًا، في انتظار ضحكة خافتة لتدور في الغُرفة قبل أن تقول: "لكن أيتها الضابِطة مورجان، سأكون مُمتنةً لمُساعدتك المُستمِرَّة في التحدُّث إلى العاهرات، إنهم يعرفونكِ هناك".

يا إلهي، كانت جيدة، كانت قد مَنَعَت أي شخص من محاولة التفكير حتى في فكرة ديب، ألزَمت ديب حدودها، وقامَت بحشد الفريق خلفها مرة أخرى بالنكتة التي قالتها عن تنافسنا مع مُقاطعة بروارد، كُل هذا ببضع كلمات بسيطة، شعرت برغبةٍ في التصفيق.

باستثناء.. أنني بالطبع كُنت في فريق ديبرا المسكينة، التي دُمِّرَت للتو، فغرت فمها للحظةٍ، قبل أن تُغلِقه، راقبت عقدة عضلات فكِّها، وهي تدفع وجهها ليعود ببطءٍ لطبيعته كشُرطية، بطريقتها الخاصة، وبأداءٍ جيدٍ، لكن في الحقيقة.. لم تكُن حتى في نفس مستوى لاجويرتا.

كان باقي الاجتماع هادئًا، لم يكُن هناك حقًّا ما يُمكِن أن يُقال

بعد ما قيل، لذلك.. بعد وقت قليل من قمع لاجويرتا البارِع، انتهى الاجتماع، وعدنا للرواق مرة أخرى.

تمتمت ديبرا بصوتٍ خافتٍ: "اللعنة عليها، اللعنة، اللعنة، اللعنة عليها!".

وافقتها قائلًا: "بالتأكيد".

حدَّقت في وجهي وهي تقول: "شكرًا يا أخي، قدمت لي ما يكفي من المُساعدة".

رفعت حاجبيّ في مواجهتها وأنا أقول: "لكننا اتفقنا أنني سأبقى خارج الموضوع، كي تحصلي على الفضل بأكمله".

نخرت وهي تقول: "الفضل! لقد جعلتني أبدو وكأنني مُغفّلة".

"مع كامل احترامي يا شقيقتي العزيزة.. أنتِ قابلتها في مُنتصف الطريق".

نظرت إليّ ديبرا قبل أن تنظُر بعيدًا، وهي تلوِّح بيديها في اشمئزازٍ وهي تقول: "ماذا كان من المُفترَض أن أقول؟ أنا حتى لست جزءًا من الفريق، أنا هنا فقط لأن النقيب طلب منهم إشراكي في الأمر".

قُلت: "ولم يقُل أن عليهم أن يستمِعوا إليكِ".

قالت بمرارة: "لم يفعلوا، ولن يفعلوا".

"وبدلًا من أن يدفعني هذا إلى وحدة جرائم القتل، سيقتل مسيرتي المهنية، سأموت وأنا مُفتّشة وقوف سيارات يا ديكستر".

قُلت: "هناك مخرَج يا ديب".

وكانت النظرة التي رمقتني بها تقول أن أملها كان قد قلَّ بمقدار الثلث، وهي تقول: "ماذا؟".

ابتسمت نحوها أكثر ابتساماتي المُريحة، المُتحديّة، وأنا أقول: "اعثري على الشاحِنة".

مـرّت ثلاثـة أيـام قبـل أن أسـمَع مـن شـقيقتي العزيـزة بالتبنـي مـرة أخـرى، وهـي فـترة طويلـة لتمُـر دون أن تتحـدَّث معـي، أتـت إلى مكتبـي بعـد الغـداء مُبـاشرةً يـوم الخميـس، بـدت حزينـة وهـي تقـول: "وجدتهـا".

ولم أفهم ما تعنيه.

سألتها: "ماذا وجدت يا ديب؟ ينبوع الغضب؟".

قالت: "الشاحنة، الشاحنة المبردة".

قُلـت: "لكـن هـذه أخبـارًا رائعـة، لمـاذا تبديـن وكأنـكِ تبحثـين عـن شـخص مـا لصفعـه؟".

قالت: "لأنني كذلِك".

ألقـت بأربـع أو خمـس صفحـات مُدبَّسـة عـلى مكتبـي، وهـي تقـول: "انظـر إلى هـذا".

تناولتها وأنا أنظر للورقة العلوية وأقول: "أوه، كم عددها؟".

قالـت: "ثلاثـة وعـشرون، في الشـهر المـاضي تـم الإبـلاغ عـن سرقـة ثلاثـة وعشريـن شـاحِنة مـبردة، يقـول رجـال المـرور أن مُعظمهـم انتهـى بـه الأمـر في القنـاة، محروقًـا مـن أجـل الحصـول عـلى أمـوال التأمـين، لا يوجـد أي شـخص مُهتَـم حقًّـا بالعثـور عليهـا، لذلـك لـن يقـوم أي شـخص بذلـك".

قُلت: "مرحبًا بكِ في ميامي".

تنهَّـدت ديـبرا وهـي تأخـذ القائمـة منـي، استرخَـت في كرسـيها وكأنهـا فقـدت لتوهـا كُل عظامهـا، قالـت: "مُسـتحيل أن أسـتطيع التحقُّـق منهـا جميعًـا، ليـس بمُفـردي، سيسـتغرِق الأمـر شـهورًا، اللعنـة يـا ديكـس، والآن.. مـاذا سـنفعل؟".

هـزَزت رأسي وأنـا أقـول: "أنـا آسـف يـا ديـب، لكـن الآن.. علينـا

الانتظـار فحســب".

"هذا كُل ما في الأمر؟ الانتظار؟".

قُلت: "هذا كُل ما في الأمر".

وقـد كان، لمُـدة أسـبوعين، كان هـذا كُل مـا في الأمـر، انتظرنـا، وبعـد ذلـك..

الفصل التاسع

استيقظت مُغطى بالعرق، لست متأكدًا من مكان تواجدي، لكنني كُنت مُتأكّدًا أن جريمة أخرى على وشك أن تحدُث، في مكانٍ ما ليس ببعيدٍ كان يبحث عن ضحيته التالية، ينزلِق عبر المدينة مثل قرش وسط الشّعاب المرجانية، كُنت على يقينٍ أنني على وشك سماع صوت خرخرة الشريط اللاصِق، كان هناك، يُطعِم راكِبه المُظلِم، الذي كان يتحدَّث مع راكبي المُظلِم، وفي نومي.. كُنت أركَب معه، قرش رامورة شبحي في دوائره البطيئة الكبيرة.

جلست في فراشي الصغير وأبعدت الملاءات الملتويّة، الساعة الموجودة بجوار الفراش أخبرتني أن الساعة كانت ٤١:٣، بعد أربع ساعات فقط منذ دخولي للفراش، شعرت وكأنني كُنت أركُض في الغابة طوال الوقت مع بيانو على ظهري، كُنت مُتعرِّقًا، مُتصلِّبًا، وغبيًّا، غير قادِر على تكوين أي أفكار على الإطلاق تتجاوَز اليقين أن هذا كان يحدُث بالخارِج بدوني.

كان النوم قد بات مُستحيلًا في تلك الليلة بلا شك، أشعلت الضوء، كانت يداي مُتعرِّقتين وترتجفان، مسحتهما في الملاءة، لكن هذا لم يُساعد، كانت الملاءة مُبتلّة تمامًا، ترنّحت نحو الحمَّام كي أغسل يديّ، وضعتهما تحت الماء الجاري، أطلَق الصنبور دفقة من الماء الدافئ، بدرجة حرارة الغُرفة، وللحظةٍ.. كُنت أغسِل يديّ بالدم، تحوَّل لون الماء للأحمر، لثانية واحدة فقط.. وفي ضوء الحمَّام الخافِت، امتلأ الحوض بالدماء.

أغلقت عينيّ.

تحوَّل العالم.

كُنت قد قصدت التخلُّص من هذه الحيلة التي سبَّبها الضوء وعقلي نصف النائم، أغلق العينين، ومن ثمَّ أفتحهما، سينتهي الوهم وببساطة.. ستكون المياه الموجودة في الحوض نظيفة، لكن بدلًا من ذلك.. كان الأمر أشبه بأن إغلاق عينيّ فَتَح زوجًا من العيون على عالمٍ آخر.

عُدت إلى حلمي، أطفو كنصل سكين فوق أضواء جادة بيسكاين، يطير بحدةٍ، وقسوة متوجّهًا إلى هدفي، و...

فتحت عينيّ مرة أخرى، كان الماء مُجرَّد ماء، لكن ماذا كُنت أنا؟

هززت رأسي بعُنفٍ، بهدوء أيها الولد الكبير، ليس ديكستر الفاقِد للسيطرة على نفسه، أرجوك، أخذت نفسًا عميقًا ونظرت إلى نفسي، بدوت في المرآة بالطريقة التي من المُفترض أن أبدو بها، الملامح الهادئة للغاية؛ عينان زرقاوان هادئتان وساخرتان، تقليد مثالي لحياة البشر، باستثناء أن شعري كان منتصِبًا للأعلى مثل شعر ستان لوريل، لم تكُن هناك أي علامة على ما مرَّ سريعًا للتو عبر عقلي نصف النائم وأخرجني من سُباتي.

أغمضت عينيّ مرة أخرى بحرصٍ، ظلام.

ظلام عادي، بسيط، دون طيران، دون دماء، دون أضواء المدينة، ديكستر القديم الجيد فقط، بعينين مُغلقتين أمام المرآة، فتحتهما مرة أخرى، مرحبًا أيها الولد العزيز، من الجيد للغاية أنك عُدت، لكن أين كُنت بحق السماء؟

كان هذا -بالطبع- هو السؤال، لقد أمضيت مُعظم حياتي دون أن أنزعِج من الأحلام أو الهلوسة، دون رؤى لنهاية العالم بالنسبة لي، دون أيقونات مُزعِجة لكارل يونج تنطلِق من عقلي الباطِن، دون صور مُتكرِّرة غامِضة تنجرِف عبر اللا وعي الخاص بي، دون أي

صدام مع ليلة ديكستر، عندما أذهَب للنوم، ينام كُل شيء فيَّ.

إذن.. ما الذي حَدَث للتو؟ لماذا بدأت هذه الصور في الظهور لي؟

رششت وجهي بالماء ودفعت شعري إلى الأسفل، بالطبع هذا لم يُجِب على السؤال، لكنه جعلني أشعر بقليلٍ من التحسُّن، ما مدى سوء الأمور إذا ما كان شعري أنيقًا؟

في الحقيقة.. لم أكُن أعلم، يُمكِن أن تسوء الأمور للغاية، من المُمكِن أن أفقِد كُل.. أو العديد من أفكاري، ماذا لو كُنت أنزلِق في الجنون قطعة في كُل مرة لسنواتٍ، وكان هذا القاتل الجديد قد تسبَّب ببساطةٍ في سقوطي النهائي في جنونٍ مُطبَق؟ كيف لي أن آمل في الاتزان العقلي لشخصٍ مثلي؟

بدت الصور وكأنها حقيقية للغاية، لكنهم لا يُمكِن أن يكونوا كذلِك، كُنت هنا في فراشي، ورغم ذلك.. كدت أكون قادرًا على شم رائحة الماء المالِح، العادِم، والعطور الرخيصة فوق جادة بيسكاين، كان الأمر حقيقيًا تمامًا، لكن أوليست تلك واحدة من علامات الجنون، أن الأوهام لا يُمكِن تمييزها عن الواقِع؟ ليس لديّ إجابة، ومن المُستحيل أن أجد أيًا منها، التحدُّث لطبيبٍ نفسي لم يكُن أمرًا مطروحًا بالطبع، سأخيف المسكين حتى الموت، وقد يشعُر بالفخر بعد أن يجعلني محبوسًا في مكانٍ ما.

بالتأكيد لم أستطِع أن أجادِل حكمة هذه الفكرة، لكن إذا كُنت على وشك أن أفقِد سيطرتي على سلامة عقلي كما بنيته، فهذه مُشكلتي تمامًا، والجزء الأول من المُشكلة كان أنه لا توجد طريقة للتأكُّد من ذلك.

على الرغم من ذلك.. حين تُفكِّر في الأمر، فهناك طريقة واحدة.

بعد عشر دقائِق كُنت أقود سيارتي بجوار دينر كي، قُدت ببطءٍ، بما أنني لم أكُن أعرِف في الواقع ما الذي أبحث عنه، كان هذا الجُزء

مـن المدينـة قـد نـام، بقـدر مـا نـام في أي وقـت مـضى، لا يـزال عـدد قليـل مـن النـاس يتجوّلـون في المناطِـق السـياحية ذات المناظـر الطبيعية الرائعـة لميامـي؛ السـياح الذيـن تناولـوا الكثـير مـن القهـوة الكوبيـة ولم يسـتطيعوا النـوم، أشـخاص مـن ولايـة أيـوا يبحثـون عـن محطـة وقـود، أجانـب يبحثـون عـن سـاوث بيتـش، والمُجرمـون بالطبـع، البلطجيـة، اللصـوص، المُدمنـون، مصاصـو الدمـاء، الغيـلان، والوحـوش المُختلِفـة.. مثـلي، لكـن في هـذا المـكان.. وفي هـذا الوقـت.. هنـاك قلـة قليلـة منهـم، كانـت هـذه هـي ميامـي المهجـورة، التـي أصبحـت مهجـورة، مـكان جعلـه شـبح حشـد النهـار وحيـدًا، كانـت مدينـة حوّلـت نفسـها لأرض صيـد، دون التنكُّـر الصـارخ لأشـعة الشـمس والقُمصـان الزاهيـة.

لـذا بـدأت بالصيـد، تتبعتنـي عيـون الليـل الأخـرى وطردتنـي عندمـا مـررت بهـا دون أن أبطـئ، قـدت سـيارتي شـمالًا، فـوق الجـسر المُتحـرك القديـم، وسـط مدينـة ميامـي، مـا زلـت غـير مُتأكِّـد مـما أبحـث عنـه ومـا زلـت لا أراه، ورغـم ذلـك.. لسـببٍ مـا غـير مُريـح، كُنـت مُتأكِّـدًا تمامًـا مـن أننـي سـأجده، وأننـي أسـير في الاتجـاه الصحيـح، أنـه ينتظـرني هنـاك.

بعـد أومنـي انتعشَـت الحيـاة الليليـة، المزيـد مـن النشـاط، المزيـد مـن الأمـور لرؤيتهـا، نـداءات مـن عـلى الرصيـف، موسـيقى رخيصـة تـأتي وتذهَـب عـبر نوافِـذ السـيارات، خرجـت فتيـات الليـل للخـارِج في أسراب، في أركان الشـوارع، يضحكـن معًـا، أو يحدِّقـن بغبـاءٍ في السـيارات المـارّة، تباطـأت بعـض السـيارات لتحـدِّق فيهـن، يحدقـون ببلـه في الأزيـاء وفيـما تركـوه مكشـوفًا، أمامـي.. عـلى بُعـد مبنيـين توقَّـف الطريـق، وخرجـت مجموعـة مـن الفتيـات مـن الظـلال، مـن عـلى الرصيـف، انطلاقًـا إلى الشـارع، أحطـن بالسـيارة عـلى الفـور، تعثَّرت حركـة المـرور، انفجـرت الأبـواق، وجلـس مُعظَـم السـائقين لدقيقـةٍ، كانـوا

راضين بالمُشاهدة، لكن شاحنة نفد صبرها التفَّت حول مجموعة من السيارات، ودلفت إلى الحارة المُقابلة.

شاحنة مبردة.

قُلت لنفسي: هذا لا يعني شيئًا، ربما توصيل شُحنة من الزبادي ليلًا، نقانق لحم الخنزير من أجل الإفطار، لضمان أن تكون طازِجة، اتجهت الشاحِنة المُحمَّلة شمالًا نحو المطار، كانت الشاحنات المبردة تتحرَّك عبر ميامي على مدار الساعة، حتى الآن.. حتى في ساعات الليل.. هذا كُل شيء ولا شيء آخر.

لكنني وضعت قدمي على دواسة الوقود على أي حال، تحرَّكت للأمام، خارِج الازدحام المروري، عبرت ثلاث سيارات كانت متوقِّفة في الطريق بسائقيهم المحاصرين، توقَّفت الحركة المرورية، نظرت إلى الأمام، نحو الشاحنة، كانت تسير بشكلٍ مُستقيمٍ في بيسكاين، تعبر مجموعة من إشارات المرور، سأفقِده إن تأخَّرت أكثر من ذلك، وفجأة.. أردت بشدةٍ ألا أفقِده.

انتظرت وجود فجوة في الازدحام المروري لأعبرها سريعًا نحو الحارة المُقابِلة، دُرت حول الطريق قبل أن أزيد من سُرعتي، اقتربت من الشاحنة، حاولت عدم التحرُّك بسُرعةٍ كبيرةٍ، حاولت ألا أبدو واضحًا، لكنني بدأت بتقليل المسافة بيننا ببطءٍ، كان يسبقني بثلاث إشارات مرورية، ثم اثنتين.

ثم تحوَّل ضوؤه للون الأحمر، وقبل أن أشعر بالسعادة وألحق به، تحوَّل ضوئي أيضًا، توقَّفت، أدركت بقليلٍ من الدهشة أنني أمضغ شفتي، كُنت متوتِّرًا؛ أنا، ديكستر مكعَّب الثلج، كُنت أشعر بقلقٍ بشري، يأس، وضيق عاطفي حقيقي، أردت أن ألحَق بالشاحنة وأرى بنفسي، كيف أردت أن أضع يديّ على الشاحنة، أفتح باب الكابينة، أنظر بداخلها..

وماذا بعد؟ سأعتقله بمُفردي؟ سآخذه من يده للمُحقِّقة العزيزة لاجويرتا؟ هل رأيتِ ما أمسكت به؟ هل يُمكنني الاحتفاظ به؟ على الأرجَح هو من سيحتفِظ بي، كان في وضع الصيد الكامل، بينما أنا ألحق به من الخلف مثل أخ صغير غير مرغوب فيه فقط، ولماذا كُنت ألحَق به؟ هل أردت فقط أن أثبِت لنفسي أنه هو، المقصود، أنه بالخارِج يتجوَّل وأنني لم أكُن مجنونًا؟ وإن لم أكُن مجنونًا.. فكيف عَرِفت؟ ما الذي يحدُث في عقلي؟ ربما كان الجنون حلًّا أكثر سعادة بعد كُل شيء.

اندفَع رجل عجوز أمام سيارتي، عبر الشارِع ببطءٍ لا يُصدَّق وبخطواتٍ مؤلِمةٍ، راقبته لدقيقةٍ، تعجَّبت كيف ستكون الحياة حينما أتحرَّك بهذا البطء، قبل أن أنظر نحو الشاحِنة المبردة.

تحوَّل ضوؤه للون الأخضر، لكن ضوئي لم يفعَل.

زادت سُرعة الشاحنة، تحرَّكت شمالًا نحو الطرف العلوي بسُرعتها القصوى، أصبحت المصابيح الخلفية أصغر بينما كُنت أراقِبه، أنتظِر لون ضوئي ليتغيَّر.

وهو الأمر الذي لم يفعله، عضضت على أسناني، برفقٍ يا ديكس! عبرت الضوء، تفاديت الرجل العجوز بالكاد، لم ينظُر للأعلى أو يخطو خطوة.

كان الحد الأقصى للسرعة على امتداد جادة بيسكاين هو خمسة وثلاثين، في ميامي.. هذا يعني أنه في حال لم تتجاوز الخمسين.. سيخرجونك عن الطريق، زدت سُرعتي إلى خمسة وستين، تحرَّكت عبر الزحام الخفيف، أتوق لتقليل المسافة، خفتت أضواء الشاحِنة وهو يدور عبر منحنى.. أم تراه استدار؟ زدت سرعتي إلى خمسة وسبعين، تجاوزت مُنعطف جسر الطريق رقم ٩٧، عبرت المُنعطف الموجود بجوار بابليكس ماركت، قبل أن أسير في طريق مُستقيم،

أبحـث بقلـقٍ عـن الشـاحنة.

ورأيتها، هناك.. أمامي.. تتحرّك نحوي.

انقلَـب الوغـد عـليّ، هـل شـعر بي وأنـا أتعقّبـه؟ هـل شـمّ رائحـة عادمـي وهـي تطير نحـوه؟ لا يهـم.. إنـه هـو، نفـس الشـاحنة بـلا شـك، وبينـما كُنـت أطـارده تحـوَّل نحـو طريـق الجسـر.

دخلـت إلى موقـف سـيارات المركـز التجاري وأبطـأت، أدرت السـيارة وانطلقـت خروجًـا مـن جـادة بيسـكاين، اتجـه جنوبًـا الآن، بعـد أقـل مـن مبنـى اسـتدرت نحـو الجسـر أيضًـا، بعيـدًا.. بعيـدًا في الأمـام، بالقُـرب مـن الجسـر الأول، رأيـت الضـوء الأحمـر الصغير، يغمـز، يسـخر مني، دعسـت دواسـة الوقـود بقدمـي وانطلقـت للأمـام.

كان الآن عـلى المُنحـدر العلـوي للجسـر، يزيـد مـن سرعتـه، ليُحافِـظ عـلى المسـافة ثابِتـة بيننـا، الـذي لا بـد أن يعنـي أنـه يعـرف، أنـه يُـدرِك أن شـخصًا مـا يتبعـه، دفعـت سـيارتي أكـثر قليـلًا، اقتربـت، شـيئًا فشـيئًا، بمسـافاتٍ قصـيرةٍ.

وبعـد ذلـك.. اختفـى، فـوق الحدبـة الموجـودة في أعلى الجسـر، هبوطًا نحـو الجانـب البعيـد، مُتجهًـا بسرعـةٍ كبـيرةٍ جـدًا نحـو قريـة نـورث باي، كانـت منطقـة مُشـدَّدة الحراسـة، لـو زاد مـن سرعتـه فسـيتم مُلاحظتـه وإيقافـه، ثم..

كُنت في أعلى الجسر، فوق الحدبة الآن، وتحتي..

لا شيء، طريق فارِغ.

أبطـأت، بحثـت في جميـع الاتجاهـات مـن أعـلى نقطـة فـوق الجسـر، تحرَّكـت سـيارة نحـوي، لم تكُـن الشـاحنة، مُجـرَّد سـيارة ميركـوري ماركيز بحاجـزٍ مُحطـمٍ، حدَّقـت للأسـفل نحـو الجانـب الآخـر مـن الجسـر.

في الجـزء السـفلي مـن الجسـر، قسـم الجسـر قريـة نـورث بـاي إلى

منطقتين سكنيتين، خلف محطة الوقود ناحية اليسار، هناك صف من الشُّقق والوحدات السكنية يُمثِّل دائرة صغيرة، أما ناحية اليمين فبيوت صغيرة لكن باهِظة الثمن، لا يتحرك أي شيء في كلا الجانبين، لا توجد أي أضواء ظاهرة، لا علامة على وجود أي شيء، سواء سيارات أو حياة.

تحرّكت ببطءٍ عبر القرية، فارغة، كان قد اختفى، في جزيرة بها شارع واحد فقط، أضاعني، لكن كيف؟

عُدت إلى الخلف، انطلقت في حارة الطوارئ على جانب الطريق وأغلقت عينيّ، لم أعرف لماذا، ربما كُنت آمل أن أرى شيئًا ما مرة أخرى، لكنني لم أفعل، ظلام فقط، وأضواء ساطعة صغيرة تتراقَص داخل جفني، كُنت مُتعبًا، شعرت بالغباء، أجل، أنا؛ ديكستر الطائش، يحاول أن يكون الولد المعجزة، مُستخدمًا قواي النفسية العظيمة لأتعقَّب العبقري الشرير، أطارده في سيارتي السريعة مُحاربة الجريمة، وفي أغلَب الظن.. كان مُجرَّد صبي توصيل مُتحمِّس يلعب ألعابًا نفسية مع السائق الآخر الوحيد الموجود على الطريق في هذه الليلة، شيء خاص بميامي يحدُث كُل يوم مع كُل سائق في مدينتنا الجميلة، طاردني، لن تستطيع أن تُمسِك بي، إصبع مرفوع، وتلويح على شكل مُسدَّس، همهمات، ثم عودة للعمل.

مُجرَّد شاحنة مُبردة، لا شيء أكثر من ذلك، تُسرِع الآن بعيدًا عبر ميامي بيتش مع صوت موسيقى هيفي ميتال تمزِّق الصمت عبر مُكبِّر صوت الراديو، وليس قاتلي، ليس هناك أي رابط غامض يسحبني من السرير عبر المدينة في جوف الليل، لأن هذه كانت مُجرَّد كلمات سخيفة للغاية، وسخيفة جدًّا بالنسبة لديكستر صاحب القلب الفارغ.

تركت رأسي يسقُط على عجلة القيادة، كم هو رائع أن يكون

لديـك مثـل هـذه التجربـة الإنسـانية الأصيلـة، الآن عَرِفـت كيـف كان الشـعور بأننـي أحمـق تمامًـا، كان بإمـكاني سـماع الجـرس عـلى الجسـر المُتحـرك مـن مسـافةٍ قريبـةٍ، يـدق مُحـذرًا أن الجـسر عـلى وشـك الصعـود، دينـج دينـج دينـج، جـرس إنـذار لعقـلي مُنتهـي الصلاحيـة، تثاءبـت، حـان وقـت العـودة للمنـزل، العـودة للفـراش.

سمعت صوتًا يدور من خلفي، نظرت للخلف.

مـن خلـف محطـة الوقـود الموجـودة في نهايـة الجـسر خـرج سريعًـا في دائـرة ضيقـة، اجتـازني وهـو يحتـك بـالأرض كـما لـو كان قـد فقـد عجلاتـه الخلفيـة، زاد مـن سُرعتـه، وعـبر الحركـة غـير الواضحـة رأيـت خـارج نافـذة السـائق شـكلًا يـدور في اتجاهـي، جامحًـا وقاسـيًا، انحنيـت، ارتطـم شيء مـا بجانـب سيارتي، تـاركًا مـن خلفـه صـوت انبعـاج باهـظ الثمـن، انتظـرت للحظـةٍ، فقـط كي أكـون بأمـان، ثـم رفعـت رأسي ونظـرت، كانـت الشـاحنة تُـسرِع مُبتعـدة، تحطَّـم حاجـز الجـسر المُتحـرك الخشـبي وتمـر عـبره، قفـزت عـبر الجـسر الـذي بـدأ في الارتفـاع، وطـارت نحـو الناحيـة الأخـرى بسـهولةٍ، الأمـر الـذي جعـل عامـل الجـسر ينحنـي وهـو يـصرخ، ثـم ذهبـت الشـاحنة، أسـفل الجانـب الآخـر مـن الجـسر، عائـدة نحـو ميامـي، بعيـدًا في الجانِـب الآخـر عـبر الفجـوة المُتسِـعة والجـسر المُرتفِـع، ذهـب، ذهـب بـلا أمـل، ذهـب كأن لم يكُـن، ولـن أعـرف أبـدًا إذا مـا كان هـو القاتِـل أم أنـه مُغفَّـل عـادي آخـر مـن مُغفَّـلي ميامـي.

خرجـت مـن سـيارتي لألقـي نظـرة عـلى الانبعـاج، كان كبـيرًا، نظـرت حـولي لأري مـا ألقـى بـه.

كان قـد تدحـرج عـلى بُعـد عـشرة أو خمسـة عـشر قدمًـا قبـل أن يتهـادى إلى مُنتصـف الطريـق، حتـى مـن هـذه المسـافة.. لم يُمكننـي أن أخطئهـا، لكـن فقـط لأتأكَّـد أننـي عـلى يقـينٍ تـام دون أدنى شـك، أضـواء

سيارة أمامية قادمة أنارتها، انحرفت السيارة واصطدمت بالسياج، وفوق صوت بوقها الذي لم يتوقَّف، كان بإمكاني أن أسمع صراخ السائق، مشيت نحو ذلك الشيء لأتأكَّد.

نعم، هذا بالفعل ما كان عليه الأمر، رأس امرأة.

انحنيت لألقي نظرة، كان جرحًا نظيفًا للغاية، عمل رائع جدًّا.

لم تكُن هناك أي دماء تقريبًا على حافة الجرح، قُلت: "حمدًا لله".

قبل أن أدرِك أنني كُنت أبتسِم، ولماذا لا أفعل؟

أوليس هذا لطيفًا؟ لم أكُن مجنونًا بعد كُل شيء.



الفصل العاشر

بعد الثامنة صباحًا بقليل، اقتربَت مني لاجويرتا حيث كُنت جالسًا فوق صندوق سيارتي، وضعت مؤخرتها المثالية على السيارة وانزلقت حتى تلامس فخذانا، انتظرتها لتقول شيئًا ما، لكنها لم تبدُ وكأنها تمتلك أي كلمات خاصة بهذه المُناسبة، وكذلك كُنت أنا، لذلك جلست هناك لعدة دقائق وأنا أنظُر نحو الجسر، أشعر بحرارة ساقها على ساقي وأتساءل أين ذهب صديقي الخجول بشاحنته، لكنني أفقت من حلمي الهادئ حين شعرت بضغطة على فخذي.

نظرت إلى ساق سروالي، كانت لاجويرتا تعجن فخذي كما لو كان قطعة من العجين، نظرت إلى وجهها، بادلتني النظر، قالت: "وجدوا الجُثة، كما تعرف.. بقية الجسد الذي يتماشى مع الرأس».

وقفت وأنا أسألها: "أين؟".

نظرت لي بالطريقة التي ينظُر بها الشُّرطي إلى شخص ما وجد رأسًا بلا جُثة في الشارِع، لكنها أجابت قائلة: "مكتب مركز المستودعات".

سألتها وأنا أشعر بقشعريرة باردة تجتاح جسدي: "في المكان الذي يلعب فيه فريق الفهود؟ في الثلج؟".

أومأت لاجويرتا وهي لا تزال تُراقبني قائلةً: "فريق الهوكي، هل اسمه فريق الفهود؟".

قُلت دون أن أستطيع تمالُك نفسي: "أعتقِد أن هذا ما يُطلَق عليهم».

زمَّت شفتيها وهي تقول: "وجدوها محشورة في شبكة المرمى".

سألتها: "شبكة مرمى الزوَّار أم أصحاب الأرض؟".

قالت بدهشة: "هل يصنع هذا فارقًا؟".

هززت رأسي وأنا أقول: "مُجرَّد مزحة أيتها المُحقِّقة".

قالـت وعيناهـا تبتعـدان عنـي لتتجهـا نحـو الحشـد وهـي تقـول: "لأنـه ليـس بإمـكاني معرفـة الفـارِق، يجـب أن أجـد شـخصًا مـا هنـاك يعـرف عـن الهـوكي".

قبـل أن تُضيـف وهـي تنظُـر نحـو شـخص مـا يحمـل قُـرص هـوكي: "سـعيدة أن بإمكانـك المـزاح حـول الأمـر".

تجهَّمت وهي تحاول التذكُّر: "ما هي.. السامبولي؟".

"ماذا؟".

رفعـت كتفيهـا وهـي تقـول: "نـوع مـن الآلات، يسـتخدمونه لكسـح الجليـد».

"زامبوني؟".

"أيًّـا كان، الرجـل الـذي يقودهـا، كان يكسـح الجليـد اسـتعدادًا لتدريـب هـذا الصبـاح، اثنـان مـن اللاعبـين، يبـدو أنهـما يُحبـان الحضور مُبكِّـرًا؟ ويحبـان الثلـج طازجًـا، لذلـك قـام هـذا الشـخص، سـائق الــ..".

تـردَّدت قليـلًا قبـل أن تُكمِـل: "سـائِق السـامبولي؟ يحـضر مُبكِّـرًا في أيـام التدريـب، وبينـما يقـود هـذا الـشيء عـلى الجليـد؟ رأى هـذه الحـزم مُكدَّسـة، في الأسـفل هنـاك داخـل شـبكة المرمـى؟ هبـط مـن مركبتـه ليُلقـي نظـرة".

هـزَّت كتفيهـا وهـي تقـول: "دوكـس هنـاك الآن، يقـول أنهـم ليـس بإمكانهـم أن يجعلـوا الرجـل يهـدأ بمـا فيـه الكفايـة ليُخبرنـا بالمزيـد".

قُلت: "أعرِف القليل عن الهوكي".

نظرت إليّ مرة أخرى بعينين ثقيلتين وهي تقول: "لا أعلم عنك الكثير يا ديكستر، هل تلعب الهوكي؟".

قُلت بتواضع: "لا، لم ألعبه قط، ذهبت إلى قليلٍ من المُباريات فحسب".

لم تقُل أي شيء، اضطررت لعض شفتي لأخفي توتُّري، في الحقيقة.. كان لدى ريتا تذاكر موسمية لمُباريات فهود فلوريدا، ولدهشتي الشديدة اكتشفت أنني أحب الهوكي، لم تكُن الفوضى القاتلة والحماس المسعور هي الأمور التي استمتعت بها، كان هناك شيء ما في الجلوس في الصالة الضخمة الرائعة، شيء وجدته مريحًا، وكان من دواعي سروري الذهاب إلى هناك لمُشاهدة الجولف، في الواقع.. كُنت سأقول أي شيء لأجعل لاجويرتا تأخذني إلى حلبة التزلُّج، أردت الذهاب للحلبة بشدة، أردت أن أرى هذه الجُثة مُكدَّسة في الشبكة على الجليد أكثر من أي شيء آخر يُمكنني التفكير فيه، أردت أن أفض التغليف الأنيق وأرى اللحم الجاف النظيف، كُنت أرغَب في رؤيته بشدة لدرجة أنني شعرت وكأنني رسم كارتوني لكلب يتوق للذهاب إلى هناك، أردت أن أكون هناك معها لدرجة أنني شعرت باغترار النفس والرغبة في تملُّك الجسد.

في النهاية قالت لاجويرتا: "حسنًا".

كُنت على وشك الانسلاخ عن جلدي، ابتسمت نحوي ابتسامة صغيرة غريبة، كان جزء منها رسميًا، لكن ماذا كان الجزء الآخر؟ شيء آخر تمامًا، شيء بشري، للأسف.. كان هذا يفوق مستوى فهمي، أكملت حديثها قائلة: "امنحنا فرصة للحديث".

قُلت بطريقةٍ ساحرة: "سأحب هذا كثيرًا".

لم ترد لاجويرتا، ربما لم تسمعني، لكن هذا لم يكُن مُهمًّا، كانت تتخطى تمامًا أي شعور بالسُّخرية حينما يتعلَّق الأمر بصورتها

الذاتيـة، يُمكِنـك أن تثنـي عليهـا بأبشـع إطـراء في العـالم وسـتتقبله عـلى النحـو الـذي تسـتحقُه، لا أسـتمتع حقًّـا بمُغازلتهـا، لا يوجـد مـرح حيـث لا يوجـد تحـدٍ، لكننـي لم أكُـن أعـرِف مـاذا أيضًـا يُمكننـي أن أقـول، مـا الـذي تخيَّلـت أننـا سـنتحدَّث بشـأنه؟ لقـد اسـتجوبتني بالفعـل بـلا رحمـة عندمـا وصلَـت إلى مـسرح الجريمـة لأول مـرة.

وقفنـا بجانـب سـيارتي المسـكينة المُبعِجـة وشـاهدنا شروق الشـمس، كانـت قـد نظـرت نحـو الجـسر وسـألتني سـبع مـرات إذا مـا كُنـت قـد رأيـت سـائق الشـاحنة، لـكُل مـرة منهـم تأثـير مُختلِـف، عبسـت بـين الأسـئلة، كانـت قـد سـألتني خمـس مـرات إذا مـا كُنـت مُتأكِّـدًا مـن أنهـا شـاحنة مـبردة، أنـا متأكِّـد مـن أن هـذا كان دقيقًـا مـن جانبهـا، أرادت أن تسـأل عـن ذلـك أكـثر قليـلًا، لكنهـا تراجعـت خشـية أن تبـدو واضحـةً، حتـى أنهـا نسـيت نفسـها مـرة وسـألت بالإسـبانية، أجبتهـا بالإسـبانية أننـي كُنـت مُتأكِّـدًا، نظـرت إليّ ولمسـت ذراعـي، لكنهـا لم تسـأل مـرة أخـرى.

ونظـرت إلى مُنحـدر الجـسر ثـلاث مـرات، هـزَّت رأسـها وقالـت بصـوتٍ خافـتٍ وهـي تبصـق: "كلبـة".

مـن الواضِـح أن تلـك كانـت إشـارة للضابِطة الكلبـة، شـقيقتي العزيزة ديـبرا، نحـن في مواجهـة شـاحنة مـبردة حقيقيـة كـما توقَّعـت ديـبرا، كان مـن الـضروري القيـام بقـدرٍ مُعـينٍ مـن التفكـير، ونظـرًا للطريقـة التـي كانـت لاجويرتـا تعـض شـفتها السُّـفلى بهـا فإنهـا كانـت تعمـل بجـد لحـل المُشـكِلة، كُنـت متأكِّـدًا تمامًـا مـن أنهـا سـتأتي بـشيءٍ مـا غـير مُريـح لديـب -كان هـذا شـيئًا تُجيـد فعلـه- لكـن في الوقـت الحـالي.. كُنـت آمـل في ارتفـاع متواضـع في أسـهم شـقيقتي، ليـس مـع لاجويرتـا بالطبـع، لكـن يُمكِـن للمـرء أن يأمـل في أن يلاحِـظ الآخـرون أن الجـزء العظيـم مـن محاولـة عمـل الشُّرطـة كان قـد انتهـى.

مـن الغريـب.. أن لاجويرتـا لم تسـألني عـمّا كُنـت أفعلـه بالقيـادة في مثـل تلـك السـاعة، بالطبـع أنـا لسـت مُحقِّقًـا، لكنـه بـدا أنـه سـؤال واضـح إلى حـدٍّ مـا، ربمـا سـيكون مـن القـاسي قـول أن إشرافهـا كان نموذجيًـا، لكـن هـا هـي ببسـاطة.. لم تسـأل.

ورغـم ذلـك.. عـلى مـا يبـدو كان هنـاك الكثـير لنتحـدَّث عنـه، لـذا تبعتهـا إلى سـيارتها، سـيارة شـيفروليه كبـيرة زرقـاء عُمرهـا سـنتان كانـت تقودهـا أثنـاء الخدمـة، بعـد سـاعات العمـل كانـت لديهـا سـيارة WMB صغـيرة لم يكُـن مـن المُفـترض أن يعـرف عنهـا أحـد.

قالت: "اركب".

دلفت إلى الكرسي الأمامي الأزرق الأنيق.

قـادت لاجويرتـا سـيارتها سريعًـا، داخـل وخـارج الزحـام المـروري، وفي دقائـق قليلـة كُنـا فـوق طريـق الجسـر المـؤدي إلى جانِـب ميامـي مـرة أخـرى، عـبر بيسـكاين، وبعـد نصـف ميـل أو نحـو ذلـك كُنـا في الطريـق إل - ٥٩، قـادت سـيارتها في الطريـق السريـع، توجَّهـت شـمالًا وسـط الزحـام المـروري في سُرعـة مُبالـغ فيهـا قليـلًا حتـى في ميامـي.

لكـن بمُجـرَّد وصولنـا للطريـق ٥٩٥ اتجهنـا غربًـا، نظـرت لي بشـكلٍ جانبـي ثـلاث مـرات، بطـرف عينيهـا، قبـل أن تتحـدَّث في النهايـة قائلـة: "قميـص جميـل".

نظـرت إلى قميـصي الجميـل، كُنـت قـد ارتديتـه عـلى عجـل وأنـا أغادر شـقتي، ورأيتـه الآن للمـرة الأولى، قميـص بولينـج مـن البوليسـتر مطبوع عليـه تنـين أحمـر فاتـح، كُنـت قـد ارتديتـه طـوال اليـوم في العمـل، كان بسـيطًا وواسـعًا، لكـن أجـل.. كان نظيفًـا إلى حـدٍّ مـا، وجميـلًا بشـكلٍ مـا بالطبـع، لكنـه لا يـزال.

هـل تقـوم لاجويرتـا بمُحادثـة صغـيرة كي أشـعر بالراحـة بمـا يكفـي لأعـترِف اعترافًـا مُدمِّـرًا؟ هـل تشُـك في أننـي أعـرف أكـثر مـما أقـول

وتظُـن أن بإمكانهـا اسـتدراجي للتحـدُث؟

قالت: "لطالما ارتديت مثل هذه الملابس الجميلة يا ديكستر".

طالعتنـي بابتسـامةٍ ضخمـةٍ بلهـاءٍ، غـير مُدركـة أنهـا عـلى وشـك أن تصـدم بسـيارتها شـاحنة عملاقـة، نظـرت للأمـام في الوقـت المُناسِـب لتُحـرِّك عجلـة القيـادة بإصبـعٍ واحـدٍ، تحرّكنـا بجـوار الشـاحنة، غربًـا في الطريـق ٥٩٥.

فكـرت في الملابِـس الجميلـة التـي لطالمـا ارتديتهـا، حسـنًا.. بالطبـع كُنــت أفعَـل، كُنــت أفتخِـر بكـوني الوحـش الأكـثر أناقـةً في مُقاطعـة ديـد، أجـل.. بالطبـع.. قـام بتقطيـع السـيد دوارتي اللطيـف، لكنـه كان أنيقًـا للغايـة! ارتـدى الملابـس المُناسِـبة لـكُل المُناسـبات، لكــن مـاذا يرتـدي المـرء عندمـا يذهـب لقطـع رأس شـخص مـا في الصبـاح الباكـر؟ قميـص بولينـج جديـدًا وسروالًا طبيعيًـا، كُنـت أرتـدي ملابـسي عـلى الموضـة، لكـن بـصرف النظـر عـما ارتديتـه عـلى عجـل هـذا الصبـاح، لطالمـا كُنـت حريصًـا، كان هـذا واحـدًا مـن دروس هـاري؛ تأنَّـق، ارتـدِ أزيـاء جميلـة، تفـادى لفـت الانتبـاه.

لكـن لمـاذا يجـب عـلى مُحقِّقـة جرائـم بعقليـةٍ سياسـيةٍ مثلهـا أن تُلاحِـظ أو تهتـم؟ لم يكُـن الأمـر كـما لـو أنهـا...

أم تراهـا كانـت؟ بـدأت فكـرة صغـيرة سـيئة في النمـو، شيء مـا في الابتسـامة الغريبـة التـي مـلأت وجههـا قبـل أن تنظُـر بعيـدًا منحنـي الإجابـة التـي أبحـث عنهـا، كان الأمـر سـخيفًا، لكـن مـاذا يُمكِـن أن يكـون أيضًـا؟ لم تكُـن لاجويرتـا تبحـث عـن طريقـة لإجبـاري عـلى أن أسـقِط دفاعـاتي لتطـرَح مزيـدًا مـن الأسـئلة الثاقِبـة عـما رأيتـه، ولم تكُـن تهتـم حقًّـا بخـبرتي في لعبـة الهـوكي.

كانت لاجويرتا اجتماعية، وكانت تحبني.

هـا أنـا لا زلـت أحـاول التعـافي مـن الصدمـة المروِّعـة لهجومـي

الغريب المُفاجئ على ريتا، والآن.. هذا؟ لاجويرتا تحبني؟ هل ألقى الإرهابيون شيئًا ما في منبَع الماء في ميامي؟ هل أفرِز نوعًا ما من الفيرمونات الغريبة؟ هل أدرَكَت فجأة كُل امرأة في ميامي مدى يأس الرجال الحقيقيين، هل أصبحت جذابًا بشكلٍ ما؟ بمُنتهى الجديّة.. ما الذي يحدُث هنا بحق الجحيم؟

بالطبع قد أكون مُخطِئًا، اندفعت هذه الفكرة نحوي مثلما تفعل أسماك الباراكودا مع الملاعق الفضية، بعد كُل شيء.. يا لها من أنانيةٍ مُطلقةٍ أن أعتقِد أن امرأة رائعة، رفيعة الطراز، ذات وظيفة ناجحة مثل لاجويرتا قد تُظهِر أي نوع من أنواع الاهتمام بي، ألم يكُن من المُرجَح أن...

أن ماذا؟ على الرغم من أنه كان أمرًا مؤسفًا، لكنه كان منطقيًا، كنا في نفس مجال العمل، وبالتالي.. كما نصَّت الحكمة البوليسية القديمة، من المُرجَح أن نفهم ونغفِر لبعضنا البعض، يُمكِن لعلاقاتنا أن تنجو رغم ساعات عمل الشُّرطة ونمط الحياة المُتعَب، وعلى الرغم من أنني لم أنسب فضل هذا لنفسي، لكنني أنيق بما فيه الكفاية، نظيف بشكلٍ جيدٍ، كما يُحِب القدماء أن يقولوا، وقد جعلت نفسي ساحرًا لعدة سنوات حتى الآن، كان حديثًا سياسيًّا بحتًا، لكن لم يجب عليها أن تعرف ذلك، كُنت جيدًا في البقاء ساحرًا، واحد من الأمور القليلة للغاية التي أفتخِر بها، درست بجدٍّ وتدرَّبت لفترةٍ طويلةٍ، وعندما قدَّمت نفسي للناس، لم يستطِع أيهم أن يعرف أنني كُنت أزيِّف الأمر، كُنت جيدًا للغاية في نثر بذور السحر، ربما كان من الطبيعي أن تنبت البذور في النهاية.

لكن أن تنبت في ذلك؟ وماذا بعد؟ هل ستدعونني لتناول عشاء هادئ في ليلة ما؟ أو بضع ساعات من النعيم المليء بالعرق في فندق كاشيك؟

مـن حُسـن الحـظ أننـا وصلنـا للملعب قبـل أن يتملّكنـي الذعـر تمامًا، دارت لاجويرتـا حـول المبنـى مـرة، باحثـةً عـن المدخـل الصحيـح، الـذي لم يكُـن مـن الصعـب إيجـاده، وقفـت مجموعـة مـن سـيارات الشُرطـة مُتناثـرة خـارج صـف مـن الأبـواب المزدوجـة، صفَّـت سـيارتها الكبـيرة بينهـم، قفـزت خـارِج السـيارة سريعًـا، قبـل أن تتمكّـن مـن وضـع يدهـا عـلى ركبتـي، حرجـت ونظـرت إليّ لدقيقـةٍ، وارتعـش فمهـا.

قُلت: "سألقي نظرة".

لم أركـض نحـو الملعـب، بالتأكيـد.. كُنـت أشـعر بلاجويرتـا، لكننـي كُنـت مُتلهّفًـا للدخـول إليهـا؛ لأرى مـا فعلـه صديقـي اللعـوب، لأكـون بالقُـرب مـن عملـه، لأستنشِـق عجائبـه، لأتعلّـم.

بالداخِـل.. تـردَّد صـدى الهـرج النموذجـي المُميَّـز لأي مـسرح جريمـة قتـل، ومـع ذلـك.. بـدا لي وكأن هنـاك كهربـاء خاصـة في الهـواء، شـعور هـادئ بالإثـارة والتوتُّـر لـن تجـده في أي جريمـة قتـل عاديـة، شـعور بأن هـذا كان مُختلِفًـا لحـدٍّ مـا، قـد تحـدُث هـذه الأشـياء الجديـدة والرائعـة لأننـا كُنـا في الطليعـة هنـا، لكـن ربمـا كان هـذا أنـا فحسـب، وقفـت مجموعـة مـن النـاس حـول شـبكة المرمـى القريبـة، ارتـدى العديـد منهـم الـزي الرسـمي لـبروارد، طـووا أيديهـم وهـم يراقبـون النقيـب ماثيـوس وهـو يُجـادل رجـلًا يرتـدي حلـة مُفصَّلـة حـول السُـلطة القضائيـة، حينـما اقتربـت وجـدت أنجيـل -لسـت قريبـه- في وضـعٍ غـير عـادي، يقـف فـوق رجـل أصلـع مُنحـنٍ عـلى ركبـةٍ واحـدةٍ يعبَـث في كومـة مـن العبـوات الملفوفـة بعنايـةٍ.

توقّفـت عنـد الدرابزيـن للنظـر مـن خـلال الزجـاج، وهـا قـد كانـت، عـلى بُعـد عـشرة أقـدام فقـط، بـدت مثاليـة للغايـة في الثلـج النقـي لحلبـة الهـوكي المكسـوحة مؤخـرًا، سـيُخبِرك أي صائـغ أن العثـور عـلى الإعـدادات المُناسـبة أمـر مهـم للغايـة، وهـذا.. كان مُذهِـلًا، مثاليًـا

تمامًا، شعرت بقليلٍ من الدوار، لم أكُن مُتأكِّدًا إذا ما كان الدرابزين سيتحمَّل ثِقل وزني، كما لو كان بإمكاني المرور مُباشرةً عبر الخشب الصلب مثل الضباب.

وحتى من فوق الدرابزين كان بإمكاني القول أنه أخذ وقته، فعل ذلك بطريقةٍ صحيحةٍ، على الرغم مما بدا وكأنه لقاء قريب للغاية قد حدث منذ دقائق قليلة على الجسر، أم أنه يعرف بطريقةٍ ما أنني لم أقصد أي ضرر؟

وبما أنني طرحت الأمر على أي حال، فهل قصدت في الواقع ألا أؤذيه؟ هل قصدت حقًّا تتبّعه إلى مخبئه والتوصُّل لكُل ما يُمكنني التوصُّل إليه لدعم مسيرة ديبرا المهنيَّة؟ هذا بالطبع ما اعتقدت أنني أفعله، لكن هل سأكون قويًّا بما فيه الكفاية لأستمر في ذلك إذا ما استمرَّت الأمور في أن تُصبِح مُمتعة للغاية؟ كُنا هنا في حلبة الهوكي حيث قضيت العديد من الساعات المُمتِعة في التأمُّل؛ ألم يكُن هذا دليلًا أكبر على كون هذا الفنان، معذرة.. أقصد "القاتل» بالطبع كان يتحرَّك في مسارٍ موازٍ لي؟ انظر فقط للعمل الرائع الذي قام به هنا.

والرأس.. كان هو المُفتاح، من المؤكَّد أنه كان مُهِمًّا للغاية أن يترك خلفه جزءًا مما يفعله، هل ألقى به ليُخيفني، ليُصيبني بنوباتٍ من الرعب، الفزع، والهلع؟ أم أنه عَرِف بطريقةٍ ما أنني شعرت بنفس الإحساس الذي يشعُر به؟ هل يُمكِن أن يشعُر بدوره بالرابط بيننا، أم تُراه يريد فقط أن يكون مرحًا؟ هل يغيظني؟ كان يجب أن يكون لديه سبب مُهِم لتركه مثل هذا التذكار، كُنت أشعُر بأحاسيس قوية ومُذهِلة، كيف يُمكنه ألا يشعُر بشيءٍ؟

وقفت لاجويرتا بجواري وهي تقول وقد تغيَّرت نبرة صوتها قليلًا: "تبدو في عجلةٍ من أمرك".

أشـارت برأسـها نحـو كومـة أجـزاء الجسـد المُكدَّسـة وهـي تُضيـف: "هـل تخـشى أن تهـرب؟".

كُنـت أعلـم أن في داخـلي بمـكانٍ مـا إجابـة ذكيـة، شيء مـن شـأنه أن يجعلهـا تبتسِـم، أن يسـحرها أكـثر قليـلًا، أن يُمهِـد طريـق هـروبي المُحرِج مـن بـين براثنهـا، لكـن الوقـوف هنـاك بجـوار الدرابزيـن، النظـر للأسـفل نحـو الجسـد الموجـود عـلى الجليـد، في شـبكة المرمـى، في ظـل هـذه العظمـة، يُمكِـن للمـرء أن يقـول.. مـن الصعـب إيجـاد رد ذكي، نجحـت في السـيطرة عـلى نفـسي كيـلا أصرُخ بهـا أن تخـرَس، لكننـي كُنـت عـلى وشـك القيـام بالأمـر.

قُلت بصدقٍ: "كان عليّ أن أرى".

قبـل أن أتعـافى بمـا يكفـي لأضيـف: "إنهـا شـبكة مرمـى الفريـق المضيـف".

ضربتني على ذراعي بغنجٍ وهي تقول: "أنت فظيع".

مـن حُسـن الحـظ.. اقـترَب الرقيـب دوكـس منـا، ولم تمـلُـك المُحقِّقـة الوقـت الـكافي لتضحـك ضحكـة مليئـة بالمـرح، الأمـر الـذي كان سـيُصبِح فـوق قـدرتي عـلى التحمُّـل، وكـما هـو الحـال دائمًـا.. بـدا دوكـس أكـثر اهتمامًـا بالعثـور عـلى طريقـة يقبـض بهـا عـلى ضلوعي ويشـق جسـدي أكـثر مـن أي شيء آخـر، رمقنـي بنظـرة ترحيـب حـادة للدرجـة التـي جعلتنـي أرحـل سريعًـا لأتركـه مـع لاجويرتـا، حـدَّق في ظهـري، راقبنـي بتعبـيرٍ يقـول أننـي يجـب أن أكـون مُذنبًـا بـشيءٍ مـا، وسـيود بشـدةٍ أن يتمكَّـن مـن فحـص أحشـائي ليكتشِـفه، أنـا مُتأكِّـد أنـه سـيكون أكـثر سـعادة في مـكانٍ يُسـمَح فيـه للشرطـة بكـسر عظمـة سـاق أو عظمـة فخـذ، ابتعـدت عنـه في حركـةٍ دائريـةٍ، تحرَّكـت ببـطءٍ إلى الحلبـة نحـو أقـرب مـكان يُمكننـي الدخـول منـه، كُنـت قـد وجدتـه للتـو عندمـا هاجمنـي شيء مـا مـن جانبـي الأعمـى واصطـدم بي بشـدةٍ في ضلوعـي.

استدرت لمواجهة الشخص الذي اعتدى عليّ بكدمةٍ وابتسامةٍ متوتِّرةٍ وأنا أقول: "مرحبًا يا أختي العزيزة، من الجيد رؤية وجه مألوف".

قالت في همسٍ غاضبٍ: "وغد!".

قُلت: "على الأرجح، لكن لماذا تخبرينني بهذا الآن؟".

"لأن كان لديك دليل أيها الوغد ابن العاهرة، ولم تتصل بي!".

تأتأت قائلًا: "دليل؟ ما الذي جعلكِ تعتقدين...".

نخرت قائلة: "كف عن العبث يا ديكستر، لم تكُن تتسكَّع في الرابعة بعد مُنتصف الليل بحثًا عن العاهرات، كُنت تعرف أين كان، اللعنة".

فهمت الأمر فجأة، كُنت مُنغمِسًا في مشاكلي الخاصة، بدءًا من الحلم، وحقيقة أنه من الواضِح أن الأمر كان أكثر من ذلك، مرورًا بمواجهتي الكابوسية مع لاجويرتا، لم يخطُر ببالي أنني ظلمت ديبرا، بالطبع لم أشاركها بذلك، كانت لتغضب، قُلت محاولًا تهدئة مشاعرها قليلًا: "لم يكُن دليلًا يا ديبرا، لم يكُن أمرًا قاطِعًا، مُجرَّد.. شعور، فكرة، هذا كُل شيء، لم يكُن شيئًا حقًّا".

قالت بكُرهٍ مرة أخرى: "باستثناء أنه كان شيئًا، لقد وجدتَه".

قُلت: "في الحقيقة.. لست مُتأكِّدًا، أعتقِد أنه هو من وجدني".

قالت: "توقَّف عن التذاكي".

مددت يدي في إشارةٍ لمدى استحالة ذلك، قالت: "لقد وعدتني، عليك اللعنة».

لم أتذكَّر أنني قدمت أي نوع من أنواع الوعود يشمل الاتصال بها في مُنتصف الليل لإخبارها عن أحلامي، لكن هذا لم يكُن شيئًا جيدًا لقوله، لذلك لم أفعَل، وبدلًا من ذلك قُلت: "أنا آسف يا

ديب، لم أتوقَّع أن الأمر سينجَح، كان مُجرَّد.. حدس، حقًّا".

بالتأكيد لم أحاول العثور على أي تفسير يتضمَّن علم التخاطُر، حتى مع ديب، أو ربما ليس معها على وجه الخصوص، لكن خطرَت لي فكرة أخرى، خفضت صوتي وأنا أقول: "ربما يُمكِنكِ مُساعدتي قليلًا، ما الذي يُفترَض بي أن أخبرهم به حين يسألونني عما كُنت أفعله بالقيادة هناك في الرابعة بعد مُنتصف الليل؟".

"هل قامَت لاجويرتا باستجوابك بعد؟".

قُلت وأنا أحاول منع قشعريرة تنتابني: "بكثافةٍ".

ظهر الاشمئزاز على وجه ديب وهي تقول: "ولم تسأل".

لم يكُن هذا سؤالًا.

قُلت: "أنا مُتأكِّد أن المُحقِّقة لديها الكثير في ذهنها في الوقت الحالي".

لم أضف أنه على ما يبدو أن بعضًا من هذا كان أنا، قبل أن أضيف: "لكن آجلًا أم عاجلًا، سيسأل شخص ما".

نظرت إلى حيث تُدار العملية وأنا أقول بفزعٍ حقيقي: "على الأرجَح سيكون الرقيب دوكس".

أومأت برأسها وهي تقول: "إنه ضابِط جيد، عليه فقط أن يسترخي قليلًا".

قُلت: "ربما يكون هذا هو كُل ما يملكه، لكنه لا يحبني لسببٍ ما، سوف يسأل عن أي شيء يظُن أنه سيثير ارتباكي".

قالت ديبرا فورًا: "إذًا أخبره بالحقيقة، لكن أولًا.. أخبرني بها".

وخزتني مرة أخرى في نفس المكان، قُلت: "أرجوكِ يا ديب، أنتِ تعرفين مدى سهولة إصابتي بالكدمات".

"لا أعلم، لكنني أعتقِد أنني سأحب أن أعرِف".

وعدتهـا قائـلًا: "لـن يحـدث هـذا مـرة أخـرى، كانـت مُجـرَّد لحظـة مـن لحظـات إلهـام الثالثـة بعـد مُنتصـف الليـل يـا ديـبرا، مـاذا كُنـتِ سـتقولين إذا مـا اتصلـت بـكِ بشـأنها، قبـل أن يتضِـح أنهـا لا شيء؟".

قالـت وهـي تدفعنـي مـرة أخـرى: "لكنهـا لم تكُـن، اتضـح أنهـا شيء مـا".

"لم أعتقِـد أنـه سـيكون شـيئًا، وكُنـت لأشـعر بالغبـاء في حـال جررتـكِ إلى ذلـك".

قالت: "تخيَّل كيف كُنت سأشعر إذا ما قام بقتلك".

باغتنـي الأمـر، لم أسـتطِع حتـى أن أتخيَّـل بمـا كانـت ستشـعُر، النـدم؟ خيبـة الأمـل؟ الغضـب؟ هـذا النـوع مـن الأشـياء فـوق مستوى إدراكي، أنـا خائِـف، لـذا كـرَّرت: "أنـا آسـف يـا ديـب".

وبعـد ذلـك.. ولأننـي شـخص مُبتهِـج ومُتفائِـل ويعـرف دائمًـا كيـف يجـد الجانِـب المُـشرِق، أضفـت: "لكـن عـلى الأقـل كانـت الشـاحنة المـبردة هنـاك".

تطلَّعت في وجهي وهي تقول: "أين كانت الشاحنة؟".

قُلت: "ألم يخبروكِ يا ديب؟".

ضربتنـي بقـوةٍ أكـبر في نفـس المـكان وهـي تقـول بغضـبٍ: "اللعنـة يـا ديكسـتر، مـاذا عـن الشـاحنة؟".

قُلت: "كانت هناك يا ديب".

كُنـت مُحرجًـا إلى حـدًّ مـا مـن رد فعلهـا العاطفـي، وأيضًـا بالطبـع.. مـن حقيقـة أن امـرأة جميلـة كانـت تضربنـي بشـدةٍ، قبـل أن أضيـف: "كان يقـود شـاحنة مـبردة، عندمـا ألقـى الـرأس".

أمسَـكت بذراعـي وحدَّقـت بي قبـل أن تقـول في النهايـة: "مـاذا تقـول بحـق اللعنـة".

"الذي قُلته بحق اللعنة".

قالت: "اللعنةَ".

حدَّقت في الفراغ، لا شك أنها رأت ترقيتها تتأرجح في مكانٍ ما فوق رأسي، وعلى الأرجح كانت ستستمِر، لكن في اللحظة نفسها رفع أنجيل -لست قريبه- صوته عاليًا ليتردَّد صداه في الحلبة بأكملها وهو يصيح: "أيتها المُحقِّقة؟".

نظر نحو لاجويرتا، كان صوته يبدو غريبًا وغير واعٍ، صراخ نصف مُختنِق لرجلٍ لا يصنع ضوضاء عالية في الأماكِن العامة، وجلب شيئًا ما بخصوص صوته الهدوء في المكان بأكمله، كانت النبرة مزيجًا بين صدمة جزئية وانتصار جزئي، كأنه يقول وجدت شيئًا مهمًا لكن يا إلهي، اتجهَت كُل الأنظار إلى أنجيل الذي أومأ برأسه نحو الرجل الأصلع الرابِض بأسفله، والذي بدأ ببطءٍ وحرصٍ في إزالة شيء ما من العبوة العلوية.

أخيرًا.. سحب الرجل هذا الشيء للخارِج، قبل أن يتعثَّر ويسقطه، لينزلِق عبر الجليد، مدّ يده نحوه وهو ينزلِق بدوره، انزلق بجوار الشيء اللامِع الذي أخرجه من العبوة حتى استقرّ كلاهما بجوار حدود الملعب، بأيدٍ مُرتعدةٍ.. مدّ أنجيل يده نحوه، أمسك به ورفعه للأعلى لنتمكَّن جميعًا من رؤيته، الهدوء المُفاجئ الذي ساد في المبنى كان مُلهمًا، مُذهِلًا، جميلًا، مثل موجة من التصفيق العارم المُلازِم لإزاحة الستار عن أي عمل عبقري.

كانت المرآة الخلفية للشاحنة.

الفصل الحادي عشر

ساد ستار من الصمت المُطبق لمُدة دقيقة واحدة فقط، ثم أخذ ضجيج الكلام في حلبة الملعب الأمر لبُعد جديد بينما كان الناس يجتهدون للتكهُّن بالأمر.

مرآة، ماذا يعني ذلك بحق الجحيم؟

سؤال جيد، على الرغم من تأثُّري الشديد بهذا الشيء، لم يكُن لديّ أي نظريات فوريّة عما يعنيه هذا، في بعض الأحيان.. يكون الفن العظيم على هذه الشاكِلة، يؤثِّر عليك دون أن تعرف سببًا لذلك، هل كانت هذه رمزيّة عميقة؟ رسالة مُشفَّرة؟ استجداء موجعًا للمُساعدة والتفاهُم؟ من المُستحيل القول، وبالنسبة لي.. لم يكُن هذا هو الأمر الأكثر أهمية في البداية، أردت فقط أن أستنشِقه، وأن أدع الآخرين يقلقون بشأن كيفية وصوله إلى هناك، ففي النهاية.. ربما سقطَت منه وقرّر أن يلقي بها في أقرب كيس قمامة.

غير مُمكِن، بالطبع غير مُمكِن، والآن.. لا يسعني إلا التفكير في الأمر، كانت المرآة هنا لسببٍ مُهمٍ للغاية، ولم تكُن هذه مُجرّد أكياس قمامة بالنسبة له، نظرًا لكونه أثبت في الوقت الحالي فطنته بإعداد حلبة الهوكي، أسلوب العرض كان جزءًا مُهمًّا مما يفعله، لن يكون هذا أمرًا عرضيًا بمثل هذه التفاصيل، وبسبب ذلك.. بدأت أفكِّر عما يُمكِن أن تعنيه المرآة، عليّ أن أصدِّق ذلك.. بقدر ما يُمكِن أن يكون الأمر مرتجلًا، إلا أن وضعه مع أجزاء الجسد كان متعمَدًا للغاية، وكان لديّ شعور إضافي، في مكانٍ ما بداخلي، أن هذه كانت رسالة حذِرة للغاية، رسالة خاصة للغاية.

لي؟

وإذا لم تكُن لي، إذا فلمَن؟ كان ما تبقى من الأمر يتحدَّث للعالم بأسره: انظُر إلى ما أنا عليه، انظر إلى ما نحن كُلنا عليه، انظر ماذا أفعَل حيال الأمر، مرآة الشاحِنة لم تكُن جزءًا من هذا البيان، تقطيع الجسد، تجفيف الدماء.. كانت هذه أمورًا ضرورية ورائعة، لكن المرآة -وخاصةً إذا ما اتضح أنها جزء من الشاحِنة التي طاردتها- كانت أمرًا مُختلِفًا، رائعًا، أجل؛ لكن ماذا تقول عن الطريقة التي تتم بها الأمور حقًّا؟ لا شيء، لقد وُضِعت هنا من أجل هدف مُختلِف، وهذا الهدف يجب أن يكون بيان من نوع آخر جديد ومُختلِف، استطعت أن أشعُر بقوة الأفكار وهي تتدفَّق عبري، إذا ما كانت جزءًا من الشاحنة، فلا يُمكِن أن تكون إلا لي.

لكن ماذا يعني ذلك؟

سألت ديب بجانبي: "ما هذا بحق الجحيم؟ مرآة! لماذا؟".

قُلت وأنا ما زلت أشعُر بالقوة تتدفَّق عبري: "لا أعرِف، لكنني مُستعِد للمُراهنة على عشاء في مطعم (Joe's Stone Crabs) أنها جزء من الشاحنة المُبردة".

قالت: "دون رهان، لكن على الأقل يطرَح هذا سؤالًا مُهِمًّا".

حدّقت بها مُندهشًا، هل كان بإمكانها القيام حقًّا بهذه القفزة البديهية التي أغفلتها، سألتها: "أي سؤال يا شقيقتي؟".

أومأت برأسها إلى مجموعة من رجال الشُّرطة العاملين في الإدارة، والذين كانوا لا يزالون يتشاجرون بجوار أطراف حلبة الهوكي وهي تقول: "السُّلطة القضائية، هذه قضيتنا، بحقهم".

من الواضِح.. أن المُحقِّقة لاجويرتا لم تكُن مُعجبةً بهذا الدليل الجديد، ربما كانت تُخفي اهتمامًا عميقًا ودائمًا برمزية المرآة، وكُل

ما ينطوي عليه ذلك من واجهةٍ مصنوعةٍ بعنايةٍ من اللا مُبالاة، إما هذا أو أنها كانت غبية حقًّا كصندوق من الصخور، كانت لا تزال تقف مع دوكس، الذي يُحسَب له أنه بدا مُضطرِبًا، لكن ربما كان وجهه قد سئم ببساطةٍ من وهج تصلّبه الدائم، وقرَّر أن يُجرِب شيئًا جديدًا.

قالت لاجويرتا لديب: "مورجان، لم أميِّزكِ وأنتِ ترتدين هذا الزي".

قالت ديب قبل أن أتمكَّن من إيقافها: "أعتقِد أنه من المُمكِن ألا تُميِّزي الكثير من الأشياء الواضِحة".

قالت لاجويرتا: "هذا مُمكِن، لهذا لا يستطيع بعضنا أن يُصبِح مُحقِّقًا".

لقد كان هذا انتصارًا كاملًا وسهلًا، ولم تطِق لاجويرتا ذرعًا أن ترى حتى التسديدة وهي ترتد إليها، استدارت بعيدًا عن ديب وبدأت تتحدَّث إلى دوكس: "لتعرِف من لديه مفاتيح الحلبة، من يُمكِنه الدخول إلى هنا وقتما أراد".

قال دوكس: "حسنًا، سنفحص كُل الأقفال، هل نرى إذا ما كان شخص ما قد تم ضبطه؟".

أجابت لاجويرتا بعبوسٍ ضئيلٍ: "لا، لدينا اتصال مُباشِر بالجليد هنا".

نظرت إلى ديبرا قبل أن تعود إلى دوكس وهي تقول: "هذه الشاحنة المُبردة كانت فقط لإرباكنا".

نظرت إلى ديبرا مرة أخيرة وهي تقول: "من المؤكَّد أن تلف الأنسجة حدث بسبب الجليد، من هنا، إذًا القاتِل مُرتبِط بشكلٍ مُباشرٍ بهذا المكان، وليس بالشاحِنة".

لم يبـد دوكـس مُقتنعًـا، لكنـه لم يكُـن مسـؤولًا عـلى أي حـال، قـال: "حسـنًا".

نظـرت لاجويرتـا إليّ وهـي تقـول: "أعتقِـد أن بإمكانـك العـودة للمنـزل يـا ديكسـتر، أعـرِف أيـن تعيـش في حـال احتجتـك".

عـلى الأقـل قالتهـا دون أن تغمِـز، قادتنـي ديـبرا إلى أبـواب الحلبـة المزدوجـة الكبـيرة وهـي تقـول بغضـبٍ: "إذا اسـتمرّ هـذا الأمر، سـينتهي بي المطـاف كضابطـة مـرور في أقـل مـن عـام".

قُلت: "هذا هراء يا ديب، خلال شهرين كحد أقصى".

"شكرًا"

"حسـنًا، حقًّـا.. لا يُمكنـكِ تحديهـا علانيـة بهـذه الطريقـة، ألم تـري كيـف أخفـى الرقيـب دوكـس الأمـر؟ تحـلي ببعـض الـذكاء بحـق اللـه".

توقَّفـت في مكانهـا وهـي تُمسِـك بي قائلـةً: "ذكاء، اسـمع يـا ديكسـتر، هـذه ليسـت لعبـة مـن نـوعٍ مـا".

"لكنهـا كذلـك يـا ديـب، لعبـة ذكاء، وعـلى الأرجـح.. أنـتِ لا تلعبينهـا بشـكلٍ صحيـحٍ".

نخـرَت وهـي تقـول: "أنـا لا ألعَـب أي لعبـة، هنـاك أرواح بشريـة على المَحـك، هنـاك جـزار حـر طليـق، وسـيبقى طليقًـا مـا دامـت لاجويرتـا متوسّـطة الـذكاء هـي مـن يُديـر الأمـر".

قاومت موجة من الأمل وأنا أقول: "قد يكون الأمر كذلك».

أصرَّت ديب قائلة: "إنه كذلك".

"لكـن ديـبرا.. لـن يُمكِنـك تغيـير ذلـك مـن خـلال إبعـاد نفسـكِ إلى قسـم المـرور في كوكونـوت جـروف".

قالت: "لا، لكن بإمكاني تغيير الأمر بالعثور على هذا القاتل".

حسـنًا.. هنـاك الكثـير مـن النـاس لا يملكـون أي فكـرة عـن كيفيـة

عمل العالم، باستثناء ذلك.. كانت شخصًا ذكيًا للغاية، كانت كذلك حقًا، كانت قد ورثت ببساطة كُل صراحة هاري، طريقته المُباشِرة في التعامُل مع الأشياء، دون التمسُّك بأي نوع من أنواع الحكمة المُرافِقة، مع هاري.. كانت الصراحة هي وسيلته لاختراق كُل الأمور السيئة، لكن طريقة ديبرا.. كانت التظاهُر بعدم وجود أي شيء.

عُدت إلى سيارتي بصُحبة واحدة من سيارات الدورية التي كانت موجودة خارج الحلبة، قُدتها إلى المنزل، تخيَّلت لو كان بإمكاني الاحتفاظ بالرأس، لففتها بعنايةٍ في مناديل ورقية، ووضعتها على المقعد الخلفي لأصحبها إلى المنزل، أمر فظيع وسخيف.. أعرِف ذلك، للمرة الأولى كان بإمكاني فهم الرجال الحزينين، عادةً من العاملين في (Shriners)، الذين يداعِبون أحذية النساء أو يحملون الملابِس الداخلية المُتسِخة، شعور فظيع جعلني أشعُر بالرغبة في الاستحمام بنفس قدر شعوري بالرغبة في ضرب الرأس.

لكنه لم يكُن معي، لم أملك سوى العودة للمنزل، قُدت ببطءٍ، عدة أميال في الساعة أقل من الحد الأقصى للسُّرعة، في ميامي.. هذا مثل ارتداء لافتة «اركلني» على ظهرك، لم يركلني أحد بالفعل، لأنه سيتحتَّم عليه أن يبطئ ليفعل ذلك، لكنهم ضغطوا النفير سبع مرات من أجلي، وثماني مرات من أجل إزعاجي، زأرت خمس سيارات وهي تتجاوزني، إما عبر الحارة المُقابِلة أو من فوق الرصيف.

لكن اليوم.. حتى الروح المعنوية المُرتفِعة للسائقين لم تنجَح في إبهاجي، كُنت ميتًا من التعب ومُرتبِكًا وبحاجةٍ للتفكير، بعيدًا عن صدى ضجيج الحلبة وثرثرة لاجويرتا.

منحتني القيادة ببطءٍ الوقت الكافي لأتساءل، لأبحث عن معنى كُل ما حَدَث، ووجدت أن عبارة سخيفة واحدة ظلَّت تتردَّد في

رأسي، تتقافز على الصخور وعبر الشقوق الموجودة في عقلي المُنهَك، استغرقت ما يكفيها من الوقت، وكلما سمعتها تتردّد في أفكاري، بدا الأمر أكثر منطقية، وبعيدًا عن المنطق، تحوَّل الأمر لنوعٍ من المانترا المُغريَة*، تحوَّلت لمُفتاح التفكير في القاتِل، الرأس الذي تدحرَج في الشارِع، مرآة الرؤية الخلفية التي وضعت بعيدًا عن أجزاء الجسد الجافة الرائعة.

لو كُنت أنا..

مثل.. «لو كُنت أنا، ماذا سأريد القول بالمرآة؟» و«لو كُنت أنا، فماذا سأفعَل بالشاحِنة؟».

بالطبع لم أكُن أنا، وهذا النوع من الغيرة سيئ جدًّا للروح، لكن بما أنني لم أدرِك أن لديّ واحدة، فالأمر لم يكُن مُهِمًّا، لو كُنت أنا.. لكانت الشاحِنة ستقع في خندَق في مكان ما ليس ببعيدٍ للغاية عن الحلبة، ومن هناك كُنت سأغادر سريعًا في.. سيارة مُخبأة؟ مسروقة؟ على حسب، لو كُنت أنا.. هل كُنت سأخطِّط لترك الجُثة في الحلبة طوال هذا الوقت، أم أن ذلك جاء كرد فعل للمُطاردة التي حدثت في طريق الجسر؟

إلا أن هذا لم يكُن منطقيًّا، لم يكُن بإمكانِه الاعتماد على أي شخص يُطارده إلى قرية نورث باي.. أليس كذلِك؟ لكن رغم ذلك.. لماذا كان الرأس جاهزًا للرمي؟ ولماذا أخذ الباقي للحلبة؟

بدا وكأنه اختيار غريب، أجل، هناك كم كبير من الثلج، والبرودة كانت أمرًا جيدًا، لكن تلك المساحة الشاسِعة لم تكُن مُناسبةً حقًّا لنوعي من اللحظات الحميمية.. لو كُنت أنا، كانت هناك كآبة

---

*المانترا في الحضارة الهندية، هي كلمة سنسكريتية تعني تعويذة إما صوتية أو من كلمة أو من جملة تساعد في خلق تحوُّل نفسي.

فظيعـة واسِـعة النطـاق غـير مواتيـة عـلى الإطـلاق للإبـداع الحقيقـي، زيارتهـا مرحـة.. لكنهـا ليسـت اسـتوديو فنـان حقيقـي، أرض نفايـات، وليسـت مسـاحة عمـل، لم تكُـن تملـك الشـعور المُناسِـب لذلِـك.

لو كُنت أنا.. فهذا هو.

إذا كانـت الحلبـة ضربـة جريئـة في منطقـة غـير مُستكشـفة، وهـو أمـر مـن شـأنه أن يُضلِّـل الشرطـة، أن يقودهـم عـلى الأرجَـح إلى الاتجـاه الخاطـئ، إذا مـا أدركـوا يومًـا أن هنـاك اتجاهًـا يجـب أن يذهبـوا إليـه، وهـو أمـر غـير مُرجّـح.

وبإضافـة المـرآة إلى الأمـر.. إذا مـا كُنـت مُحقًّـا بشـأن أسـباب اختيـاره للحلبـة، فـإن إضافـة المـرآة مـن شـأنها أن تدعـم هـذا الأمـر بالطبـع، سـتكون تعليقًـا عـلى مـا حَـدَث للتـو، مُرتبِطًـا بمُغـادرة الـرأس، سـيكون بيانًـا يجمَـع كُل الخيـوط الأخـرى معًـا، يغلّفهـا بدقـةٍ مثـل أجزاء الجسـد المُكدّسـة، تأكيـد دقيـق لعمـل كبـير، والآن.. مـاذا سـيكون البيـان، لـو كُنـت أنـا؟

أنا أراك.

حسـنًا، بالطبـع كان الأمـر كذلـك، عـلى الرغـم مـن كونـه واضحًـا إلى حـدً مـا، أنـا أراك، أعلـم أنـك خلفـي، وأنـا أراقِبـك، لكننـي متفـوّق عليـك بفـارقٍ كبـيرٍ أيضًـا، أتحكَّـم في مسـارك، أضبـط سُرعتـك، وأراقِبـك وأنـت تلاحقنـي، أنـا أراك، أعـرف مـن أنـت وأيـن أنـت، وكُل مـا تعرفـه عنـي هـو أننـي أراقِبـك، أنـا أراك.

بـدا هـذا صحيحًـا، لمـاذا لم يجعلنـي هـذا أشـعر بحـالٍ أفضـل؟ عـلاوة عـلى ذلـك.. كـم مـن هـذا يجـب أن أخـبِر بـه ديـبرا المسـكينة؟ لقـد أصبـح هـذا شـخصيًّا لدرجـة أنـه كان مـن الصعـب تذكُّـر أن هنـاك جانبًـا عامًّـا للأمـر، جانبًـا كان مُهـمًّا بالنسـبة لأختـي ولمسـيرتها المهنيّة، لم أسـتطِع أن أبـدأ بإخبارهـا -أو لأي شـخص آخـر- أن القاتِـل كان يحـاوِل

أن يخبرني بشيءٍ ما، إذا كان لديّ الفطنة لأسمع وأجيب، لكن الباقي.. هل هناك شيء أحتاج لأن أخبرها به، وهل أردت حقًّا أن أفعل ذلك؟

كان هذا أكثر من اللازم، أحتاج للنوم قبل أن أتمكّن من حل كُل ذلك.

لم أتذمّر حينما زحفت إلى فراشي، لكنني كُنت قريبًا من ذلك، سمحت للنوم أن يتمكّن مني سريعًا، غرقت في الظلام فحسب، حصلت على ما يُقارِب الساعتين والنصف من النوم قبل أن يرن الهاتف.

سمعت الصوت القادِم من الجهة الأخرى يقول: "إنه أنا".

قُلت: "بالطبع أنتِ، ديبرا.. أليس كذلِك؟".

"وجدت الشاحنة المبردة".

"حسنًا، تهانينا يا ديب، هذه أخبار جيدة للغاية".

كان هناك صمت طويل نوعًا ما على الجهة الأخرى قبل أن أقول في النهاية: "ديب؟ هذه أخبار جيدة، أليس كذلِك؟".

قالت: "لا".

شعرت بالحاجة للنوم وهي تضرب رأسي كمضرب سجاد على سجادة صلاة، حاولت التركيز وأنا أسألها: "ديب، ماذا فعلتِ.. ماذا حدث؟".

قالت: "لقد قُمت بالمُطابقة، كُنت متيقّنة تمامًا، الصور، أرقام الأجزاء، وكل شيء، لذا أخبرت لاجويرتا مثل فتاة كشّافة جيدة".

سألتها بريبةٍ: "ولم تُصدقكِ؟ على الأرجَح فعلت".

حاولت أن أرمِش، لكن عيني ظلتا مُغلقتين، لذا تخلّيت عن الأمر، قُلت: "أنا آسف يا ديب، واحد منا لا يبدو منطقيًّا لحدٍ

كبيرٍ، أهو أنا؟".

قالت ديبرا بصوتٍ ضعيفٍ مُتعبٍ للغاية، صوتها جعلني أشعر أنني غريق لا يجد قشّة يتعلّق بها: "حاولت أن أشرَح لها الأمر، وضحت لها كُل شيء، حتى أنني كُنت مُهذَبة".

قُلت: "هذا جيد للغاية، ماذا قالت؟".

قالت ديب: "لا شيء، لا شيء على الإطلاق".

قالت مُكرِّرة: "لا شيء على الإطلاق، باستثناء فقط أنها قالت شكرًا، وكأنها تشكُر المسؤول عن صف سيارتها، ابتسمت نحوي تلك الابتسامة الصغيرة المرحة قبل أن ترحل".

قُلت: "حسنًا، لكن يا ديب، لا يُمكنكِ أن تتوقعي منها أن...".

قالت ديب: "ثم اكتشفت لماذا ابتسمت لي بهذه الطريقة، كما لو كُنت شخصًا متوسط الذكاء، وقد أدرَكت أخيرًا أين ستحتفِظ بي".

قُلت: "لا، هل تقصدين أنكِ خارج القضية؟".

قالت ديب بصوتٍ مُتعبٍ: "جميعنا خارج القضية يا ديكستر، اعتقلت لاجويرتا شخصًا ما".

ساد صمت طويل على الخط فجأة، لم أستطِع التفكير على الإطلاق، لكنني على الأقل كُنت مستيقظًا تمامًا وأنا أقول: "ماذا؟".

"ألقت لاجويرتا القبض على شخصٍ ما، رجل يعمل في المضمار، لقد احتجزته، وهي مُتأكِّدة تمامًا من أنه القاتِل".

قُلت: "هذا غير مُمكِن".

على الرغم من معرفتي بكونه مُمكِنًا، العاهرة ذات الدماغ الميت، لاجويرتا وليس ديب.

"أعرِف ذلك يا ديكستر، لكن لا تحاوِل أن تُخبِر لاجويرتا، لأنها

مُتأكَّدة أنها أمسكَت بالرجل الصحيح".

سألتها: "كيف تكون مُتأكَّدة؟".

كان رأسي يدور، شعرت برغبةٍ قليلةٍ في التقيؤ، لم أستطِع معرفة السبب، نخرت ديب وهي تقول: "ستُقيم مؤتمرًا صحفيًا خلال ساعة واحدة، بالنسبة لها.. هذا أمر إيجابي".

كان صوت الخفقان في رأسي مُرتفِعًا لدرجة أنه لم أتمكَّن من سماع ما قالته ديب بعد ذلك، هل قامَت لاجويرتا باعتقال؟ من يُمكِن أن يكون متورّطًا في الأمر؟ هل يُمكِنها تجاهُل كُل هذه الأدلة، رائحة، إحساس، وطعم عمليات القتل تلك، واعتقال شخص ما؟ لأنه لا يُمكِن لأي شخص أن يفعل ما فعله هذا القاتِل.. ما يفعله! أن يسمح لبثرة مثل لاجويرتا بالقبض عليه، مُستحيل، سأراهِن بحياتي على ذلك.

قُلت: "لا يا ديبرا، لا، غير مُمكِن، لقد قبضت على الشخص الخطأ".

ضحكت ديبرا، ضحكة شرطي مُتعبة قذرة، وقالت: "أجل، أنا أعرِف ذلك، وأنت تعرِف ذلك، لكنها لا تعرف ذلك، وهل تُريد أن تعرف شيئًا مُضحكًا؟ ولا هو كذلك يعرف".

لم يكُن هذا معقولًا، سألتها: "ماذا تقولين يا ديب؟ من الذي لا يعرِف؟".

ضحكت ضحكتها المُريعة مرة أخرى وهي تقول: "الرجل الذي اعتقلته، أعتقد أنه مُرتبِك بنفس قدر ارتباك لاجويرتا يا ديكس، لأنه اعترف".

"ماذا؟".

"لقد اعترف يا ديكستر، الوغد اعترف".

الفصل الثاني عشر

كان اسمه داريل إيرل ماكهيل وكان من النوع الذي نُحِب أن نُطلِق عليه خاسر مرتين*، قضى اثنتي عشرة سنة من سنواته العشرين الأخيرة كضيف على ولاية فلوريدا، تمكَّن الرقيب دوكس العزيز في استخراج اسمه من سجل موظفي المضمار، عبر فحص الكمبيوتر عن الموظَّفين الذين لديهم سابقة عُنف أو جناية، ظَهَر اسم ماكهيل مرتين.

كان داريل إيرل سكيرًا يضرب زوجته، على ما يبدو.. كان أحيانًا ما يسطو على محطات الوقود أيضًا، على سبيل المُتعة. يُمكِن الاعتماد عليه للاحتفاظ بوظيفة من وظائف الحد الأدنى للأجور لشهر أو اثنين فقط، لكن بعد ذلك.. في بعض ليالي الجُمعة الجيدة كان يشرب مجموعة مكوَّنة من ست عبوات جعة قبل أن يعتقِد أنه غضب الله، بعدها كان يقود سيارته إلى أن يجد محطة وقود تُثير غضبه، يلوّح بالسلاح، يأخذ النقود، ويقود مُبتعدًا، بعد ذلك يستخدم غنيمته البالغة ٨٠ أو ٩٠ دولارًا ليشتري المزيد من العبوات ليشعر بالرضا عن نفسه لدرجة أنه يشعر أنه مضطر لضرب شخص ما، لم يكُن داريل إيرل رجلًا ضخمًا؛ يبلغ طوله خمسة أقدام وهزيل، لذلك كان يختار الاختيار الآمن، الشخص الذي يضربه عادةً ما يكون زوجته.

كانت الأشياء على ما هي عليه، نجح في التملُّص من العقاب

---

*نُطلَق على الشخص الذي دخل السجن مرتين مُختلفتين، لا سيما في ارتكاب جريمة أخرى خصوصًا في الدول التي يكون فيها الحُكم الثالث هو السجن المؤبد.

عـددًا مـن المـرات، لكـن في ليلـة مـن الليـالي تمـادى في الأمـر قليـلًا مـع زوجتـه، ووضعهـا في جبـيرة لمُـدة شـهر، اتخـذت إجـراءً قانونيًـا، وبمـا أن سـجل داريـل إيـرل لم يكُـن خاليًـا، اضطـرّ لقضـاء بعـض الوقـت الجـاد.

لا يـزال يـشرب، وعـلى مـا يبـدو أنـه تـم تخويفـه في رايفـورد بمـا يكفـي لتقويمـه قليـلًا، حصـل عـلى وظيفـة عامـل نظافـة في الحلبـة، وتمسَّـك بهـا بالفعـل، وعـلى حـد علمنـا.. لم يـضرب زوجتـه منـذ وقـت طويـل.

بالإضافـة إلى ذلـك.. حصـل ولدنـا عـلى دقائـق قليلـة مـن الشُّـهرة عندمـا فـاز الفهـود بـكأس سـتانلي، جـزء مـن عملـه كان أن يهـرع إلى داخـل الملعـب ليُنظِفـه في كُل مـرة يلقـي فيهـا المُشـجعون بأشـياء عـلى الجليـد، في كأس سـتانلي لهـذا العـام، كانـت هـذه وظيفـة ضخمـة، لأنـه في كُل مـرة كان الفهـود يسـجلون فيهـا هدفًـا، يلقـي المشـجعون بثلاثـة أو أربعـة آلاف جـرذ بلاسـتيكي عـلى مضـمار التزلُّـج، كان عـلى داريـل إيـرل أن يهـرع ليلتقطهـا جميعًـا، وهـو عمـل مُمِـل بـلا شـك، وبتشـجيع مـن بضعـة أكـواب مـن الفـودكا الرخيصـة في واحـدةٍ مـن الليـالي، التقط واحـدًا مـن تلـك الفـئران البلاسـتيكية وأدى القليـل مـن رقصـة الفـئران، أعجـب بـه المشـجعون وصرخـوا مـن أجـل المزيـد، وبـدأوا في المُطالبـة بهـا في كُل مـرة دخـل فيهـا داريـل إيـرل إلى الجليـد، وقـام داريـل إيـرل بـأداء الرقصـة لبقيـة الموسـم.

الفـئران البلاسـتيكية كانـت ممنوعـة هـذه الأيـام، بـل وحتـى مطلوبـة بموجـب القانـون الفيـدرالي، لـذا لـن يقـوم أي شـخص برميهـا، لم يُسـجِّل الفهـود هدفًـا منـذ آخـر مـرة كان لـدى ميامـي عمـدة نزيـه، في وقـتٍ مـا مـن القـرن المـاضي، لكـن ماكهيـل مـا زال يحـضر المباريـات عـلى أمـل أن يحظـى برقصـةٍ أخـيرةٍ أمـام الكامـيرا.

في المؤتمـر الصحفـي، لعبـت لاجويرتـا هـذا الـدور بشـكلٍ جميـلٍ،

جعلَت الأمر يبدو وكأن ذكرى شهرته القليلة هي دافعه إلى القتل، وبالطبع مع سكره وسجله العنيف ضد النساء، كان المُشتبه به المثالي في هذه السلسلة من جرائم القتل الغبية والوحشية، لكن بائعات الهوى في ميامي سُرعان ما شعرن بالراحة، انتهت فورة القتل، اعترف داريل إيرل، مدفوعًا بضغطٍ هائلٍ من تحقيقٍ مُكثَّف لا يرحم، أغلِقت القضية، عدن للعمل يا فتيات.

ابتهجت الصحافة بالخبر، أفترض أنه لا يُمكِنك أن تلومهم حقًا، قامت لاجويرتا بعملٍ بارعٍ في تقديم ما يكفي من الحقائق الملوّنة بأفكارٍ شديدة اللمعان، التي كانت قادرةً على إقناع أي شخص تقريبًا، وبالطبع لا يتعيَّن عليك حقًّا القيام باختبار ذكاء لتُصبِح مُراسلًا، ورغم ذلك.. كُنت آمل في الحصول على بصيصٍ صغيرٍ، ودائمًا ما كُنت أصاب بخيبة الأمل، ربما رأيت الكثير من الأفلام بالأبيض والأسود عندما كُنت طفلًا، ما زلت أعتقِد أنه كان من المُفترض أن يطلب من الشخص المُتشائِم المُرهَق من جريدة العاصمة الكُبرى أن يطرح سؤالًا مُحرجًا ليُجبِر المُحقِّقين على إعادة فحص الأدلة بعنايةٍ.

لكن للأسف.. لا تُقلِّد الحياة الفن دائمًا، وفي مؤتمر لاجويرتا الصحفي، لعبت سلسلة من العارضين من الذكور والإناث بقصات شعر مثالية وبدلات مضبوطة دور سبينسر تريسي*، وأتت أسئلتهم الثاقِبة على غرار: «كيف شعرتم حينما وجدتم الرأس؟» و«هل يُمكِننا الحصول على بعض الصور؟"».

واحد من المُراسلين المُنفردين، نيك (لست مُتأكِّدًا من باقي اسمه) من شبكة NBC TV المحليّة، سأل لاجويرتا عما

* سبينسر تريسي: مُمثِّل أمريكي شهير تميز بأسلوبه الطبيعي وأدواره المتنوعة.

إذا ما كانت متيقِّنة من أن ماكهيل هو القاتِل، لكن عندما قالت أن الغالبية الساحِقة من الأدلة تُشير إلى ذلك، وعلى أي حال.. كان الاعتراف قاطعًا، ترك الأمر، إما أنه كان راضيًا أو أن الكلمات كانت كبيرة للغاية.

وبهذه الطريقة، تم إغلاق القضية، وتحقيق العدالة، انتصرت الآلية الجبّارة لجهاز مُكافحة الجريمة الرائع في قسم شرطة ميامي مرة أخرى على قوى الظلام التي تُحاصِر مدينتنا العادِلة، كان عرضًا رائعًا وَزعَت فيه لاجويرتا بعض الصور الشريرة للغاية لداريل إيرل والتي تمّ تدبيسها في صورها الرائِعة الجديدة وهي تُحقِّق مع مصوّر فوتوغرافي للأزياء الراقية بقيمة ٢٥٠ دولارًا في الساعة في ساوث بيتش.

صنعا معًا حزمة رائعة من السُّخرية؛ ظهور الخطر والواقِع المُميت، أمران مُختلفان تمامًا، لأنه مهما بدا داريل إيرل فظًّا ووحشيًا، كان التهديد الحقيقي للمُجتمع هو لاجويرتا، لقد ربطت كلاب الصيد، أوقفت الخوف والبكاء، وأرسلت الناس مرة أخرى إلى فراشٍ في مبنى مُحترِق.

هل كُنت أنا الوحيد الذي كان بإمكانه رؤية أن داريل إيرل ماكهيل لا يُمكِن أن يكون القاتِل؟ أن هناك أسلوبًا وذكاء لا يستطيع أحمق مثل ماكهيل أن يفهمه؟

لم أكُن أبدًا وحيدًا مثلما كُنت عليه في إعجابي بعمل هذا القاتل الحقيقي، بدت أجزاء الجسد وكأنها تغني لي، افتتاني بالأعجوبة الخالية من الدماء أضاء قلبي وغمر عروقي بإحساسٍ أثملته الرهبة، لكن من المؤكَّد أنه لن يتدخَّل في حماستي للقبض على القاتل الحقيقي، جلّاد الأبرياء البارد الوحشي الذي يجب حتمًا تقديمه للعدالة، أليس كذلك يا ديكستر؟ أليس كذلك؟ مرحبًا؟

جلست في شقتي، أفرك عينيّ الناعستين من أثر النوم وأفكّر بشأن العرض الذي شاهدته لتوي، كان أقرب ما يكون للمؤتمر الصحفي المثالي دون طعام مجاني أو عري، من الواضح أن لاجويرتا جذبت كُل خيط طالته يدها لجعله أكبر مؤتمر صحفي مُمكِن، وقد كان كذلِك، ولأول مرة في مسيرتها المهنيّة المُطعّمة بمُنتجات جوتشي، كانت لاجويرتا مُقتنِعة تمام الاقتناع أنها قبضت على الرجل الصحيح، كان عليها أن تُصدِّق ذلك، وكان هذا مُحزنًا نوعًا ما، في الحقيقة.. اعتقدت أنها قامَت بكُل شيء بطريقةٍ صحيحةٍ هذه المرة، لم تكُن تقوم بخطواتٍ سياسيةٍ فحسب؛ في عقلها.. كانت تقوم بعملٍ نظيفٍ، جيدٍ، وذكي، قامَت بحل الجريمة، بطريقتها الخاصة؛ أمسكت بالرجل السيئ، أوقفت جرائم القتل، ستُلاقي استحسانًا في كُل مكان عن عملها الجيد، ويا لها من مُفاجأة رائعة ستنتظرها حين تظهر الجُثة القادمة.

لأنني كُنت أعرف بما لا يَدَع مجالًا للشك أن القاتل لا يزال طليقًا، على الأرجَح يُشاهِد المؤتمر الصحفي على القناة السابعة، القناة المُفضّلة للأشخاص المُهتمين بالمجازِر، في الوقت الحالي.. سيضحك بشدةٍ لدرجة أن لن يستطيع أن يُمسِك بالنصل، لكن هذا سيمُر، وعندما يحدُث ذلك.. ستدفعه روح الدعابة لديه للتعليق على الأمر دون شك.

لسببٍ ما.. تغمرني الفكرة بالخوف، البغض، والعزم الشرس على إيقاف هذا الرجل المجنون قبل فوات الأوان، وبدلًا من ذلك.. شعرت بارتفاعٍ طفيفٍ في الترقُّب، كُنت أعلم أن هذا خاطئًا تمامًا، وربما جعله هذا يشعُر بأنه أفضل قليلًا، أريد إيقاف هذا القاتِل، تقديمه للعدالة، أجل.. بالتأكيد، لكن هل يجب أن يكون هذا قريبًا؟

كانت هناك أيضًا مُقايضة صغيرة يجب القيام بها، إذا كُنت سأقوم بدوري الصغير لإيقاف القاتِل الحقيقي، فحينئذ ينبغي على الأقل أن أجعل شيئًا إيجابيًا يحدُث في الوقت نفسه، وكما توقَّعت.. رنَّ هاتفي.

قُلت عبر جهاز الاستقبال: «أجل، رأيت الأمر».

قالت ديبرا من الجهة الأخرى: «اللعنة، أعتقِد أنني سأصاب بالمرض».

«حسنًا، لن أمسَح جبينكِ المحموم يا أختي، هناك عمل يتعيَّن علينا القيام به».

كرَّرت: «اللعنة، أي عمل؟».

سألتها: «أخبريني، هل تشعرين بالمرض حقًّا يا أختي؟».

«أنا مُتعبة يا ديكستر، غاضبة أكثر مما كُنت عليه طوال حياتي، ماذا يطلقون على ذلك في اللغة الإنجليزية؟».

"أسألكِ إذا ما كُنت تمرين بالحال الذي كان والدي يُطلِق عليه (بيت الكلب)، هل تلوَّث اسمكِ في القسم؟ هل تلوَّثت سُمعتكِ المهنية، تدمَّرت، تلطَّخت، ساءت، أو أصبحت عرضة للشك؟".

قالت بصوتٍ أكثر حزنًا مما توقَّعت أن بإمكان شخص صغير أن يشعُر به: "ما بين طعن لاجويرتا لي في الظهر ومسألة لقب آينشتاين؟ سُمعتي المهنية سيئة".

"جيد، من المُهِم ألا يكون لديكِ أي شيء لتخسريه".

نخرت قائلة: "سعيدة أن بإمكاني المُساعدة، لأنني هناك يا ديكستر، إذا تراجعت أكثر من ذلك في القسم، فسأقوم بعمل القهوة لقسم العلاقات العامة، إلى أين يذهَب هذا يا ديكس؟".

أغلقت عينيَّ وأسندت ظهري على مقعدي، وقُلت: "ستُخبرين

النقيب، والقسم بأكمله، أنكِ تعتقدين أن داريل إيرل هو الرجل الخاطئ، وأن هناك جريمة قتل أخرى ستقع، وستقدمين بضعة أسباب مُقنِعة كان قد تم استبعادها من تحقيقكِ، وستكونين أضحوكة قسم شُرطة ميامي لبعض الوقت".

قالت: "لا يهم، أنا بالفعل كذلك، لكن هل هناك سبب لذلك؟".

هززت رأسي، من الصعب عليّ أحيانًا أن أصدِق أنها قد تكون ساذجة لهذه الدرجة، قُلت: "يا شقيقتي العزيزة، أنتِ لا تصدقين أن داريل إيرل مُذنِب حقًّا، أليس كذلك؟".

لم تُجِب، كان بإمكاني سماع صوت تنفسها، خَطَر لي أنها يجب أن تكون مُتعبة أيضًا، مثلي تمامًا، لكن بدون دفقة الطاقة التي أحصل عليها من كوني مُتأكدًا من أنني كُنت على حق.

"ديب؟".

كان بإمكاني سماع الإرهاق الحاد في صوتها وهي تقول في النهاية: "لقد اعترَف الرجل يا ديكستر، أنا لا.. لقد كُنت مُخطِئة من قبل، حتى عندما.. أقصد.. لكنه اعترف، أليس ذلك.. ذلك.. اللعنة، ربما يجب أن نستسلِم يا ديكس".

قُلت: "تحلي ببعض الإيمان، لقد قبضتُ على الرجل الخاطئ يا ديبرا، وأنتِ الآن بصدد إعادة كل شيء لنصابه الصحيح".

"بالطبع سأقوم بالأمر".

قُلت: "داريل إيرل ليس القاتِل، لا يوجد شك في ذلك على الإطلاق".

قالت: "حتى لو كُنت على حق، فماذا في ذلك؟".

والآن جاء دوري لأتعجَّب: "معذرة؟".

"حسنًا، انظر، لو كُنت أنا القاتلة، فكيف لي ألا أدرِك أنني في أمان

الآن؟ خصوصًا مع اعتقال هذا الرجل الآخر، انتهى الأمر، فلماذا لا أتوقَّف فحسب؟ أو حتى أذهَب لمكانٍ آخر لأبدأ من جديد؟".

قُلت: "مُستحيل، أنتِ لا تفهمين كيف يُفكِّر هذا الرجل؟".

قالت: "أجل، أنا أعرِف ذلك، لكن كيف لك أن تفهم؟".

اخترت تجاهُل هذا وأنا أقول: "سيبقى هنا، وسيقتُل مرة ثانية، عليه أن يُظهِر لنا كُل ما يُفكِّر به".

"وما هو؟".

قُلت مُعترفًا: "هذا ليس جيدًا، لقد فعلنا شيئًا غبيًّا بإلقاء القبض على شخص أحمق بوضوح مثل داريل إيرل، هذا مُضحِك".

قالت ديب دون استمتاع: "ها ها".

"لكننا أيضًا قُمنا بإهانته، لقد منحنا هذا المُتخلِّف التافه ذو العقل الميت كُل الفضل في عمله، وهو الأمر الذي يُشبه إخبار جاكسون بولوك أن ابنك ذا الست السنوات بإمكانه رسم هذا".

"جاكسون بولوك؟ الرسَّام؟ هذا الرجل جزَّار يا ديكستر".

"إنه فنان بطريقته الخاصة يا ديبرا، وهو يُفكِّر في نفسه بهذه الطريقة".

"بحق المسيح، هذا هو أغبى شيء...".

"ثقي بي يا ديب".

"بالطبع أثق بك، لماذا لا أثق بك؟ إذًا لدينا فنان مُستمتع غاضِب لن يذهب إلى أي مكان، أليس كذلك؟".

قُلت: "أجل، سيتحتَّم عليه القيام بذلك مرة أخرى، ويجب أن يتم الأمر تحت أنوفنا، وعلى الأرجَح سيكون أكبر قليلًا".

"هل تقصد أنه سيقتل عاهرة سمينة هذه المرة؟".

"أكبر في القيمة يا ديبرا، أكبر في المفهوم، شيء لافِت للنظر أكثر".

"بالطبع لافت للنظر أكثر، مثل شخص أكثر انتشارًا".

"زادت المخاطِر يا ديبس، لقد دفعناه وأهناه قليلًا، وستكون جريمة القتل التالية انعكاسًا لذلك".

قالت: "حسنًا، وكيف سيحدث هذا؟".

اعترفت قائلًا: "لا أعرف حقًّا".

قالت: "لكنك مُتأكِّد".

"هذا صحيح".

"حسنًا، الآن أنا أعرف ما الذي أنتظره".

الفصل الثالث عشر

عَرِفـت عندمـا دخلـت مـن بـابي الأمامـي بعـد عـودتي مـن العمـل يـوم الاثنـين أن أمـرًا مـا قـد حـدث، كان هنـاك شـخص مـا في شـقتي.

لم يكُـن البـاب مكسـورًا، لم تكُـن النوافِـذ مخلوعـة، ولم أسـتطِع رؤيـة أي علامـات اقتحـام، لكننـي عَرِفـت، سَـمِّها الحاسـة السادسـة أو أي شيء تُريـده، كان شـخصًا مـا هنـا، ربمـا كُنـت أشـم رائحـة الفيرمونـات التـي تركهـا المُقتحِـم مُعلَّقـة في جزيئـات الهـواء، أو ربمـا كانـت هالـة كـرسي الليـزي بـوي الخـاص بي مُضطرِبـة، لا يهـم كيـف عَرِفـت، لكننـي عَرِفـت، كان هنـاك شـخص مـا في شـقتي أثنـاء تواجـدي في العمـل.

قـد يبـدو الأمـر وكأنهـا ليسـت مُشـكلة كبـيرة، ففـي النهايـة.. هـذه هـي ميامـي، يعـود النـاس لمنازلهـم كُل يـوم ليكتشـفوا سرقـة أجهـزة التلفـاز الخاصـة بهـم، ليجـدوا أن مجوهراتهـم وأجهزتهـم الإلكترونيـة قـد اختفـت، أن مسـاحتهم الشـخصية تـم انتهاكهـا، وأن مُمتلكاتهـم تـم السـطو عليهـا، وأن الكلبـة الخاصـة بهـم حامِـل، لكـن هـذا كان مُختلِفًـا، حتـى عندمـا أجريـت بحثًـا سريعًـا في شـقتي، كُنـت أعـرِف أننـي لـن أجـد أي شيء مفقـود.

وكُنت مُحقًّا، لم يكُن هناك شيء مفقود.

لكن تم إضافة شيء ما.

استغرقني الأمـر بضـع دقائـق لأجـده، أفـترِض أن بعـض الاسـتنتاجات الناتِجـة عـن العمـل جعلتنـي أتحقَّـق مـن الأشـياء الواضِحـة أولًا، عندمـا يقـوم مُقتحِـم بزيارتـك، مـن الطبيعـي للغايـة أن تختفـي أشـياؤك؛ الألعـاب، المُقتنيـات الثمينـة، الأشـياء الخاصـة، وآخـر قطـع بسـكويت

رقائـق الشـوكولاتة، لـذا تحقَّقـت منهـا.

لكــن كُل أشــيائي كانــت عــلى مــا يُــرام؛ الحاســوب، نظـام الصــوت، التلفـاز، وجهـاز الفيديـو، كُل شيء كان في المكان الـذي تركتـه بـه، حتـى مجموعتــي الصغـيرة مــن الشرائــح الزجاجيــة الثمينــة كانــت مُخبــأة بعيـدًا في خزانــة الكتــب، وبــكُل واحــدة منهــم.. كانــت قطــرة مــن الدمـاء الجافـة في مكانهـا، كان كُل شيء كـما تركتـه تمامًـا، تحقَّقـت مـن المناطِـق الخاصـة بعـد ذلـك، فقـط لأتأكَّـد؛ الحـمَّام، غرفـة النـوم، كابينـة الأدويـة، كان كُل شيء عـلى مـا يُـرام أيضًـا، عـلى مـا يبـدو فـكُل شيء بخـير، ورغـم ذلـك.. كان هنـاك شـعور مُعلَّـق في الهـواء فـوق كُل غـرض منهـا أنـه تـم فحصـه، لمسـه، ووضعـه مكانـه مـرة أخـرى بحـرصٍ بالـغٍ ، بالرغـم مـن أن حتـى ذرات الغبـار كانـت في مكانهـا الصحيـح.

عُـدت إلى غُرفـة المعيشـة، غرقـت في مقعـدي، وبـدأت أتلفَّـت حـولي، شـعرت فجـأة بالشـك، أنـا مُتأكِّـد تمامًـا أن شـخصًا مـا كان هنـا، لكـن لمـاذا؟ ومـن في مُخيلتـي كان مُهتـمًّا للغايـة بي لدرجـة أن يـأتي ويُغـادِر منـزلي المتواضِـع تـاركًا كُل شيء كـما كان عليـه تمامًـا؟ لأنـه لا يوجـد أي شيء مفقـود، لا شيء مُضطـرِب، قـد تكـون كومـة الصحـف الموجـودة في صنـدوق إعـادة التدويـر مائلـة قليـلًا إلى اليسـار.. لكـن هـل هـذه مُخيلتـي فحسـب؟ هـل يُمكِـن أن يكـون نسـيم هـواء المُكيِّـف هـو مـن حرَّكهـا؟ لم يكُـن هنـاك شيء مُختلـف، لم يكُـن هنـاك شيء مُتغـيِّر أو مفقـود، لا شيء.

ولمـاذا قـد يقتحـم أي شـخص شـقتي مـن الأسـاس؟ لا يوجـد أي شيء مُميَّـز بهـا، لقـد حَرِصـت عـلى ذلـك، كان هـذا جـزءًا مـن بنـاء هـاري لمظهـري، اندمـج، تـصرَّف بشـكلٍ طبيعـي، بـل حتـى كُـن مُمـلًا، لا تفعـل أو تمتلِـك أي شيء قـد يكـون سـببًا في لفـت الأنظـار، وهـذا مـا فعلتـه، لم يكُـن لـديّ أي أشـياء ثمينـة باسـتثناء جهـاز سـتريو وجهـاز كمبيوتـر،

كانت هناك أهداف أخرى أكثر جاذبية في الحي نفسه، وعلى أي حال.. لماذا يقتحِم شخص ما مكانًا ثم لا يأخذ أي شيء، لا يفعل أي شيء، ولا يترك أي علامة؟ أسندت ظهري إلى الكرسي وأغلقت عينيّ؛ من شبه المؤكَّد أنني أتخيَّل الأمر برمته، هذا بالتأكيد مُجرَّد أعصاب مشوَّشة، أحد أعراض قلة النوم والقلق الشديد بشأن إصابة مسيرة ديبرا المهنية بإصاباتٍ بالغةٍ، مُجرَّد علامة صغيرة أخرى على أن ديكستر العجوز المسكين ينجرِف إلى المياه العميقة، ليجعل هذا الانتقال الأخير غير مؤلم من مُختل اجتماعيًّا إلى مُختل نفسيًّا، ليس من الجنون بالضرورة في ميامي أن تظُن أن لديك أعداء مجهولين، لكن التصرُّف على هذا النحو.. أمر غير مقبول اجتماعيًّا، وسيضطرون لوضعي في مصحة نفسية في النهاية.

ورغم ذلك.. كان الشعور قويًّا للغاية، حاولت أن أتخلَّص منه؛ مُجرَّد وهم، توتُّر في الأعصاب، عسر هضم عابِر، وقفت، مطَّطت جسدي، أخذت نفسًا عميقًا، حاولت التفكير في أفكارٍ جميلةٍ، لكن لم يخطُر لي شيء، هززت رأسي وذهبت إلى المطبخ للحصول على كوب ماء، وكان هناك.

كان هناك.

وقفت أمام الثلاجة ونظرت، لا أعلم لكم من الوقت كُنت أحدِّق بغباء.

مُعلَّق على الثلاجة، مُثبَّت من الشعر بإحدى قطع مغناطيس الفاكهة الاستوائية الصغيرة الخاصة بي، كان رأس دمية باربي، لا أتذكَّر أنني تركته هناك، لا أتذكَّر أنني أمتلِك واحدة من الأساس، تبدو من الأمور التي سأتذكَّرها.

لمست الرأس البلاستيكي الصغير، تأرجح برفقٍ قبل أن يصطدِم بباب المُبرِّد مُسبِبًا صوتًا خافتًا، دار في ربع دائرة صغيرة قبل أن

تنظُـر لي بـاربي مُحـذرةً، وبفضـول كلـب.. نظـرت للخلـف.

ودون أن أعـرِف مـا كُنـت أفعـل أو لمـاذا أفعلـه، فتحـت بـاب المُبرِّد، وبالداخِـل.. كان جسـد بـاربي يرقـد بحـذرٍ فـوق قمـة سـلة الثلـج، تـم خلـع السـاقين والذراعـين، وتـم قطـع الجسـد عنـد الخـصر، كُدِّسـت الأجزاء بشـكلٍ مُرتـبٍ، لُفَّـت بدقـةٍ، ورُبِطَـت بشريـطٍ وردي، في واحـدة مـن أيـدي بـاربي كان هنـاك مُلحـق إضـافي صغـير، مـرآة زينـة خاصـة بهـا.

بعـد فـترة طويلـة أغلقـت بـاب المُبرِّد، كُنـت أرغَـب في الاسـتلقاء، في ضغـط خـدي عـلى المشـمَّع البـارِد.

بـدلًا مـن ذلـك.. مـددت خنـصري لأديـر رأس بـاربي، اصطـدم مـرة أخـرى ببـاب المبرِّد، أدرتـه ثانيـةً، واصطـدم ثانيـةً، مرحـى.. لـديَّ هوايـة جديـدة.

تركـت الدميـة حيـث كانـت وعُـدت إلى مقعـدي، غرقـت بعُمـقٍ في الوسـائد وأنـا أغلِـق عينـيّ، أعلـم أنـه يجـب عـليّ أن أشـعر بالحنـق، بالضيـق، بالخـوف، وبالانتهـاك، أن أمتلـئ بالعـداء، بجنـون العظمـة، أو بالغضـب العـارِم، لكننـي لم أفعَـل، وبـدلًا مـن ذلـك.. شـعرت بالـ.. ماذا؟ شيء أكـثر بقليـلٍ مـن الـدوار، القلـق، أم تُـراني كُنـت مبتهجًـا؟

بالطبـع لم يكُـن هنـاك شـك في هويـة مـن كان في شـقتي، لم أتمكَّـن من اسـتيعاب فكـرة أن شـخصًا غريبًـا، لسـببٍ غـير مفهـوم، اختـار شـقتي بشـكلٍ عشـوائي لتكـون المـكان المثـالي لعـرض دميـة بـاربي مقطوعـة الـرأس.

لا، لقـد زارني فنـاني المُفضَّـل، لم يكُـن مُهـمًّا كيـف وجـدني، كان مـن السـهل تدويـن رقـم لوحتـي ليلـة المُطـاردة عـلى طريـق الجـسر، كان لديـه مُتسـع مـن الوقـت ليُراقبنـي مـن مخبئـه خلـف محطـة الوقـود، ومـن ثـمَ.. يُمكِـن لأي شـخص لديـه خـبرة لا بـأس بهـا بأجهـزة الكمبيوتر

أن يجد عنواني، وبعد أن يعثُر عليه، سيكون من السهل بما فيه الكفاية أن يقتحِم المكان، يتفحَّص المكان بحرصٍ، ثم يترك رسالة.

وها هي الرسالة؛ الرأس المقطوع مُعلَّق، أجزاء الجسد مُكدَّسة بعنايةٍ في علبة الثلج الخاصة بي، وتلك المرآة اللعينة مرة أخرى، إلى جانِب النقص الحاد في الاهتمام بكُل شيء آخر في الشقة، كُل هذا بالإضافة لشيءٍ واحدٍ فقط.

لكن ماذا؟

ماذا يقول؟

كان بإمكانه ترك أي شيء أو لا شيء، كان بإمكانه طعن قلب بقرة بسكين لحم لعين على مفرشي، كُنت مُمتنًا أنه لم يفعَل -يا لها من فوضى- لكن لماذا ياربي؟ بغض النظر عن الحقيقة الواضحة المُتمثِّلة في أن تلك الدمية كانت انعكاسًا لجريمة قتله الأخيرة، فلماذا يُخبرني عنها؟ وهل كانت هذه رسالة أكثر شرًّا من الأخريات، أكثر صرامة.. أم أقل؟ هل هي رسالة (أنا أراقِبك وسأمسِك بك)؟

أم تُراه يقول (مرحبًا! هل تريد اللعب؟)، أريد، بالطبع أريد.

لكن ماذا عن المرآة؟ وجودها هذه المرة يعطي الأمر معنى يفوق الشاحنة والمُطاردة على طريق الجسر، يجب أن يعني هذا أكثر بكثير الآن، كُل ما استطعت التوصُّل له هو (انظر إلى نفسك) وكيف يكون هذا منطقيًا؟ لماذا يجب أن أنظر إلى نفسي؟ لست مغرورًا بما فيه الكفاية لأتمتَّع بذلك، على الأقل.. أنا لست مغرورًا بشأن مظهري الجسدي، لماذا يجب عليّ أن أنظر إلى نفسي؟ بينما كان كُل ما أريده حقًّا هو رؤية القاتل؟ لذلك كان لا بُد من وجود معنى آخر للمرآة لم أستطِع فهمه.

لكن حتى هنا لم أستطِع أن أكون مُتأكِّدًا، من المُمكِن ألا يكون هناك أي معنى على الإطلاق، ويُمكِن أن تكون الرسالة خاصة،

مشوّهة، وشريرة، لم يكُن هناك أي طريقة لمعرفة ذلك، وبالتالي.. لم تكُن هناك أيضًا أي طريقة لمعرفة ما يجب أن أفعله حيال هذا الأمر، هذا في حال كان عليّ فعل أي شيء من الأساس.

اتخذت الاختيار الآدمي، من المُضحِك أن تُفكِّر في الأمر؛ أنا، أتخذ خيارًا آدميًا، كان هاري سيكون فخورًا، آدميًا.. قرَّرت ألا أفعل أي شيء، أنتظر وأرى، لن أبلِّغ عمّا حدث، ففي النهاية.. ما الذي كان هناك لأبلِّغ عنه؟ لا شيء مفقود، لا يوجد أي شيء ليُقال رسميًا باستثناء: "يا كابتن ماثيوس، اعتقدت أنه يجب أن تعرف أنه على ما يبدو هناك شخص ما اقتحم شقتي، وترك دمية باربي في المُبرِّد الخاص بي".

سيحظى هذا بشهرةٍ واسعةٍ، كُنت على يقين أنه سينتشِر للغاية في القسم، ربما حتى سيقوم الرقيب دوكس بالتحقيق في الأمر بنفسه، وأخيرًا.. سيُسمَح له أن يُظهِر مواهبه المكبوتة في فن الاستجواب دون قيود، وربما سيقومون ببساطة بوضعي ضمن قائمة غير القادرين نفسيًا على القيام بالعمل، جنبًا إلى جنب مع ديبرا المسكينة، حيث إن القضية مُغلقة بشكلٍ مبدئي، وحتى لو كانت لا تزال مفتوحة، فلا علاقة للأمر بدُمى باربي.

لا، لا يوجد حقًّا ما يُقال، وليس بأي طريقةٍ يُمكنني تفسيرها، لذلك.. ومع وجود خطر أن تضربني ديبرا بالكوع مرة أخرى، فلن أخبرها، لأسبابٍ لم أتمكّن من البدء في شرحها، حتى لنفسي، كان هذا شخصيًا، وبإبقائه شخصيًا، ستكون هناك فرصة أكبر للتقرُّب من زائري، من أجل تقديمه للعدالة بالطبع، وبطبيعة الحال.. شعرت بالدوار قليلًا بعد أن اتخذت قراري، دائخ بعض الشيء، ليس لديّ أي فكرة عما قد يحدُث، صاحبني الشعور طوال الليل، وحتى في اليوم التالي في العمل، بينما كُنت أقوم بتجهيز تقرير معملي،

طمأنت ديب، وسرقت كعكة مُحلاة من فينس ماسوكا، صاحبني أثناء قيادتي لسيارتي نحو البيت من خلال الزحام المروري المسائي الذي قد يدفَع للقتل، كُنت في حالة تأهُّب هادئ، مُستعِد لأي مُفاجأة.

أو هكذا اعتقدت.

كُنت قد عُدت لتوي إلى شقتي، جلست على مقعدي، واسترخيت، عندما رن هاتفي، تركته يرن، كُنت أرغَب في التنفُّس لبضع دقائق، ولم أكُن أفكِّر في أي شيء لا يستطيع الانتظار، بالإضافة إلى ذلك.. كُنت قد دفعت قُرابة الخمسين دولارًا من أجل جهاز الرد على المكالمات، لأتركه يستحِق ما دُفع به.

رنتان، أغلقت عينيّ، شهيق، استرخ أيها الولد الكبير، ثلاث رنات، زفير، عمل جهاز الرد على المكالمات وسمعت رسالتي اللبقة المؤدّبة تعمل :

(مرحبًا، أنا لست موجودًا الآن، لكنني سأعود إليك فورًا إذا ما تركت رسالة بعد الصفارة، شكرًا لك).

يا لها من نبرة صوت رائعة! يا لها من رسالة مرحة! رسالة عظيمة للغاية حقًّا، تبدو وكأنها رسالة آدمية، كُنت فخورًا للغاية، شهيق آخر، قبل أن أستمِع للصفارة! ومن بعدها الرسالة.

"مرحبًا، إنها أنا".

صوت أنثوي، ليست ديبرا، شعرت بأحد جفنيّ ينتفِض في توتُّر، لماذا يبدأ الكثير من الأشخاص رسائلهم لـ (إنه أنا)؟ بالطبع إنه أنت، نعلم هذا جميعًا، لكن من أنت بحق الجحيم؟ في حالتي.. كانت الخيارات محدودة نوعًا ما، كُنت أعرِف أنها ليست ديبرا، ولا تبدو مثل لاجويرتا، على الرغم من أن كُل شيء كان مُمكِنًا، لذلك تبقّت فقط..

ريتا؟

تنفَّست بعُمق قبل أن تُضيف: "أنا آسفة، اسمع يا ديكستر، أنا آسفة، اعتقدت أنك ستتصل بي، وعندما لم تفعل، أنا فقط...".

صمتت وهي تتنفَّس بعُمقٍ مرة أخرى وتقول: "على أي حال، أنا بحاجة للتحدُّث، لأنني أدركتُ.. أقصِد.. اللعنة، هل بإمكانِك أن.. أن تتصل بي؟ إذا ما كُنت.. أنت تعرف".

لم أكُن أعرِف، لم أكُن أعرِف على الإطلاق، لست مُتأكِّدًا حتى من هويتها.

هل يُمكِن أن تكون هذه هي ريتا بالفعل؟

تنهيدة طويلة أخرى قبل أن تقول: "أنا آسفة على...".

لحظة صمت طويلة، نفسان عميقان كاملان، شهيق، زفير، شهيق، ثم زفير كالانفجار وهي تقول: "أرجوك اتصل بي يا ديكستر، فقط...".

لحظة صمت، تنهيدة أخرى، ثم أنهت الاتصال.

شعرت وكأنني أفتقِد لشيءٍ ما مرات عديدة في حياتي، يحمل الجميع قطعة أساسية من اللُغز معهم دون أن يُفكِّروا بالأمر، عادةً.. أنا لا أمانِع الأمر، لأن في مُعظَم تلك الأوقات يتضح أنها قطعة غبية من الإنسانية بشكلٍ لا يُصدَّق مثل فهم قاعدة ميدانية، أو عدم المضي قدمًا في الموعد الأول.

لكن في أوقات أخرى أشعر وكأنني أفتقِد مخزونًا كبيرًا من الحكمة، مُعتقَدًا لا أملكه، الذي يشعُر به البشر بعُمقٍ للدرجة التي تجعلهم لا يحتاجون للتحدُّث عنه، ولا يُمكِنهم حتى صياغته بالكلمات.

كان هذا هو أحد تلك الأوقات.

أعلـم أنـه مـن المُفـترَض أن أفهـم أن ريتـا كان تحـاول أن تقـول شـيئًا مُحـددًا للغايـة، وأن توقّفهـا وتلعثمهـا أضافـا شـيئًا رائعًـا وعظيـمًا يُمكِـن للذكـر البـشري أن يفهمـه بشـكلٍ غريـزي، لكـن ليـس لـديّ أي فكـرة عـما قـد يكونـه الأمـر، أو كيفيـة اكتشـافه، هـل يجـب أن أحـصي الأنفـاس؟ أقـدر توقيـت الوقفـات وأحولهـا إلى أرقـام آيـات مـن الكتـاب المُقـدّس مـن أجـل الوصـول لرمـزٍ سري؟ مـاذا كانـت تحـاوِل أن تخـبرني؟ ولمـاذا كانـت تحـاول أن تخـبرني بأمـرٍ مـا في هـذا الصـدد عـلى الإطـلاق؟

عـلى حـد فهمـي للأمـور، عندمـا قبّلـت ريتـا بهـذا الدافِـع الغبـي والغريـب، تجـاوزت حـدًا كُنـا قـد اتفقنـا عـلى عـدم تجـاوزه، لكـن بالقيـام بهـذا الأمـر، لا مجـال للتراجـع، بالنسـبة إليهـا كانـت القبلـة نوعًـا مـن الجريمـة، عـلى أي حـال.. كان مـن المُريـح التفكـير بذلـك، لقـد قتلـت علاقتنـا الحـذرة عـن طريـق حـشر لسـاني في قلبهـا قبـل أن أدفعهـا مـن فـوق جـرف، وفجـأة.. علاقـة ميتـة، لم أفكّـر حتـى في ريتـا منـذ هـذا الحـين، كانـت قـد انتهـت، ودُفعَـت خـارج حيـاتي بسـبب نـزوة غـير مفهومـة، وهـا هـي الآن تتصـل بي وتـترك لي تسـجيلًا لأنفاسـها كنـوع مـن أنـواع التسـلية.

لمـاذا؟ هـل أرادت أن تعاقبنـي؟ أن تنعتنـي بألقـاب، تفـرك أنفـي في حماقتـي، تجـبرني عـلى فهـم مـدى ضخامـة إهانتـي؟

بـدأ الأمـر برمتـه يزعجنـي بشـكلٍ كان فـوق قـدرتي عـلى الاحتـمال، تجوّلـت في شـقتي، لمـاذا يجـب عـليّ التفكـير في ريتـا عـلى الإطـلاق؟ لـديّ مخـاوف أكـثر أهميـة في الوقـت الحـالي، كانـت ريتـا تنكّـري، زيًـا تنكريًـا لطفـلٍ سـخيفٍ أرتديـه في عطـلات نهايـة الأسـبوع لإخفـاء حقيقـة أننـي مـن النـوع الـذي يفعـل تلـك الأشـياء المُثـيرة للاهتـمام التـي يفعلهـا زميـلي هـذا، بينـما لم أكُـن كذلـك.

هـل كانـت هـذه غـيرة؟ بالطبـع لم أكُـن أفعـل تلـك الأمـور، كُنـت

قد انتهيت منها للتو في الوقت الحالي، وبالتأكيد لن أفعل هذا في أي وقت قريب، مُخاطرة كبيرة، كما أنني لم أقُم بتحضير أي شيء. ورغم ذلك..

عُدت إلى المطبخ، ونقرت رأس باربي، اصطدم مرتين، يبدو أنني أشعر بشيءٍ ما هنا، مزاح؟ قلق عميق ودائم؟ غيرة مهنية؟ ليس بإمكاني القول، وباربي ليس بإمكانها التحدُّث.

كان هذا مُبالغًا فيه، الاعتراف المُزيّف بشكلٍ واضحٍ، انتهاك حرمتي الداخلية، والآن ريتا؟ يُمكِن للمرء أن يتحمَّل بما فيه الكفاية، حتى لو كان رجلًا مُزيفًا مثلي، بدأت أشعر بعدم الاستقرار، الدوار، الارتباك، النشاط المُفرِط، والخمول في الوقت ذاته، مشيت نحو النافذة ونظرت للخارِج، حلّ الظلام، وبعيدًا في السماء لمع ضوء ما، هناك فوق الماء، وعلى مرأى من ذلك.. ارتفع صوت صغير وشرير ليلتقي به في مكانٍ ما بداخله.

القمر.

همس في أذني، لم يرتق حتى ليكون صوتًا، مُجرّد إحساس طفيف لشخصٍ ما يهمس باسمك، بالكاد مسموع، في مكان ما قريب، قريب للغاية، وربما أقرب، دون كلمات على الإطلاق، مُجرَّد حفيف جاف دون صوت، نغمة غير مسموعة، فكرة في نَفَس، شعرت بوجهي يسخَن، وكان بإمكاني فجأة أن أسمَع صوت تنفسي، تردَّد الصوت مرة أخرى، صوت خافت يسقُط على الحافة الخارجية لأذني، استدرت، على الرغم من معرفتي بأنه ليس هناك أحد، وأنها ليست أذني، بل هو صديقي العزيز الموجود بالداخِل، يعود للحياة بفضل شيء لا أعرفه وبفضل القمر.

يا له من قمر ثرثار سعيد وسمين، كان لديه ما يريد قوله، وبقدر ما حاولت أن أخبره أن الوقت غير مُناسِب، وأنه مُبكِّر

للغايـة، وأن هنـاك أشـياء أخـرى يجـب القيـام بهـا، أشـياء أكـثر أهميـة، كان القمـر لديـه مـن الكلـمات مـا يكفـي كُل ذلـك ويزيـد، وعـلى الرغم مـن أننـي وقفـت هنـاك لمُـدة ربـع سـاعة وجادلتـه، فـإن الأمـر لم يكُـن موضِـع تسـاؤل قـط.

زاد يـأسي، قاومتـه بـكُل الخـدع التـي أملكهـا، وعندمـا فشـل هـذا، فعلـت شـيئًا هـزّني مـن داخـلي، اتصلـت بريتـا.

قالـت: "ديكسـتر، أنـا فقـط.. كُنـت خائفـة، شـكرًا لاتصالـك، أنـا فقــط...".

قُلت: "أعرِف".

عـلى الرغـم مـن كـوني لا أعـرِف، قبـل أن تُضيـف: "هـل بإمكاننـا أن.. لا أعـرف مـا الـذي.. هـل يُمكننـي أن أراكَ في وقـتٍ لاحـقٍ و.. أود حقًّـا التحـدُّث إليـكَ".

أجبتها قائلًا: "بالطبع".

اتفقنـا عـلى أن نلتقـي في وقـتٍ لاحـقٍ في منزلهـا، تسـاءلت عـما قـد يـدور في خلدهـا، عنـف؟ دمـوع ظلـم؟ تهديـد؟ حديـث جـاف؟ كُنـت عـلى أرضٍ غريبـةٍ هنـا، بإمـكاني أن أقـع في أي فـخ.

بعـد أن أنهيـت المُكالمـة، شـتتني الأمـر برمتـه بشـكلٍ رائـعٍ لمـدة نصـف سـاعة تقريبًـا قبـل أن يعـود الصـوت الداخـلي الخافِـت ليتسـلّل إلى عقـلي بـإصراره الهـادئ عـلى أن هـذه الليلـة يجـب أن تكـون ليلـة مُميَّـزة.

شـعرت بنفسـي أعـود للنافـذة مـرة أخـرى، وهـا هـو ثانيـةً، الوجـه السـعيد الضخـم الموجـود في السـماء، القمـر الضاحِـك، سـحبت السـتارة واسـتدرت، بـدأت بالتجـوّل في شـقتي مـن غرفـةٍ لأخـرى، ألمـس الأشـياء، أخـبر نفسـي أننـي أتفحّصهـا مـرة أخـرى بحثًـا عـن أي شيء مفقـود،

رغم علمي أن لا شيء مفقود، ومعرفة سبب ذلك أيضًا، وفي كُل مرة كُنت أدور فيها حول الشقة، كُنت أقترِب أكثر وأكثر من المكتب الصغير الموجود في غُرفة المعيشة حيث أحتفِظ بحاسوبي، عالمًا بما أريد القيام به وغير راغِب في فعل ذلك، في النهاية.. بعد ثلاثة أرباع ساعة، كان الأمر أقوى مني، شعرت بدوار شديد لم أقدر معه على الوقوف، فكَّرت في الجلوس على المقعد لأنه كان قريبًا بما فيه الكفاية، وبما أنني كُنت هناك على أي حال، قُمت بفتح جهاز الكمبيوتر، وبمُجرَّد أن بدأ التشغيل..

لكن لم يتم هذا، فكَّرت أنني لست مُستعدًا.

وبالطبع.. لم يكُن ذلك مُهمًّا، سواء كُنت مُستعدًّا أو لا، لم يُشكِّل هذا أي فارِق على الإطلاق، كان هو مستعدًّا.

الفصل الرابع عشر

كُنت على يقين من أنه المنشود، تقريبًا، لم أكُن متأكِّدًا بشكلٍ تقريبي من قبل، شعرت بالضعف، بالسُّكر، بقليل من المرض، مع مزيج من الإثارة، عدم اليقين، والخطأ التام، لكن بالطبع.. كان الراكِب المُظلِم يتولى القيادة من المقعد الخلفي الآن، ولم يكُن مهمًّا كيف أشعر، لأنه كان يشعُر بالقوة، البرد، التوق، والاستعداد، كان بإمكاني أن أشعر به يتضخَّم بداخلي، يتصاعد من أركان ديكستر المُظلِمة الموجودة في عقلي، وهو ارتفاع وتورُّم لا يُمكِن أن ينتهي إلا في اتجاهٍ واحدٍ، ولأن هذا هو الحال.. فيجب أن يتم الأمر بهذه الطريقة.

كُنت قد وجدته من عدة شهور، لكن بعد قليل من المُراقبة قرَّرت أن الكاهِن هو المنشود، وأن بإمكان هذا أن ينتظر قليلًا إلى أن أكون متأكِّدًا تمامًا.

كم كُنت مخطئًا، وجدت الآن أنه لا يستطيع أن ينتظر على الإطلاق.

يعيش في شارعٍ صغيرٍ في كوكونوت جروف، على بعد بضع بنايات من منزله الصغير المتواضِع يتحوَّل الحي إلى مساكِن سوداء خاصة بذوي الدخل المُنخفِض، حدائق للشواء، وكنائس مُتداعية، وعلى بُعد نصف ميل في الجهة المُقابِلة.. يعيش المليونيرات في منازِل حديثة ضخمة، وكانوا قد قاموا ببناء أسوار مرجانية اللون لإبعاد من هم على شاكلته، لكن جيمي جاورسكي كان في المُنتصف، يقيم في منزل يتقاسمه مع مليون صرصور بالميتو ومع أبشع كلب رأيته في حياتي.

ورغـم ذلـك.. كان لا يـزال هـذا منـزلًا لم يجـب أن يكـون قـادِرًا عـلى تحمُّـل تكلفتـه، كان جاورسـكي يعمـل عامـل نظافـة بـدوامٍ جـزئي في مدرسـة بونـس دي ليـون جونيـور الثانويـة، وعـلى حـد علمـي.. كان هـذا هـو مصـدر دخلـه الوحيـد، كان يعمـل ثلاثـة أيـام في الأسـبوع، وهـذا بالـكاد قـد يكفيـه للعيـش، لكـن ليـس أكـثر مـن ذلـك، بالطبـع لم أكُـن مهتـمًّا لأمـره، لكننـي كُنـت مهتـمًّا جـدًّا بحقيقـة أن هنـاك زيـادة صغـيرة لكنهـا مهمـة في اختفـاء الفتيـات مـن بونـس منـذ بـدأ جاورسـكي في العمـل هنـاك، كلهـن فتيـات مـن ذوات الشـعر الفاتِـح، وتـتراوَح أعمارهـن بـين الثانيـة عـشرة والثالثـة عـشر.

ذوات شـعر فاتـح، كان هـذا مُهـمًّا، ولسـببٍ مـا.. كان هـذا هـو نـوع التفاصيـل التـي تتجاهلهـا الشُّرطـة، لكنهـا تلقـي القبـض دائمًـا عـلى شـخص مثـلي، ربمـا لا يبـدو هـذا صحيـح أخلاقيًّـا، لكـن ذوات الشـعر الداكِـن، وصاحبـات البـشرة الداكنـة، يجـب أن يحظـين بفـرصٍ متسـاويةٍ للاختطـاف، الاعتـداء الجنـسي، والقتـل أمـام الكامـيرات، ألا تعتقـد هـذا؟

جاورسـكي أيضًـا غالبًـا مـا يكـون آخـر مـن شـاهد الطفـل المفقـود، تحدَّثـت إليـه الشُّرطـة، احتجـزوه طـوال الليـل، اسـتجوبوه، ولم يتمكَّنـوا مـن إلصـاق أي تهمـة بـه، بالطبـع يجـب عليهـم تلبيـة بعـض المتطلبـات القانونيـة البسـيطة، مثـل التعذيـب كمثـال، لكـن هـذا كان موضـع اسـتياء في الآونـة الأخـيرة، لذلـك في مُعظـم الأوقـات، ودون بعـض الإقنـاع القـوي للغايـة، لم يتحـدَّث جيمـي جاورسـكي عـن هوايتـه، أعلـم أنـه لم يكُـن ليفعـل.

لكننـي كُنـت أعـرِف أنـه يفعـل ذلـك، كان يُسـاعِد تلـك الفتيـات عـلى الاختفـاء سريعًـا وبشـكلٍ نهـائي، كُنـت مُتأكِّـدًا تقريبًـا، لم أجـد أي أجـزاء جسـد بعـد ولم أره يفعـل الأمـر، لكـن كُل شيء يُشـير إليـه، وقـد تمكَّنـت مـن تحديـد بعـض الصـور المُتلاعَـب بهـا بشـكلٍ خـاص لثـلاث مـن تلـك

الفتيات المفقودات، لم يبدوا سعيدات للغاية في تلك الصور، على الرغم من أن بعض الأشياء التي كُن يفعلنها كان من المُفترض بها أن تجلب لهن الفرح، كما قيل لي.

لم أستطِع الربط بين جاورسكي وبين الصور بشكلٍ كاملٍ، لكن عنوان صندوق البريد كان جنوب ميامي، على بُعد عدة دقائِق من المدرسة، بالإضافة لكونه يعيش فوق إمكانياته، على أي حال.. كان الراكِب المُظلِم يذكرني بإلحاحٍ شديدٍ من الخلف بأن الوقت قد نفد، وبأنه في هذه القضية.. لم يكُن تمام اليقين مُهِمًّا للغاية.

لكنني كُنت قلِقًا من الكلب القبيح، لطالما كانت الكلاب مُشكلة، لا يحبونني وغالبًا ما يرفضون ما أفعله بأسيادهم، خاصةً وأنني لا أشاركهم القطع الجيدة، كان عليّ أن أجِد طريقة لتفادي كلب جاورسكي، ربما خَرَج، لكن لو لم يفعل، سيتحتَّم عليّ إيجاد طريقة للدخول.

مررت بجوار منزل جاورسكي ثلاث مرات لكن لم يخطُر ببالي أي شيء، كُنت بحاجة لقليلٍ من الحظ، وكُنت بحاجة إليه قبل أن يجعلني الراكِب المُظلِم أفعل شيئًا طائشًا، وبينما بدأ صديقي العزيز يهمس بمُقترحات تفتقِر إلى الحكمة، حالفني القليل من الحظ، خَرَج جاورسكي من منزله وركب شاحنته التويوتا الصغيرة الحمراء بينما كُنت أقود سيارتي، أبطأت من سرعتي قدر الإمكان، وفي أقل من دقيقة كان قد انطلَق بشاحنته الصغيرة نحو طريق دوجلاس، استدرت وتبعته.

لم يكُن لديّ أي فكرة عن كيفية القيام بذلك، لم أكُن مُستعدًّا، ليس لديّ غرفة آمنة، لا معاطِف نظيفة، ولا شيء سوى بكرة من الشريط اللاصِق وسكين تحت مقعدي، عليّ أن أظل خفيًّا، غير مرئي، غير مُلاحَظ، ومثاليًّا، ولم يكُن لديّ أي فكرة عن كيفية القيام

بذلـك، أكـره الارتجـال، لكنـه لم يـترك لي أي خيـار.

ومـرة أخـرى.. كُنـت محظوظًـا، كان الزحـام المـروري خفيفًـا بينـما كان جاورسـكي يقـود سـيارته جنوبًـا نحـو طريـق أولـد كاتلـر، وبعـد ميـل أو مـا يُقـارِب ذلـك اسـتدار يسـارًا نحـو المـاء، كان هنـاك تطويـر جديـد ضخـم آخـر لتحسـين الحيـاة لنـا جميعًـا عـن طريـق تحويـل الأشـجار والحيوانـات إلى كُتـل إسـمنتية يعيـش بهـا كبـار السـن مـن نيـو جـيرسي، قـاد جاورسـكي سـيارته ببـطء بـين البنايـات، عـبر نصـف ملعـب جولـف عـارٍ مـن العشـب لكـن الأعـلام كانـت في مكانهـا، إلى أن وصـل تقريبًـا إلى المـاء، طمـس الهيـكل العظمـي لكتلـةٍ كبـيرةٍ نصـف مُكتمِلـةٍ مـن الوحـدات السـكنية ضـوء القمـر، تراجعـت للخلـف، أطفـأت المصابيـح الأماميـة، ثـم اقتربـت قليـلًا بمـا يكفـي لأرى مـا كان ولـدي عـلى وشـك القيـام بـه.

توجَّـه جاورسـكي إلى جانـب مـا سـيكون وحـدات سـكنية قريبًـا قبـل أن يتوقَّـف، نـزل ووقـف بـين شـاحنته الصغـيرة وكومـة ضخمـة مـن الرمـال، ولدقيقـة كاملـة ظـلّ يتلفَّـت حولـه، انحنيـت للأسـفل وأغلقـت المُحـرك، حـدَّق جاورسـكي في الوحـدة السـكنية ثـم في الطريـق نحـو المـاء، بـدا راضيًـا وهـو يتوجَّـه نحـو البنايـة، كُنـت مُتأكِّـدًا للغايـة أنـه يبحَـث عـن حارسـها، لأننـي كُنـت أفعـل هـذا بـدوري، كُنـت آمـل أن يكـون قـد قـام بالاسـتعداد جيـدًا، غالبًـا.. في مثـل هـذه التطويـرات الضخمـة، يتجـوَّل حـارس واحـد مـن موقـعٍ إلى موقـع في سـيارة جولـف صغـيرة، يوفـر هـذا النقـود، وعـلى أي حـال.. هـذه ميامـي، نسـبة مُعيَّنة مـن النفقـات العامـة لأي مـشروع تُخصَّـص للمـواد التـي مـن المتوقَّـع لهـا أن تختفـي ببسـاطة، بـدا لي أن جاورسـكي خطَّـط لمُسـاعدة عـمّال البنـاء عـلى تلبيـة حصتهـم الكاملـة.

نزلـت مـن سـيارتي ووضعـت السـكين والشريـط اللاصِـق في حقيبـة

رخيصة كُنت قد أحضرتها معي، كُنت قد حشوتها ببعض قفازات البستنة المطاطية والقليل من الصور، ليس الكثير، مُجرَّد ثلاث صور قُمت بتنزيلها من على الإنترنت، وضعت الحقيبة على كتفي وتحرَّكت بهدوء وسط ظلام الليل البهيم إلى أن وصلت لشاحنته الصغيرة، كان الصندوق خاليًا مثل الكابينة، أكوام من أكواب وأغلفة شطائر برجر كينج، علب سجائر كاميل خالية مُلقاة أرضًا، كُل شيء كان صغيرًا وقذرًا، مثل جاورسكي نفسه.

نظرت إلى الأعلى، كان بإمكاني رؤية توهُّج القمر فوق حافة المبنى نصف الكامِل، هبَّت رياح ليلية على وجهي، مُعبَّقة بكُل روائح جنتنا الاستوائية الساحرة؛ زيت الديزل، النباتات المُتحلِّلة، والإسمنت. تنفَّست بعُمقٍ وأنا أعود بتفكيري نحو جاورسكي، كان موجودًا في مكانٍ ما داخل المبنى، لم أكُن مُتأكِّدًا من مقدار الوقت الذي أملكه، وحثَّني صوت صغير مُعيَّن على الإسراع، تركت الشاحنة ودخلت المبنى، وبمُجرَّد أن دخلت من الباب.. سمعته، أو بمعنى أصح.. سمعت صوت طنين غريب وغامض، كان لا بد أن يكون هذا صوته.

أو..

توقَّفت، أتى الصوت من جانِب واحد فحسب، شعرت بهمسه تحت قدمي، نظرت للأنبوب الموجود على الحائط، هذه قناة كهربائية، وضعت يدي على الأنبوب وشعرت به يهتز، كما لو كان هناك شيء ما بالداخِل يتحرَّك.

لمعت فكرة صغيرة في ذهني، جاورسكي يجذِب السلك، النحاس باهِظ الثمن، والسوق السوداء للنحاس بجميع أشكاله كانت مُزدهِرة، كانت تلك طريقة أخرى لزيادة راتبه الضئيل، تُساعده في تغطية الفترات الطويلة المليئة بالفقر التي يمُر بها بين شابة

مُختفيـة وأخـرى، يُمكنـه جنـي عـدة مئـات مـن الـدولارات مُقابـل حمولـة واحـدة مـن النحـاس.

الآن.. بعـد أن عَرِفـت مـا كان يفعـل، بـدأ مُخطَّـط غامـض لفكـرة تولـد في ذهنـي، طبقًـا للصـوت، فهـو فوقـي في مـكانٍ مـا، كان بإمـكاني تعقّبـه بسـهولةٍ، تتبعـه إلى أن يحـين الوقـت المُناسِـب، ثـم الانقضـاض، لكـن عمليًـا.. كُنـت عاريًـا تمامًـا هنـا، مكشـوفًا للغايـة وغـير جاهِـز، اعتـدت عـلى فعـل تلـك الأمـور بطريقـةٍ مُعينـةٍ، الخـروج مـن حـدودي الدقيقـة جعلنـي أشـعر بعـدم الارتيـاح لحـدٍ بعيـدٍ.

قشـعريرة صغـيرة زحفـت عـلى عمـودي الفقـري، لمـاذا كُنـت أفعـل ذلـك؟

الإجابـة السريعـة بالطبـع كانـت أننـي لا أفعـل أي شيء مـن ذلـك عـلى الإطـلاق، صديقـي العزيـز الموجـود في المقعـد الخلفـي المُظلِـم هـو مـن كان يفعلهـا، كُنـت موجـودًا فقـط لأننـي أملـك رخصـة قيـادة، لكننا كُنـا قـد توصلنـا إلى تفاهـم، حقَّقنـا أنـا وهـو وجـودًا دقيقًـا ومتوازنًـا، طريقـة لنعيـش معًـا، مـن خـلال حـل هـاري، والآن هـو هائـج خـارِج حـدود هـاري الجميلـة المرسـومة بالطبشـور بحـرصٍ، لمـاذا؟ هـل هـو الغضـب؟ هـل أغضبـه اقتحـام منـزلي للدرجـة التـي أيقظتـه ليُحقِّـق انتقامـه؟

لم يشعُر بالغضب تجاهي، كان رائعًا كما هو الحال دومًا.

كان مُسـتمتِعًا بمـا يحـدُث، حريـص عـلى فريسـته، كـما أننـي لم أشـعر بالغضـب بـدوري، شـعرت.. وكأننـي نصـف مخمـور، خفيـف كطائـرة ورقيـة، أتأرجَـح عـلى حافـة سـكين مـن فـرط النشـوة، أتأرجَـح عـبر سلسـلة مـن التموّجـات الداخليـة التـي شـعرت بالفضـول نحوهـا، كُنـت أعتقِـد أن هـذه هـي المشـاعر كـما يجـب أن تُشـعَر، دفعنـي الـدوار نحـو هـذا المـكان الخطـير، غـير النظيـف، وغـير المُخطَّـط لـه، لأفعـل

شيئًا ما فجأة قبل أن أخطِّط له بعناية، ورغم معرفتي بكُل ذلك.. كُنت أرغب بشدة في القيام بالأمر، كان عليّ أن أفعلها.

جيد جدًّا، لكن لم يكُن عليّ أن أفعلها دون أن أرتدي زيًّا مُناسبًا، تلفَّت حولي، كانت هناك كومة كبيرة من مواد البناء مكوَّمة في ركن الغرفة البعيد، ملفوفة بغطاء بلاستيكي شفَّاف، وفي أقل من لحظة.. كُنت قد قطعت لنفسي مئزرًا وقناعًا شفافًا من الغطاء البلاستيكي، قطعت مكانًا للأنف، الفم، والعينين كي أستطيع التنفُّس، التحدُّث، والرؤية، جذبته بشدةٍ، شعرت به يندمِج مع ملامحي ليحوِّلها إلى شيء لا يُمكِن تمييزه، جذبت الأطراف خلف رأسي وربطت عقدة خرقاء من البلاستيك، تخفُّ مثالي، قد يبدو الأمر سخيفًا، لكنني اعتدت الصيد وأنا أرتدي قناعًا، وبغض النظر عن الهوس العصبي لتصحيح كُل شيء، كان هذا أمرًا يُزال من حيز التفكير، جعلني هذا أرتاح قليلًا، إذا كانت هذه فكرة جيدة، أخذت القفازات من الحقيبة وارتديتها، كُنت جاهزًا الآن.

وجدت جاورسكي في الطابِق الثالث، تجمَّعَت كومة من الأسلاك الكهربائية تحت قدميه، وقفت في ظلال الدرج وشاهدته وهو يسحَب الأسلاك، عدت إلى الدرج وفتحت حقيبتي، علَّقت الصور التي أحضرتها معي باستخدام الشريط اللاصِق، صورًا صغيرة لطيفة للفتيات الهارِبات، في مجموعة متنوِّعة من الأوضاع المُحبَّبة والصريحة للغاية، ألصقتها بالجدران الخرسانية حيث كان بإمكان جاورسكي أن يراها بينما يخطو عبر الباب على الدرج.

نظرت إلى جاورسكي مرة أخرى، سَحَب عشرين قدمًا أخرى من السلك، تمسَّكت بشيء ورفضت أن تُجذَب أكثر من ذلك، جذبها جاورسكي بعُنفٍ مرتين، قبل أن يُخرِج زوجًا من القواطِع الثقيلة من جيبه الخلفي وقصَّ السلك، التقط السلك الساقِط تحت

قدميه وبدأ بلفه حول ساعده في دائرةٍ صغيرةٍ، ثم مشى نحو الدرج.. نحوي.

تراجعت إلى بئر السلم، وانتظرت.

لم يحاول جاورسكي أن يظل هادئًا، لم يكُن يتوقَّع أي مُقاطعة، وبالتأكيد لم يكُن يتوقَّعني، استمعت إلى صوت خطوات قدميه، وصوت حفيف الأسلاك التي يجرّها من خلفه يقترِب.

دَخَل من الباب وتجاوزني دون أن يراني، وبعد ذلك رأى الصور.

قال وكأنه تلقى ضربةً قويةً في معدته: "ويحي".

حدَّق وهو فاغِر الفاه، غير قادر على الحركة، ثم وجدني خلفه وسكيني على حلقه.

قُلنا: "لا تتحرك، ولا تصدِر أي صوت".

قال: "حسنًا، انظر...".

أدرت معصمي قليلًا ودفعت السكين قليلًا إلى الجلد الموجود أسفل ذقنه، أصدر صوت هسيس بينما تدفَّقت دفقة صغيرة من الدم المهيب، لا داعي لذلك، لماذا لا ينصِت الناس فحسب؟

قُلنا: "قُلت لك لا تصدِر أي صوت".

الآن هدأ، وبعد ذلك كان الصوت الوحيد هو صوت الشريط اللاصِق، صوت تنفُّس جاورسكي، وضحكة مكتومة من ضحكات الراكِب المُظلِم، أغلقت فمه بالشريط اللاصِق، ولففت سلكًا نحاسيًا كان ثمينًا بالنسبة له حول معصميه، وسحبته نحو كومة أخرى من مواد البناء، وفي غضون دقائِق قليلة كُنت قد قُمت بربطه وتثبيته على طاولة مؤقتة.

قُلنا بصوت الراكِب المُظلِم الهادئ والمُميَّز: "لنتحدَّث قليلًا».

لم يعرف إذا ما كان مسموحًا له بالتحدُّث، والشريط اللاصِق

سيجعل الأمر صعبًا على أي حال، لذلك التزمَ بالصمت.

قُلنا وأنا أجذِب الشريط اللاصِق عن فمه: "لنتحدَّث عن الهاربات".

قال دون إقناع: "ويحي، ماذا.. ماذا تقصد؟".

قُلنا: "أعتقِد أنك تعرف ماذا أقصِد".

قال: "لـ. لا".

قُلنا: "نـ. نعم".

كان يحاوِل التظاهُر بالذكاء، لكن توقيتي كان سيئًا، أمسيتي بأسرها كانت سيئة، لكنه كان يتحلى بالشجاعة، نظر إلى الأعلى، نحو وجهي اللامِع وهو يسأل: "ماذا تكون؟ هل أنت شُرطي أو شيء من هذا القبيل؟".

قُلنا: "لا".

قبل أن أقطع أذنه اليُسرى، كانت الأقرب لي، كان السكين حادًا، ولدقيقةٍ.. لم يُصدِّق ما حَدَث له، سيظل دائمًا وأبدًا دون أذن يسرى، لذلك وضعت أذنه فوق صدره لأجعله يُصدِّق، اتسعَت عيناه وكاد يصرخ بأعلى صوته، لكنني حشرت قطعة من الغطاء البلاستيكي في فمه قبل أن يفعل.

قُلنا: "هذا لا شيء مُقارنةً بالأمور السيئة التي من المُمكِن أن تحدُث".

وستحدُث، بالطبع ستحدُث، لكنه لم يكُن في حاجة لمعرفة ذلك بعد، سألناه بلُطفٍ وهدوء: "الهاربات؟".

انتظرنا لدقيقة، راقبنا فيها عينيه، لنتأكَّد أنه لن يصرُخ قبل أن نزيل قطعة الغطاء البلاستيكي.

قال بصوتٍ مليء بالألم: "يا إلهي، أذني...".

قُلنـا: "لديـك واحـدة أخـرى جيـدة تمامًـا، أخبرنـا عـن الفتيـات الموجـودات في هـذه الصـور".

ناح قائلًا: "أخبرنا؟ ماذا تقصد بـ (أخبرنا)؟ يا إلهي، هذا مؤلِم".

بعـض النـاس لا يسـتطيع فهـم الأمـر، حـشرت الغطـاء البلاسـتيكي في فمـه وشرعـت بالعمـل.

انجرَفـت بعيـدًا، وهـو أمـر كان سـهلًا في ظـل الظـروف الحاليـة، تسـارعت دقَّـات قلبـي كالمجنـون وأنـا أعمـل بجـدٍ لمنـع يـدي مـن الارتجـاف، لكننـي شرعـت في العمـل، في الاستكشـاف، في البحـث عـن شيء مـا كان دائمًـا بعيـد المنـال، مُثيرًا لكنـه مُحبِـط للغايـة، كان ضغطـي يرتفِـع، يتصاعَـد إلى أذني ويـصرُخ مـن أجـل الخـلاص، لكنـه خـلاص لم يـأت، فقـط الضغـط المُرتفِـع، والشـعور بـأن هنـاك شـيئًا رائعًـا بعيـدًا عـن متنـاول يـدي، ينتظـرني لأجـده وأتعمَّـق بـه، لكننـي لم أجِـد ذلـك، ولم تمنحنـي معايـيري القديمـة أي مُتعـة عـلى الإطـلاق، مـا العمـل؟ فتحـت وريـدًا في خضـم حـيرتي، وراقبـت بركـة مهيبـة مـن الدمـاء تتكـوَّن عـلى الغـلاف البلاسـتيكي بجـوار عامـل النظافـة، توقَّفـت لحظـة للبحـث عـن إجابـة، لكننـي لم أجـد شـيئًا، أشـحت بنظـري، خـارِج إطـار النافـذة، حدَّقـت بعيـدًا، ونسـيت أن أتنفَّـس.

كان القمـر ظاهـرًا فـوق المـاء، ولسـببٍ مـا.. لم أتمكَّـن مـن شرحـه أبـدًا.. بـدا صحيحًـا للغايـة، ضروريًـا للغايـة، وللحظـةٍ.. حدَّقـت عـبر الميـاه، راقبـت تلألؤهـا، المثـالي للغايـة، ترنَّحـت واصطدمـت بطاولتـي المؤقتـة، عُـدت إلى رشـدي، لكـن القمـر..

أم تراها كانت المياه؟

قريبًـا للغايـة.. كُنـت قريبًـا للغايـة مـن شيءٍ مـا، كان بإمـكاني شـمّه، لكـن مـا هـو؟ سرت قشـعريرة بداخـلي، وكان ذلـك صحيحًـا بـدوره، صحيحًـا لدرجـة أنـه سـبَّب سلسـلة كاملـة مـن القشـعريرة التـي

جعلت أسناني تصطك، لكن لماذا؟ ماذا يعني ذلك؟ هناك شيء ما، شيء هام، النقاء والوضوح يمتطيان القمر والماء على حافة سكيني، لكنني لا أستطيع الإمساك بهما.

نظرت إلى عامل النظافة مرة أخرى، جعلني هذا غاضبًا للغاية، الطريقة التي رَقَد بها هناك، مُغطى بندبات مُرتجلة ودماء لا داعي لها، لكن كان من الصعب أن أبقى غاضبًا، وقمر فلوريدا الجميل يحتويني، والنسيم الاستوائي يهب من حولي، غطَّت أصوات الليل الرائعة على صوت الشريط اللاصِق والتنفُّس الفَزِع، كدت أضحك، يختار بعض الناس الموت من أجل أشياء غير عادية أبدًا، لكن هذه الحشرة الصغيرة الفظيعة، تموت من أجل الأسلاك النحاسية، والنظرة التي تعلو وجهه: مُتألِّم، مُرتبِك، ويائس، كان الأمر ليبدو مُضحكًا لو لم أكُن أشعر بالإحباط.

كان يستحِق مجهودًا أفضل قليلًا من ناحيتي، ففي النهاية.. لم يكُن خطؤه أنني كُنت بعيدًا عن مستواي المعهود، لم يكُن حتى حقيرًا بما يكفي ليحتل صدارة قائمة المهام الخاصة بي، كان مُجرَّد حقير مثير للاشمئزاز يقتل الأطفال من أجل المال والإثارة، وكانوا مُجرَّد أربعة أو خمسة على حد علمي، كدت أشعر بالأسى تجاهه، لم يكُن مُستعدًّا ليحتل صدارة المشهد حقًّا.

حسنًا.. حان وقت العودة للعمل، توجَّهت إلى جانب جاورسكي، لم يكُن ينتفِض بنفس القدر في الوقت الحالي، لكنه كان لا يزال نشيطًا للغاية بالنسبة لأساليبي المُعتادة، بالطبع لم يكُن لديّ كُل ألعابي الاحترافية التي أحتاجها الليلة، ولا بد أن الانسحاب كان صعبًا بما فيه الكفاية لجاورسكي، لكنه كان بطلًا حقيقيًّا، لم يشتك، شعرت بقليلٍ من المودة، أبطأت من سُرعتي المُعتادة، قضيت ما يكفيني من الوقت أعمل على يديه، استجاب بحماسٍ حقيقي بينما

انجرفت بعيدًا، تُهت في بحثٍ محمومٍ عن السعادة.

في النهاية.. أعادتني صرخاته المكتومة وانتفاضاته العنيفة إلى رشدي، تذكَّرت أنني لم أتأكَّد من خطيئته، انتظرته ليهدأ قليلًا، ثم أزلت الشريط اللاصِق عن فمه.

سألناه: "الهاربات؟".

قال بضعفٍ: "يا إلهي، يا إلهي».

قُلنا: "لا أعتقِد ذلك، أظن أننا تركناهم خلفنا".

قال: "أرجوك، من فضلك».

قُلنا: "أخبرني عن الهاربات".

قال: "حسنًا".

قُلنا: "اختطفت تلك الفتيات؟".

"أجل؟".

"كم عددهن؟".

تنفَّس للحظة، كانت عيناه مُغلقتين، ظننت أنني ربما فقدته مُبكِّرًا، فَتَح عينيه في النهاية ونظر لي وهو يقول: "خمس، خمس جميلات، ولست نادمًا".

قُلنا: "بالطبع لست نادمًا".

وضعت يدي على ذراعه، كانت لحظة جميلة، قُلنا: "والآن.. أنا لست نادمًا بدوري".

حشرت قطعة الغطاء البلاستيكي في فمه وعُدت إلى العمل، كُنت قد بدأت لتوي في استعادة إيقاعي حينما سمعت الحارس يصل للطابق السُفلي.

الفصل الخامس عشر

كان صوت شوشرة جهاز اللاسلكي الخاص به هو ما كَشَف وجوده، كُنت مُنخرِطًا بعُمق في شيءٍ لم أجرِّبه من قبل عندما سمعته، كُنت أعمل في الجذع بطرف السكين وكان بإمكاني الشعور بوخز الاستجابة الحقيقية في عمودي الفقري وعبر قدميّ، لم أُرِد التوقُّف، لكن لا سلكي.. كانت هذه أخبارًا أكثر سوءًا من مُجرَّد وصول الحارِس، إذا ما طَلَب دعمًا أو أمر بقطع طريق، فمن المُمكِن أن أجد القليل من الصعوبة في بعض الأشياء التي أفعلها.

نظرت إلى جاورسكي، كُنت قريبًا من الانتهاء الآن، ورغم ذلك.. لم أكُن سعيدًا بالطريقة التي جَرَت بها الأمور، كثيرٌ من الفوضى، ومع ذلك.. لم أجد ما كُنت أبحَث عنه، كانت هناك بعض اللحظات التي شعرت فيها بأنني على وشك القيام ببعض الأشياء الرائعة، بعض الوحي الرائع المُتعلِّق بـ.. بماذا؟ انسياب المياه خارج النافِذة؟ لكن هذا لم يحدُث، أيًّا ما كان، كُنت عالقًا مع مُغتصِب أطفال غير مُكتمِل، غير نظيف، قذر، غير مُرتَّب، وغير راضٍ، بينما كان هناك حارس أمني في طريقه للانضمام إلينا.

أكرَه التعجُّل في الوصول إلى استنتاجات، كانت لحظة مهمة للغاية، مصدر ارتياح حقيقي لكلينا، أنا والراكِب المُظلِم، لكن ما الخيارات المُتاحة لي؟ للحظةٍ طويلةٍ.. طويلةٍ للغاية حقًّا، شعرت بالخجل بسببها، فكَّرت في قتل الحارس وإتمام الأمر، سيكون هذا سهلًا، وسيُمكنني مُتابعة الاستكشاف ببدايةٍ جديدةٍ.

لكن لا، بالطبع لا، لن أفعل، كان الحارس بريئًا، بريئًا مثل أي شخص عاش وسيعيش في ميامي، على الأرجح لم يفعل شيئًا أسوأ

مـن إطـلاق النـار عـلى السـائقين عـلى طريـق بالميتـو السريـع عـدة مـرات، بريئًـا كبيـاض الثلـج، لا.. كان عـليّ أن أتراجَـع سريعًـا، كان هـذا كُل مـا في الأمـر، وإذا مـا اضطـررت لـترك عامـل النظافـة هنـا غـير مُكتمِـل دون أن أشـعر بالرضـا، فحـظ أوفـر في المـرة القادمـة.

حدَّقـت في الحـشرة الصغـيرة القذرة وشـعرت بالاشـمئزاز يغمـرني، كان لعـاب هـذا الـشيء يسـيل ليختلِـط مـع الـدم، السـائل الرطـب القبيـح يُبلِّـل وجهـه، خرجـت قطـرة مـن اللـون الأحمـر الفظيـع مـن فمـه، وفي لحظـة غضـب سريعـة.. قطعـت حلـق جاورسـكي، ندمـت عـلى اندفاعي في التـو، انفجَـرَت نافـورة مـن الـدم المهيـب لتجعـل كُل شيء في المـكان يبـدو مؤسِـفًا، خطـأ فوضـوي، شـعرت بالدَّنَـس وعـدم الرضـا، ركضـت نحـو بـئر السـلم، طـاردني تذمُّـر هـادئ وفاضـح مـن راكبـي المُظلِـم.

صعـدت إلى الطابـق الثـاني وانزلقـت نحـو نافـذة بـلا زجـاج، كان بإمـكاني رؤيـة سـيارة الجولـف الخاصـة بالحـارِس متوقِّفـة بالأسـفل، متوجِّهـة نحـو طريـق أولـد كاتلـر، مـما يعنـي أن -كـما كُنـت آمـل- أنـه أتى مـن الاتجـاه الآخـر، ولم يـر سـيارتي، وبجـوار العربـة.. وقـف شـاب سـمين داكِـن البـشرة، أسـود الشـعر، بشـاربٍ أسـودٍ ناعـمٍ ينظُـر نحـو المبنـى، لحُسـن الحـظ.. كان ينظُـر إلى الجهـة الأخـرى في الوقـت الحـالي.

مـاذا سَـمِع؟ أم تـراه كان في طريقـة المُعتـاد؟ كان عـليّ فقـط أن آمـل ذلـك، إذا مـا كان قـد سَـمِعَ شـيئًا.. إذا مـا وَقَـف في الخـارِج طالبًـا للدعـم، فعـلى الأرجـح سـيتم القبـض عـليّ، وبقـدر مـا كُنـت ذكيًـا ولبِقًا، لم أعتقِـد أننـي كُنـت لبقًـا بمـا فيـه الكفايـة للخـروج مـن هـذا المـأزَق.

لمـس الحـارِس الشـاب شـاربه بإبهامـه، ربـت عليـه كأنـه يشـجّعه عـلى النمـو الكامِـل، عبـس وهـو يُمـرِّر بـصره عـلى طـول واجهـة المبنـى، تراجعـت للخلـف، وعندمـا اسـترقت النظـر ثانيـةً بعـد لحظـات، كان بإمـكاني رؤيـة الجـزء العلـوي مـن رأسـه، كان قادمًـا للأعـلى.

انتظـرت حتـى سـمعت صـوت خطـوات قدميـه عـلى السـلم، ثـم خَرَجـت عـبر النافِـذة، في مُنتصـف الطريـق بـين الطابقـين الأول والثـاني، تعلَّقـت بأطـراف أصابعـي عـلى الإسـمنت الخشـن لحافـة النافِـذة، ثـم سـقطت، أصِبـت بشـدةٍ، لويـت أحـد كاحـليّ عـلى صخـرةٍ، سـلخت جلـد أحـد مفاصـلي، لكننـي كُنـت في أفضـل وأسرَع حـالاتي، أسرعـت إلى الظـل متوجِّهًـا إلى سـيارتي.

كان قلبــي مــا زال يخفــق عندمــا انزلقــت في المقعــد الأمامــي في النهايـة، نظـرت للخلـف، لم أر أي أثـر للحـارِس، أدرت مُحـرّكي، وقُـدت سـيارتي بسُرعـة وهـدوء قـدر مـا اسـتطعت والمصابيـح الأماميـة مُغلَقـة مُتجِهًـا إلى طريـق أولـد كاتلـر، اتجهـت نحـو جنـوب ميامـي، أخـذت الطريـق الطويـل إلى المنـزل، عـلى طـول طريـق ديكـسي السريـع، ينبـض قلبـي بقـوة حتـى ليـكاد يخترِق صـدري، يـا لهـا مـن مُخاطـرة غبيـة، لم أفعـل مـن قبـل أي شيء بمثـل هـذا الاندفـاع، ولم أفعَـل من قبـل أي شيء عـلى الإطـلاق دون تخطيـط دقيـق، كانـت هـذه هـي طريقـة هـاري: كُـن حـذرًا، كُـن آمنًـا، كُـن مُسـتعِدًا، تعليـمات الظـلام.

وبـدلًا مـن ذلـك.. كان مـن المُمكِـن أن يتـم القبـض عـليّ، كان مـن المُمكِـن أن يـراني الحـارِس، غبـاء، هـذا غبـاء، لـو لم أسـمَع الحـارِس الشـاب في الوقـت المُناسِـب لربمـا اضطـررت لقتلـه، كُنـت سـأقتل رجـلًا بريئًـا بطريقـةٍ عنيفـةٍ؛ كُنـت مُتأكّـدًا أن هـاري كان سـيعارِض الأمـر، كان الأمـر فوضويًـا وغـير سـار كذلـك.

بالطبـع كُنـت لا أزال غـير آمـن، كان مـن المُمكِـن أن يكتـب الحـارس رقـم سـيارتي بسـهولة إذا مـا مـر بسـيارة الجولـف الخاصـة بـه بجـوار سـيارتي، تصرَّفـت بطيـش، قُمـت بمُخاطـرةٍ فظيعـةٍ، خالفـت كُل إجراءاتي الدقيقـة، قامـرت بأسـلوب حيـاتي المبنـي بعنايـة.. ولمـاذا؟ إثـارة القتـل؟ عـار عـليّ، ومـن قلـب الركـن المُظلِـم في عقـلي تـردَّد الصـدى، أجـل،

عـار، ثـم سـمعت ضحكـة مألوفـة.

تنفَّسـت بعُمـقٍ قبـل أن أنظـر إلى يـدي المُمسِـكة بعجلـة القيـادة، لكنهـا كانـت مُغامـرة مُثـيرة، أليـس كذلـك؟ كانـت مُثـيرة للغايـة، مُتخمـة بالحيـاة، الأحاسـيس الجديـدة، والإحبـاط العميـق، كانـت شـيئًا جديـدًا تمامًـا ومثـيرةً للاهتـمام، الإحسـاس الغريـب بـأن كُل شيء ذاهـب لمـكانٍ مـا، مـكان مُهـم، مـكان جديـد ورغـم ذلـك كان مألوفًـا، سـأضطر حقًّـا لاستكشـاف ذلـك بشـكلٍ أفضـل في المـرة القادمـة.

لا يعنـي ذلـك أنـه سـتكون هنـاك مـرة قادِمـة بالطبـع، بالتأكيـد لـن أفعَـل أي شيء بهـذه الحماقـة والاندفـاع مـرة أخـرى، مُطلقًـا، لكـن القيـام بذلـك مـرة واحـدة يُعـد نوعًـا مـن المـرح.

لا يهـم، سـأعود للبيـت وأسـتحِم لفـترةٍ طويلـةٍ جـدًّا، وبحلـول الوقـت الـذي سـأنتهي فيـه..

الوقـت، خطـر الوقـت في ذهنـي دون أن يكـون مطلوبًـا أو مرغوبًـا فيـه، كُنـت قـد اتفقـت عـلى لقـاء ريتـا في.. الآن تقريبًـا، وفقًـا للسـاعة الموجـودة في لوحـة القيـادة الخاصـة بي، ولأي غـرض مُظلِـم؟ لم أسـتطِع معرفـة مـا يـدور في العقـل الأنثـوي، لمـاذا كان عـليّ التفكـير في سـبب في وقـتٍ كهـذا، عندمـا تتشـنَّج أعصـابي وأمتلـئ بالإحبـاط؟ لم أكُـن أهتَـم بمـا تُريـد ريتـا أن تـصرُخ في وجهـي بشـأنه، لـن يزعجنـي ذلـك حقًّـا، مهـما كانـت المُلاحظـات الحـادة التـي سـتُدلي بهـا حـول عيـوب شـخصيتي، لكـن سـيكون مـن المُزعِـج أن أجـبَر عـلى قضـاء بعـض الوقـت في الاسـتماع إليهـا، عندمـا يكـون لـديّ أشـياء أخـرى أكـثر أهميـة للتفكـير فيهـا، عـلى وجـه الخصـوص.. أردت أن أتسـاءل عـمّا كان يجـب عـليّ أن أفعلـه أو لا أفعلـه مـع العزيـز الراحِـل جاورسـكي، بدايـةً مـن النشـوة المُتقطِّعـة وغـير المُنتهيـة بقسـوة، حدثـت أشـياء جديـدة كثـيرة أحتـاج لبـذل قصـارى جهـدي العقـلي، كان عـليّ أن أعكِـس ذلـك، أن

أفكِّر بالأمر، أن أفهم إلى أين كان يقودني كُل ذلك، وكيف يرتبِط هذا بالفنان الآخر الموجود بالخارِج، الذي استفزّني وتحدّاني بعمله؟

ومع كُل ذلك التفكير.. لماذا أحتاج إلى ريتا الآن؟

لكنني بالطبع سأذهَب، وبالطبع سيخدِم ذلك غرضًا متواضعًا إذا ما احتجت إلى حجة غياب من أجل مُغامرتي الصغيرة مع عامل النظافة.

لماذا أيها المُحقِّق، كيف يُمكِنك أن تعتقد أنني...؟ بالإضافة إلى ذلك.. كُنت أخوض قتالًا مع صديقتي في الوقت نفسه، صديقة سابقة في الحقيقة.

لأنه لم يكُن لديَّ أي شك مُطلقًا في أن ريتا أرادت فقط أن.. ما هي الكلمة التي كُنا نستخدمها جميعًا مؤخرًا؟ تنفيس؟ أجل، أرادت ريتا القدوم للتنفيس عن غضبها، كُنت أفهم كُل الأمور الرئيسية التي احتاجت إلى توضيحها مع اندفاعها العاطفي، كان حضوري ضروريًا.

نظرًا للظروف الحالية.. استغرقت دقيقة إضافية للتنظيف، عُدت نحو كوكونوت جروف، وصففت سيارتي على الجانِب الآخر من الجسر فوق الممر المائي، مرَّت قناة مائية عميقة من تحته، تناولت بعض الصخور المرجانية الكبيرة من تحت بعض الأشجار الموجودة على حافة الممر المائي، وضعتها في حقيبتي، المحشوَّة بالغطاء البلاستيكي، القفازات، والسكين، وألقيت بالشيء كُله في مُنتصف القناة.

توقفت مرة أخرى، في بقعة صغيرة مُظلِمة بجوار منزل ريتا، نظَّفت نفسي بعنايةٍ، كان عليَّ أن أكون أنيقًا ونظيفًا؛ يجب التعامُل مع الصراخ من قِبل امرأة غامضة على أنه مُناسبة شبه رسمية.

لكن تخيَّل دهشتي عندما قرعت جرس بابها بعد بضع دقائق،

لم تفتح الباب وتبدأ في قذف الأثاث والإساءة لي، في الحقيقة.. فتحت الباب ببطءٍ وحرصٍ، نصف مُختبِئة خلفه، كما لو كانت خائفة بشدة مما ينتظرها على الجانِب الآخر من الباب، وبالنظر إلى أنني كُنت من ينتظرها، فقد أظهر هذا منطقًا نادرًا.

قالت بهدوء وخجل: "ديكستر؟".

بدت وكأنها غير مُتأكِّدة مما إذا كانت تُريدني أن أجيبها بنعم أو بلا وهي تُضيف: "لم.. لم أظن أنك ستأتي".

قُلت بلُطفٍ: "ورغم ذلك.. ها أنا ذا".

لم تُجِب لفترةٍ أطول من أن تبدو صحيحة، في النهاية.. فتحت الباب أكثر وهي تقول: "هل يُمكِنك أن.. تدخُل؟ من فضلك؟".

كانت نبرة صوتها المُتردِّدة والمُرتعِدة مُختلِفة عن أي مرة سمعتها فيها من قبل، كان هذا مُفاجئًا، وتخيَّل قدر دهشتي حينما رأيت ما ترتديه، أظن أنهم يطلقون على هذا الشيء اسم قميص نوم أو ربما كانت عباءة منزل، على الأرجح كان قميص نوم طبقًا لكمية القُماش المُستخدمة في صنعه، أيًّا ما كان اسمه الصحيح، فهي كانت ترتديه، وعلى الرغم من مدى غرابة الفكرة.. أعتقِد أن هذا الزي كان من أجلي.

كرَّرَت قولها: "من فضلك؟".

كان الأمر مُبالغًا فيه قليلًا، أقصِد.. حقًّا.. ما الذي كان من المُفترض بي أن أفعل هنا؟ كُنت أعاني من أثر التجارب غير المُرضية التي قُمت بها على عامِل النظافة، كانت لا تزال هناك همهمة غير سعيدة تتدفَّق من المقعد الخلفي، وبإجراء فحص سريع للوضع بشكلٍ عام وجدت نفسي مُحاصرًا ما بين عزيزتي ديب وبين ذلك الفنان المُظلِم، والآن.. كان من المتوقع أن أفعل شيئًا بشريًّا هنا، مثل.. ماذا؟ بعد كُل شيء.. لا يُمكِن بالتأكيد أن تكون تُريد.. أقصِد..

أليست غاضبة مني؟ ما الذي يحدُث هنا؟ ولماذا يحدُث كُل ذلك معي؟

قالت ريتا وهي تصدِم الباب بفخذها: "أرسلت الأطفال إلى المنزل المجاور".

دخلت.

يُمكنني التفكير في طُرق عديدة رائعة لوصف ما حدث بعد ذلك، لكن لا يبدو أن أيًّا منها مُناسِب، ذهبنا إلى الأريكة، تبعتها، جلست، وهكذا فعلت، بدت متوتِّرة وهي تعتصِر يدها اليُسرى بيُمناها، بدت وكأنها تنتظر شيئًا ما، ولأنني لم أكُن مُتأكِّدًا تمامًا مما تنتظِر، وجدت نفسي أفكِّر في عملي غير المُنتهي مع جاورسكي، لو كان لديّ القليل من الوقت فحسب! الأمور التي كُنت لأفعلها!

وبينما كُنت أفكِّر في بعض تلك الأشياء، أدركت أن ريتا بدأت تبكي بهدوء، حدَّقت بها للحظة، محاولًا قمع صور عامل النظافة المسلوخ والخالي من الدماء، لو حاولت طوال حياتي فلن أستطيع أن أفهم لماذا كانت تبكي، لكن بما أنني أزيِّف مشاعري البشرية لوقتٍ طويلٍ وشاقٍ، فقد عَرِفت أنه من المُفترض بي أن أقوم بتهدئتها، انحنيت نحوها ووضعت يدي على كتفها، قُلت: "ريتا، اهدأي".

جُملة لا تستحِق أصلًا أن أنطق بها، لكن طبقًا للعديد من الخبراء كانت فعَّالة، اندفعت للأمام ودفنت وجهها في صدري، لففت ذراعي حولها، مما وضعها في مجال رؤيتي، منذ أقل من ساعة.. كانت اليد نفسها تُمسِك سكينًا فوق عامل النظافة الصغير، أصابتني هذه الفكرة بالدوار.

وفي الحقيقة.. لا أعرِف كيف حدث ذلك، لكنه حدث، في لحظة كُنت أربت عليها وأقول لها: على رسلك. وأحدِّق في يدي، أشعر

بالذاكرة الحسيَّة على أصابعي، أشعر بزيادة القوة والسطوع بينما يستكشِف السكين جذع جاورسكي، وفي اللحظة التالية..

أعتقد أن ريتا نظرت لي، وأعتقد كذلك أنني بادلتها النظر بطريقةٍ ما، ورغم ذلك.. لم تكُن ريتا التي رأيتها، كانت كومة أنيقة من الأطراف الباردة والخالية من الدماء، وكذلك لم تكُن يد ريتا هي التي شعرت بها على إبزيم حزامي، لكن جوقة من عدم الرضا المُتدفِّق من الراكِب المُظلِم، وبعد قليل..

حسنًا، لا يزال هذا غير وارد لحدٍّ كبيرٍ، أقصِد أن.. هنا على الأريكة.

كيف حدث هذا بحق السماء؟

بحلول الوقت الذي تسلَّقت فيه فراشي الصغير، شعرت أنني خاضِع لها تمامًا، لا أحتاج عادةً إلى قدرٍ كبيرٍ من النوم، لكنني شعرت كما لو أنني قد أحتاج الليلة إلى ست وثلاثين ساعة، تقلبات تلك الأمسية، ضغط الكثير من التجارب الجديدة، كلها أمور كانت تستنزفني، أكثر مما استنزفني جاورسكي بالطبع، هذا الشيء الضئيل الرطِب البشِع، لكنني استهلكت كُل ما لديّ من الأدرينالين لهذا الشهر في هذه الأمسية المتهورة، لم أستطِع حتى أن أبدأ في التفكير في ما يعنيه أيٌّ من هذا، بدءًا من الدافِع الغريب للخروج في الليل بجنونٍ وتهورٍ، وصولًا إلى الأشياء التي لا يُمكِن تصوّرها والتي حدثت مع ريتا، تركتها نائمة ولم تبدُ أكثر سعادة من قبل، لكن ديكستر المسكين المُضطرِب وجد نفسه تائهًا مرة أخرى، وعندما وضعت رأسي على الوسادة، غفوت على الفور.

كُنت هناك في الخارِج فوق المدينة مثل طائر بلا عِظام، أطير وأطفو والهواء البارد يتحرّك من حولي ويصطدِم بي، جذبني إلى الأسفل، حيث يتموَّج القمر فوق المياه، حملني إلى غُرفة القتل

البـاردة الضيقـة، حيـث كان عامـل النظافـة ينظُـر إليّ ويضحَـك، كنسر يفـرد جناحيـه تحـت السـكين وهـو يضحَـك، الجهـد الـذي يبذلـه ليلـوي وجهـه، ليغيِّره، لم يعُـد جاورسـكي بعـد الآن، لكنهـا كانـت امـرأة، والرجـل الـذي كان يُمسِـك بالسـكين نظـر للأعـلى، حيـث كُنـت أطفـو فـوق الأحشـاء الحمـراء الملتويـة، وقبـل أن يظهـر وجهـه.. أسـمع صـوت هـاري خـارِج البـاب، وألتفِـت قبـل أن أرى مـن الـذي فـوق المنضـدة، لكـن...

اسـتيقظت، كان الألم الـذي يـدُق رأسي بإمكانـه أن يشُـق شـمَّامة، شـعرت وكأننـي لم أغلِـق عينـيَ مـن الأسـاس، لكـن السـاعة الموجـودة بجـوار السريـر كانـت تشـير إلى ٥:١٤.

حلـم آخـر، نـداء آخـر بعيـد المـدى مـن سـهرتي الوهميـة، لا عَجَـب أننـي رفضـت بثبـاتٍ أن أحلـم بـأي أحـلام طـوال حيـاتي، غبيـة جـدًا؛ مليئـة بالرمـوز الواضِحـة التـي لا معنـى لهـا، حسـاء مـن القلـق الـذي لا يُمكِـن السـيطرة عليـه أبـدًا، هـراء فاضِـح بغيـض.

والآن.. لم يكُـن بإمـكاني العـودة للنـوم مـرة أخـرى، أفكِّـر في هـذه الصـور الطفوليـة، إذا كان عـليّ أن أحلـم، فلـماذا لا يكـون الحلـم مثـلي، مثـيرًا للاهتـمام ومُختلفًـا؟

جلسـت وفركـت صدغـي النابِـض، تـسرَّب وعيـي بطريقـةٍ رهيبـةٍ ومُمِلـةٍ وأنـا أجلـس عـلى حافـة سريـري في حالـة مـن الارتبـاك الغائـم، مـا الـذي يحـدُث لي؟ ولمـاذا لا يحـدُث هـذا لشـخصٍ آخـر؟

كان هـذا الحلـم مُختلِفًـا، لم أكُـن مُتأكِّـدًا مـن حقيقـة هـذا الاختـلاف أو مـا يعنيـه، في المـرة الأخـيرة كُنـت متيقِّنًـا تمـام اليقـين مـن أن جريمـة أخـرى كانـت عـلى وشـك الحـدوث، بـل وعرفـت أيـن سـتحدُث، لكـن هـذه المـرة..

تنهَّـدت ودخلـت المطبـخ لأشرب القليـل مـن المـاء، اصطـدم رأس

بـاربي بقـوةٍ عندمـا فتحـت بـاب الثلاجـة، وقفـت وراقبتـه وأنـا أشرب كوبًـا كبـيرًا مـن المـاء البـارِد، حدَّقـت بي العينـان الزرقـاوان الفاتِحتـان، دون أن ترمــش.

لمـاذا رأيـت هـذا الحلـم؟ هـل كان ذلـك بسـبب الضغـط الناتِـج عـن مُغامـرات الليلـة الماضيـة التـي أعيـد تشـغيلها في عقـلي الباطِـن؟ لم أشـعُر بالتوتُّـر مـن قبـل؛ في الواقِـع.. لطالمـا كان الأمـر مزيـلًا للتوتُّـر، بالطبـع لم أقـتَرِب بهـذا الشـكل مـن كارثـة مـن قبـل، لكـن لمـاذا أحلَـم بهـا؟ كانـت بعـض الصـور واضحـةً بشـكلٍ مـؤلمٍ للغايـة؛ جاورسـكي، هـاري، ووجـه الرجـل المُمسِـك بالسـكين الـذي لم أره جيـدًا، لمـاذا تزعجنـي أمـور خاصـة بأساسـيات علـم النفـس الآن؟

لمـاذا يُزعجنـي الحلـم مـن الأسـاس؟ لم أحتجُـه، كُنـت بحاجـة للراحـة، وبـدلًا مـن ذلـك.. هـا أنـا ذا في المطبـخ ألعـب بدميـة بـاربي، ضربـت الـرأس مـرة أخـرى، في هـذا الصـدد.. لمـاذا كانـت بـاربي مـن الأسـاس؟ وكيـف سأكتشِـف ذلـك في الوقـت المُناسِـب لأنقـذ مسـيرة ديـبرا المهنية؟

كيـف يُمكننـي تجـاوز لاجويرتـا بينـما كانـت المسـكينة متعلِّقـة بي؟ وبحـق كُل مـا هـو مُقـدَّس -إذا مـا كان هنـاك أي شيء مُقـدَّس حقًّـا- لمـاذا كان عـلى ريتـا أن تفعـل ذلـك بي؟

بـدا الأمـر وكأنهـا حبكـة مُسلسـل مُعقَّـدة، وكان مُبالغًـا فيـه للغايـة، وجـدت بعـض أقـراص الأسـبرين، اتـكأت عـلى منضـدة المطبـخ وأنـا أبتلِـع ثلاثـة منهـا، لم أهتَـم بالطعـم كثـيرًا، لم أحِـب أبـدًا أي نـوع مـن الأدويـة، إلا إذا كان فيهـا منفعـة.

خصوصًا.. منذ وفاة هاري.

الفصل السادس عشر

لم يمُـت هـاري سريعًـا، ولم يمُـت بسـهولة، اسـتغرَق كامِـل وقتـه الطويـل الرهيـب، أول وآخـر شيء أتـاني فعلـه في حياتـه.

تـوفي هـاري عـلى مـدار عـام ونصـف، عـلى مراحـل صغـيرة، كان يبتعِـد لعـدة أسابيع، قبـل أن يقـاوم ليسـتعيد كامـل قوتـه مـرة أخـرى، أبقانـا جميعًـا في حـيرة في محاولـة التخمـين، هـل سـيموت الآن، في هـذه المـرة، أم تـراه سيسـتجمع شـتات نفسـه؟ لم نعـرِف أبـدًا، لكـن لأنـه كان هـاري، فـكان مـن الحماقـة أن نستسـلم، سـيفعل هـاري الصواب، مهـما كان صعبًـا، لكـن مـاذا يعنـي هـذا عندمـا يحتـضر؟ هـل مـن الصـواب أن يقـاوِم، يتشـبَّث، ويـترك بقيتنـا نعـاني مـن مـوت لا نهـائي، في حـين أن المـوت كان آتيًـا بغـض النظـر عـما يفعلـه هـاري؟ أم أنـه كان مـن الصـواب أن يستسـلم بسـلامٍ دون أي مقاومـة؟

لم أكُـن أعـرف الإجابـة في التاسـعة عـشر مـن عُمـري بالتأكيـد، عـلى الرغـم مـن أننـي كُنـت أعـرف بالفعـل الكثـير عـن المـوت أكـثر مـن باقـي الحمقـى المُصابـين بالبثـور الموجوديـن في صفـي في السـنة الثانيـة بجامعـة ميامـي.

بعـد ظُهـر أحـد أيـام الخريـف بعـد صـف الكيميـاء، وبينـما كُنـت أمـشي عـبر الحـرم الجامعـي باتجـاه اتحـاد الطـلاب، ظهـرت ديـبرا بجـواري، ناديتهـا: "ديـبرا".

بدت طالبة جامعية للغاية، قُلت: "تعالي واشربي بعض الكولا".

كان هـاري قـد أخـبرني أن أتسـكّع في اتحـاد الطـلاب وأن أتنـاول بعـض الكـولا، قـال أن ذلـك سيُسـاعدني في التحـوُّل إلى بـشري، وتعلُّـم كيـف

يتصرَّف البشر الآخرون، وبالطبع كان مُحقًّا، على الرغم من الأضرار التي لحقت بأسناني، كُنت أتعلَّم الكثير عن أصناف البشر البغيضة.

ديبرا، التي كانت في السابعة عشر، كانت بالفعل جادة للغاية، هزَّت رأسها وهي تقول: "إنه أبي".

وسرعان ما كُنا نقود السيارة عبر المدينة نحو دار الرعاية التي نقلوا هاري إليها، لم تُمثِّل دار الرعاية أخبارًا جيدةً، يعني ذلك أن الأطباء قد قالوا أن هاري مُستعد للموت، واقترحوا عليه التعاون.

لم يبد هاري جيدًا عندما وصلنا إلى هناك، بدا أخضر اللون وهو مُستلقٍ على الملاءات باستسلام حتى أننا ظننا أنه قد فات الأوان، كان ضعيفًا وهزيلًا منذ وقت طويل، بدا للعالم بأكمله كما لو أن هناك شيئًا بداخله يشق طريقه للخارِج، هسّ جهاز التنفُّس الموجود بجواره، كما لو أنه دارث فيدر حي في قبره*، كان هاري حيًّا، بالكاد يُمكِننا أن نقول ذلك، قالت ديبرا وهي تُمسِك بيده: "أبي، لقد أحضرت ديكستر".

فتح هاري عينيه وحرّك رأسه نحونا، كما لو أن يدًا خفيةً قد دفعت رأسه من الناحية الأخرى من الوسادة، لكنها لم تكُن عيني هاري، كانت فجوات زرقاء قاتِمة، كسولة وفارغة، غير مسكونة بالحياة، لربما كان جسد هاري حيًّا، لكنه لم يكُن موجودًا، أخبرتنا المُمرضة: "هذا ليس جيدًا، نحاول أن نجعله مرتاحًا في الوقت الحالي".

أنهَت حديثها وهي تُمسِك بإبرة ضخمة من على الصينية، ملأتها وضغطت عليها لتُخرج فُقّاعة الهواء.

"انتظري".

---

* دارث فيدر: شخصية خيالية من عالم جانب النجوم.

كان الصوت خافتًا لدرجة أنني اعتقدت أنه قد يكون صوت جهاز التنفُّس الصناعي، نظرت عبر الغُرفة، وكان بإمكاني في النهاية رؤية ما تبقى من هاري، لمعت شرارة صغيرة خلف الفراغ العميق الموجود في عينيه، قال ثانيةً وهو يومئ نحو المُمرّضة: "انتظري".

وإما أنها لم تسمعه أو أنها قرَّرت أن تتجاهله، وقفت بجواره ورفعت ذراعه بلُطفٍ، بدأت بتمسيدها بقطعة من القُطن على شكل كُرة.

شهق هاري بخفوتٍ وهو يقول بصوتٍ غير مسموع تقريبًا:

"لا..».

نظرت إلى ديبرا، بدت وكأنها تقِف في وضع مثالي من الانتباه دون أن تبدو متيقِّنة من أي شيء تقريبًا، نظرت إلى هاري مرة أخرى، كانت عيناه مُثبّتتين نحوي، قال والكثير من الرعب يتراقص في عينيه الآن: "لا، لا.. حقنة".

تقدَّمت للأمام ووضعت يدي بينه وبين المُمرّضة، قبل أن تضع الإبرة في وريد هاري مُباشرةٍ، قُلت: "انتظري".

نظرت إليّ، ولجزءٍ من الثانية كان هناك شيء في عينيها، كدت أتراجع للخلف بفعل المُفاجأة، كان غضبًا باردًا، غير بشري، إحساسًا غير إنساني بالرغبة، إيمانًا بأن العالم بأسره كان لعبة بين يديها، ظهر هذا سريعًا، لكنني كُنت متأكّدًا، أرادت أن تدفع الإبرة في عيني لأنني قاطعتها، أرادت أن تدفعها في صدري وأن تديرها في عُنفٍ إلى أن تتهشَّم ضلوعي وينفجر قلبي في يديها، لتستطيع سحقه، اعتصاره، وانتزاع الحياة مني، كان هذا وحشًا، صيادًا، قاتِلًا، كان هذا مُفترسًا، شيئًا شريرًا بلا روح.

مثلي تمامًا.

لكن ابتسامتها الودودة عادت سريعًا للغاية وهي تقول في لُطفٍ بالغٍ وتتصرَّف بحنوٍ كأنها مُمرضة حقًّا: "ما الأمر يا عزيزي؟".

شعرت أن لساني قد تضخَّم في فمي، وبدا أنني احتجت لعدة دقائق لأتمكَّن من الإجابة، لكنني نَجَحت أخيرًا في قول: "إنه لا يُريد الحُقنة".

ابتسمت مرة أخرى، ابتسامة جميلة ملأت وجهها وكأنها نعمة من نعم الله عليها وهي تقول: "والدك مريض للغاية، يشعُر بألمٍ شديدٍ".

أمسكت الإبرة التي ضربها شعاع من الضوء الذي عبر النافذة في مشهد ميلودرامي، لمعت الإبرة في يدها وكأنها كأسها المِقدْس وهي تقول: "إنه يحتاج للحُقنة".

قُلت: "لا يريدها".

قالت: "إنه يتألَّم".

قال هاري شيئًا لم أسمعه، كانت عيناي مصوَّبتين على المُمرّضة، وعيناها مصوَّبتين عليّ، وحشان يتواجهان فوق نفس اللحم، ودون أن أنظر بعيدًا عنها، انحنيت بجواره، قال هاري: "أريد.. أن أشعر.. بالألم".

نظرت نحوه، إلى ما خلف الهيكل العظمي الواضِح، بدا مرتاحًا للغاية بغض النظر عن قصة الشعر الجراحية التي بدت كبيرة جدًّا على رأسه، عاد هاري، كان يشُق طريقه عبر الضباب، أومأ نحوي، وصل إلى يدي ببطءٍ وضغط عليها.

نظرت للخلف نحو المُمرضة، قُلت لها: "إنه يريد أن يشعر بالألم".

هـزَّت رأسـها بعدوانيـة، وفي مـكانٍ مـا في عبوسـها الصغـير، اسـتطعت أن أسـمع زئـير وحـش مُفـترس يُراقـب ضحيتـه وهـي تنزلـق في حفـرة.

قالت: "سيتحتَّم عليّ أن أخبر الطبيب".

قُلت: "حسنًا، سننتظر هنا".

راقبتهـا وهـي تمـشي في الممـر مثـل طائـر ضخـم قاتِـل، شـعرت بضغطـة عـلى يـدي، كان هـاري يُراقبنـي وأنـا أراقِـب المُمرضـة.

قال هاري: "بإمكانِك.. أن تعرِف..".

سألته: "بشأن المُمرضة؟".

أغلَق عينيه وهزّ رأسه مرة واحدة، قُلت: "أجل.. عَرِفت الأمر".

قال هاري: "إنها.. مثلك..".

قالـت ديـبرا مُحتجَّـة: "مـاذا؟ مـا الـذي تتحـدَّث عنـه؟ هـل أنـت بخـير يـا أبي؟ مـاذا يعنـي هـذا؟ إنهـا مثلـك؟".

قُلـت: "يقصـد أنهـا مُعجبـة بي، يظُـن أن المُمرضـة ربمـا تكـون مُعجَبـة بي".

أجبتها ونظرت إلى هاري، تمتمت ديبرا: "حسنًا".

لكننـي كُنـت أصُـب جـام تركيـزي عـلى هـاري، سـألته: "مـاذا فعلـت؟".

حـاول هـز رأسـه ونَجَـح في خلـق اهتـزاز طفيـف، جفـل، كان واضحًـا لي أن الألم يعـود إليـه، مثلـما أراد، قـال: "الكثـير، تُعطـي.. الكثـير".

قبل أن يشهق ويُغلِق عينيه.

لا بُـد أننـي كُنـت غبيًـا للغايـة ذلـك اليـوم، لأننـي لم أفهـم مـا يرنـو إليـه عـلى الفـور، سـألته: "الكثـير مـن مـاذا؟".

فتح هاري عينيه المليئتين بالألم وهو يهمس: "المورفين".

شعرت وكأن شعاعًا من المعرفة قد مسَني، قُلت: "جرعة زائدة، تقتل بالجُرعة الزائدة، وفي مكانٍ كهذا.. تقوم فيه بوظيفتها فحسب، لن يسألها أحد.. لماذا، هذا..".

ضغط هاري على يدي مرة أخرى فتوقَّفت عن الثرثرة، قال بصوتٍ أجشٍ وبقوةٍ مُذهِلة: "لا تتركها، لا تتركها تخدّرني مرة أخرى".

قالت ديبرا بصوتٍ عالٍ وبنفاد صبر: "أرجوكما، ما الذي تتحدثان بشأنه؟".

نظرت إلى هاري، لكن هاري أغلَق عينيه بغتة عندما أصابته طعنة ألم مُفاجئة.

قُلت: "يظن أن...".

لكنني تراجعت، لم تكُن لدى ديبرا أي فكرة عما أكون، وهاري كان قد أخبرني بصرامةٍ على ألا أكشف لها سري، إذًا كيف يُمكِنني أن أخبرها عن هذا دون أن أفصِح عن أي شيء، كانت هذه مُشكِلة، في النهاية قُلت: "يظُن أن المُمرضة تحقنه بالكثير من المورفين، عن قصد".

قالت ديب: "هذا جنون، إنها مُمرضة".

نظر هاري إليها لكنه لم يقُل أي شيء، ولأكون صادقًا.. لم أستطِع كذلك التفكير في أي شيء لأعقِّب به على سذاجة ديب المُذهِلة.

سألت هاري: "ماذا يجب أن أفعَل؟".

نظر هاري إليّ لفترةٍ طويلةٍ جدًا، في البداية ظننت أن عقله قد يكون شاردًا بسبب الألم، لكن حين نظرت إليه مرة أخرى، وجدت أن هاري كان حاضرًا تمامًا، كان فكه قاسيًا لدرجة أنني اعتقدت أن العظام ستنكسِر وتخترق بشرته الرقيقة الشاحبة، أما عيناه فكانتا

واضحتين وحادتين كما رأيتها من قبل في نفس اليوم الذي منحني فيه حلول هاري لإبقائي في أمان، قال في النهاية: "أوقفها".

سرت قشعريرة حادة في جسدي، أوقفها؟ هل هذا مُمكِن؟ هل يقصد.. أوقفها؟ حتى الآن كان هاري يُساعدني في السيطرة على الراكب المُظلم، في إطعامه حيوانات أليفة ضالة، في اصطياد الغزلان؛ في واحدة من المرات الرائعة.. ذهبت معه لاصطياد قرد متوحِّش يروِّع أحد أحياء جنوب ميامي، كان قريبًا للغاية، يكاد يكون بشريًا، لكن الأمر لم يكُن صحيحًا بالطبع، قُمنا بجميع الخطوات النظرية للمُطاردة، التخلُّص من الأدلة، وما إلى ذلك، عَلِم هاري أن ذلك سيحدُث يومًا ما، وأرادني أن أكون مُستعدًّا للقيام بذلك بشكلٍ صحيحٍ، لطالما منعني من فعل ذلك، لكن الآن.. أوقفها؟ ما الذي يعنيه هذا؟

قالت ديبرا: "سأذهَب لأتحدَّث مع الطبيب، سيُخبرها بتعديل دوائك".

فتحت فمي لأتحدَّث، لكن هاري ضغط على يدي وهو يومئ، قال بألمٍ: "اذهبي".

نظرت إليه ديبرا للحظة قبل أن تستدير وتذهب لتجد الطبيب، ساد صمت غريب عندما خرجت من الغرفة، لم يكُن بإمكاني التفكير في شيء سوى في ما قاله هاري: "أوقفها".

ولم يكُن بإمكاني التفكير في أي طريقة أخرى لتفسيره، باستثناء أنه قد أطلق سراحي أخيرًا، منحني الإذن للقيام بالشيء الحقيقي في النهاية، لكنني لم أجرؤ على سؤاله عن ذلك، خوفًا من أن يخبرني أنه كان يقصد شيئًا آخر، وقفت هناك لوقتٍ طويلٍ، محدِّقًا عبر النافذة الصغيرة نحو الحديقة الموجودة في الخارِج، حيث تناثرت الزهور الحمراء لتحيط بالنافورة، مرّ الوقت، جفّ حلقي، قال

هـاري في النهايـة: "ديكسـتر".

لم أجِـب، لم يُمكننـي التفكـير في أي شيء يبـدو مُناسِـبًا، قـال هـاري ببـطءٍ وبـألمٍ: "إنـه يُحِـب هـذا".

نظـرت في عينيـه، منحنـي نصـف ابتسـامة متوتِّـرة عندمـا أيقـن مـن عـودتي لرشـدي أخـيرًا، قـال: "سـأموت قريبًـا، لـن يُمكننـي منعَـك مـن.. كونـك مـا أنـت عليـه".

قُلت: "ما أنا عليه يا أبي".

لـوَّح بيـده في ضعـفٍ وهـو يقـول: "عاجـلًا أم آجـلًا.. سـتحتاج لتفعـل هـذا بشـخصٍ مـا".

شـعرت بالـدم يجِـف في عروقـي وهـو يسـتكمِل حديثـه قائـلًا: "شـخص مـا.. يسـتحق ذلـك".

قُلت بصوتٍ غليظٍ: "مثل المُمرضة".

قال وهو يُغلِق عينيه لبرهةٍ: "أجل".

أصبـح صوتـه ضبابيًـا بفِعـل الألم وهـو يقـول: "إنهـا تسـتحِق ذلـك يـا ديكسـتر، هـذا...".

تنفَّـس بصعوبـةٍ، كان بإمـكاني سـماع صـوت طقطقـة لسـانه، كـما لـو كان فمـه جافًّـا للغايـة قبـل أن يقـول: "إنهـا تتعمَّـد إعطـاء المـرضى الجُرعـات الزائـدة.. تقتلهـم.. تقتلهـم.. عـن قصـد.. إنهـا قاتِلـة يـا ديكسـتر.. قاتِلـة».

تنحنحـت، شـعرت بالقليـل مـن الحماقـة والـدوار، لكـن بعـد كُل شيء.. كانـت هـذه لحظـة حاسِـمة في حيـاة هـذا الشـاب، قُلـت: "هـل تريـدني أن...".

صمـتُّ قليـلًا قبـل أن أضيـف: "هـل سـيكون كُل شيء عـلى مـا يُـرام إذا مـا.. أوقفتهـا يـا أبي؟".

قال هاري: "أجل.. أوقِفها".

ولسببٍ ما.. شعرت بأنني يجب أن أكون مُتأكِّدًا تمامًا، قُلت: "تقصِد.. كما تعلم.. مثلما فعلت؟ مع.. أنت تعرِف.. القرد؟".

كانت عينا هاري مُغلقتين، كان من الواضِح أن موجة الألم المُتزايدة قد حملته بعيدًا، تنفَّس بعُمقٍ وهو يقول: "أوقِف.. المُمرِّضة، مثل.. القرد..".

تراجَع رأسه للخلف قليلًا، وبدأ يتنفَّس بسُرعةٍ وخشونةٍ.

حسنًا..

هكذا كان الأمر..

(أوقِف المُمرِّضة، مثل القرد) كان للجُملة صدى جامِح، لكن في دماغي الذي أخذ ينبُض بجنونٍ، كان كُل شيء كالموسيقى، لقد أطلَق هاري سراحي، لقد منحني الإذن، تحدَّثنا عن فعل ذلك يومًا ما، لكنه كان يمنعني، حتى الآن.

الآن.

قال هاري وهو مُغلَق العينين: "لقد تحدّثنا.. عن ذلك، أنت تعرِف.. ماذا ستفعل...".

قالت ديبرا وهي تهرع لداخِل الغُرفة: "لقد تحدَّثت مع الطبيب، سوف يأتي ليضبُط مقدار الأدوية في التقرير الطبي".

قُلت: "جيد".

كُنت أشعر بشيء ما ينهض بداخلي، من قاعدة عمودي الفقري صعودًا إلى قمة رأسي، كصدمة كهربائي تهزّني وتغمرني كالظلام، قُلت: "سأذهب للتحدُّث إلى المُمرِّضة".

بدت ديبرا مذهولة، ربما بسبب نبرة صوتي، قالت: "ديكستر".

توقَّفت، قاومت للسيطرة على شعوري الوحشي الذي يتصاعد

بداخلي، قُلت: "لا أريد حدوث أي سوء فهم".

بدا صوتي غريبًا، حتى بالنسبة لي، تجاوزت ديبرا قبل أن تتمكَّن من مُلاحظة تعبيراتي.

وفي ردهة هذه الدار، شققت طريقي بين أكوام الكتَّان الأبيض النظيف، شعرت أن الراكِب المُظلم هو القائِد الجديد للمرة الأولى، أصبح ديكستر أقل من اللازِم، بالكاد كان ملحوظًا، كالخطوط الملوَّنة الفاتِحة الموجودة على ظهر نمر شرس، اتحدت معه، بالكاد كُنت مرئيًا، لكنني كُنت هناك، كُنت أدور في مهب الريح باحثًا عن فريستي، في ذلك الفراغ الهائل من الحُرية، في طريقي لأفعل ذلك الشيء للمرة الأولى، بموافقة هاري العظيم، تراجعت، تلاشيت في ذاتي المُظلِمة، بينما تقدَّم الآخر للأمام، سأفعلها في النهاية، سأفعل ما خُلِقت لأفعله.

وهكذا فعلت.

الفصل السابع عشر

وفعلتها، منذ فترة طويلة، ورغم ذلك.. لا تزال الذكرى تنبُض بداخلي، بالطبع لا زلت أحتفِظ بقطرة الدماء الجافَّة على شريحتها، كانت شريحتي الأولى، ويُمكِنني استدعاء تلك الذكرى في أي وقت بإخراج شريحتي الصغيرة والنظر إليها، فعلت ذلك في كثيرٍ من الأحيان، كان هذا يومًا مُميَّزًا لديكستر، كانت المُمرِّضة هي رفيقة لعبي الأولى، وفتحت لي العديد من الأبواب الرائِعة، تعلَّمت الكثير، وجدت الكثير من الأشياء الجديدة، لكن لماذا أتذكَّر المُمرِّضة الآن؟ لماذا يبدو أن سلسلة الأحداث هذه تعيدني إلى الوراء عبر الزمن؟ لم أستطِع تحمُّل إحياء ذكرى أول زوج من سراويلي الطويلة، أحتاج للشروع في العمل، لاتخاذ قرارات كبيرة، ولأبدأ أعمالًا مُهِمَّة، بدلًا من التجوُّل بهدوء في شوارِع الذكريات، غارقًا في ذكريات جميلة عن أول شريحة دماء والتي، بالتفكير في الأمر، أجد أنني لم أحظ بها من جاورسكي، كانت هذه من نوع التفاصيل الصغيرة غير المُهِمَّة على نحوٍ سخيفٍ، والتي من شأنها أن تحوِّل أعتى الرجال إلى أشخاص يتململون وينشجون بعصبيةٍ، كُنت بحاجة لهذه الشريحة، كانت وفاة جاورسكي عديمة الفائِدة بدونها، كانت حماقة الأمر برمته الآن أسوأ من الطيش المُندفِع الغبي، كانت غير مُكتمِلة، لا أملك الشريحة.

هززت رأسي، محاولًا هز خليتين رماديتين بشكلٍ مُتقطِّعٍ من أجل خلق فجوة تمُر عبرها النبضات، كُنت أرغب في ركوب قاربي في الصباح الباكِر، لربما كان الهواء المالِح قادرًا على تطهير جُمجمتي

مـن الغبـاء، أو ربمـا كان بإمـكاني التوجُّـه غربًـا إلى تـركي بوينـت[1] عـلى أمـل أن يحوِّلنـي الإشـعاع مـرة أخـرى إلى مخلـوق عقـلاني، لكـن بـدلًا مـن ذلـك.. صنعـت قهـوة، دون الشريحـة، في الواقِـع.. لقـد قلَّـل هـذا مـن شـأن التجربـة بأكملهـا، دون الشريحـة، ربمـا بقيـت في المنـزل كذلـك، أو عـلى أقـل تقديـر.. كانـت هنـاك مُكافـآت أخـرى، ابتسـمت باعتـزازٍ، مُتذكـرًا مزيـج ضـوء القمـر والصرخـات المكتومـة، أوه.. يـا لي مـن وحـش صغـير، حادثـة لم تكُـن كالأخريـات، كان مـن الجيـد الخـروج عـن الروتـين المُمِـل بـين حـين وآخـر، وكانـت هنـاك ريتـا بالطبـع، لكننـي لا أملـك أي فكـرة عـما يجـب أن أفكِّـر فيـه بهـذا الشـأن، لـذا لم أفعَـل، بـدلًا مـن ذلـك.. فكَّـرت في النسـيم البـارِد الـذي هـبَّ عـبر جسـد الرجـل الصغـير المُتشـنِّج الـذي يُحِـب أن يـؤذي الأطفـال، لقـد كان وقتًـا سـعيدًا، لكـن بالطبـع.. سـتختفي هـذه الذكـرى خـلال عـشر سـنوات، ودون الشريحـة لـن أسـتطيع اسـتدعاءها، كُنـت بحاجـةٍ إلى تـذكار، حسـنًا.. سـنرى بهـذا الشـأن.

أثنـاء تحضـيري للقهـوة، بحثـت عـن الصحيفـة، مدفوعًـا بالأمـل وليس التوقُّـع، كان مـن النـادِر أن تصـل قبـل السادسـة والنصـف، وفي أيـام الأحـد تصـل بعـد الثامنـة، كان مثـالًا آخـر واضحًـا عـن تفـكُّك المُجتمَـع الـذي لطالمـا أثـار قلـق هـاري، حقًّـا.. الآن: إذا لم يكُـن بإمكانـك إعطـائي صحيفتـي في الوقـت المُناسِـب، فكيـف تتوقَّـع الامتنـاع عـن قتـل النـاس؟

لا صحيفـة، لا يهـم، لم تكُـن التغطيـة الصحفيـة لمُغامـراتي مُثـيرة للاهتـمام أبـدًا بالنسـبة لي، وكان هـاري قـد حـذَّرني مـن مغبَّـة الاحتفاظ بـأي نـوع مـن القصاصـات الورقيـة، لم يكُـن بحاجـةٍ لذلـك؛ نـادرًا مـا ألقيـت نظـرة خاطفـة عـلى مُراجعـة عـروضي، بالطبـع هـذه المـرة كانت مُختلِفـة قليـلًا، حيـث إننـي كُنـت متهـورًا بعـض الـشيء، كـما أننـي

---

[1] تركي بوينت: مُفاعِل نووي في أونتاريو.

كُنت قلِقًا إلى حدٍ ما لأنني لم أخف آثاري بشكلٍ صحيح، كُنت أشعر بقليلٍ من الفضول لرؤية ما يُمكِن أن يُقال عن حفلتي العرضية، لذلك جلست مع قهوة لقُرابة الخمس وأربعين دقيقة إلى أن سَمِعت الصحيفة تصطدِم بالباب، أحضرتها وفتحتها.

قُل ما يُمكِنك قوله عن الصحفيين، وهناك الكثير للغاية ليُقال، ما يكفي لموسوعة كاملة، بالكاد ما تُزعِجهم الذكريات، نفس الصحيفة التي روَّجت مؤخرًا لخبر «الشُرطة تُحاصِر القاتِل» تصرُخ الآن بخبر «قصة رجل الثلج تذوب وتنكشِف!»، كان مقالًا طويلًا ولطيفًا، مكتوبًا بشكلٍ مُثيرٍ للغاية، يشرَح بالتفصيل اكتشاف جُثة تعرَّضت لسوء مُعاملة في موقع بناء قريب من طريق أولد كاتلر.

«المُتحدِّث الرسمي باسم شُرطة ميامي»، كُنت مُتأكِّدًا أنهم يقصدون بها المُحقِّقة لاجويرتا، قالت أنه من المُبكِّر للغاية أن يصرِّحوا بأي شيءٍ على الإطلاق، لكن على الأرجَح كانت هذه جريمة قتل مُقلَّدة، خرجت الصحيفة باستنتاجها الخاص -وهو أمر نادرًا ما يخجلون منه- ويتساءلون الآن بصوتٍ عالٍ عما إذا كان الرجل المُحترم الموجود في الحجز، السيد داريل إيرل ماكهيل، هو القاتل في الواقع، أم أن القاتل لا يزال حُرًا طليقًا، في إشارة إلى حالة الغضب الأخيرة على الأخلاق العامة؟ لأنه -كما وضَّحت الصحيفة بعناية- كيف لنا أن نُصدِّق أن اثنين من هؤلاء القتلة يُمكِن أن يكونا طليقين في الوقت نفسه؟ كان هذا منطقيًا للغاية، وخطر لي أنهم إذا استهلكوا نفس القدر من الطاقة والقوة العقلية في محاولة لحل الجرائم، سيكون الأمر قد انتهى بحلول هذا الوقت.

لكنها بالطبع كانت قراءة مُمتِعة للغاية، وهذا بالتأكيد جعلني أتكهَّن بأنه.. يا إلهي.. هل كان من المُمكِن حقًا لهذا الحيوان المجنون أن يكون حرًا طليقًا؟ هل أي أحد بأمانٍ؟

رنَّ الهاتف، نظرت لساعة حائطي، كانت السادسة وخمسًا وأربعين دقيقة، لا يُمكِن أن تكون إلا ديبرا.

قُلت عبر الهاتف: "أنا أقرأها الآن».

قالت لي ديبرا: "أنت قُلت أكبر، لافتًا للنظر".

قُلت ببراءةٍ عظيمةٍ: "أوليس هذا كذلك؟".

قالت: "لم تكُن حتى عاهرة، مُجرَّد عامل نظافة بدوامٍ جزئي في مدرسة بونس الثانوية، مُقطَّع في موقع بناء بأولد كاتلر، ما هذا يا ديكستر؟".

"أنتِ تعلمين أنني لست مثاليًا، أليس كذلك يا ديبرا؟".

"هذا حتى ليس النمط.. أين البرودة التي أخبرتني بشأنها؟ ما الذي حدث للمساحة الصغيرة؟".

"هذه ميامي يا ديب، الناس يسرقون أي شيء".

قالت: "إنها حتى ليست عملية تقليد، أنها لا تُشبه الأخريات في أي شيء، حتى لاجويرتا اكتشفت هذا بشكلٍ صحيحٍ، وذكرت هذا بالفعل في الجريدة، اللعنة على الأمر كُله يا ديكستر، مؤخرتي في مهب الريح هنا، وهذه مُجرَّد جريمة عشوائية، أو بسبب المُخدرات".

"لا يبدو من العدل أن تلوميني على كُل ذلك".

قالت قبل أن تُنهي المُكالمة: "اللعنة على ذلك يا ديكس".

قضت البرامِج التليفزيونيَّة في الصباح الباكِر تسعين ثانية كاملة في استعراض الاكتشاف المروِّع للجسد المُقطَّع، كان لدى القناة السابِعة أفضل العروض، لكن أيهم لم يكُن يعرِف أكثر من الصحيفة، أثاروا غضبًا وشعورًا كئيبًا بالضيق دامَ حتى في النشرة الجويَّة، لكنني مُتأكِّد أن جزءًا كبيرًا من هذا كان بسبب نقص الصور.

يوم جميل آخر في ميامي، جُثث مشوَّهة مع احتمالية لتساقُط

الأمطار بعد الظهر، ارتديت ملابسي وذهبت إلى العمل.

أعترِف أنه كان لديّ دافع للذهاب إلى المكتب في وقتٍ مُبكّرٍ للغاية، وقد عزَّزته بالتوقُّف لشراء المعجّنات، ابتعت زوجًا من الفطائر المقلية، فطيرة تفّاح، ولفافة قرفة بحجم إطار سيارتي الاحتياطي، أكلت فطيرة التفّاح وواحدة من الفطائر المقلية بينما كُنت أتجوّل بمرحٍ في الطرق شبه الفارغة. لا أعرِف كيف أفلِت من تناول الكثير من الكعك المُحلى، لا يزداد وزني أو أصاب بالبثور، وعلى الرغم من أن هذا قد يبدو غير عادِل، فإنني لا أجد في قلبي سببًا للشكوى، لقد خرجت بشكلٍ جيدٍ إلى حدٍ معقولٍ من لعبة المُقامرة الجينية؛ شهية مفتوحة، حجم جيد، وقوة معقولة، وجميعها أشياء تُساعدني في هوايتي، وقد قيل لي أنني لست قبيحًا، والذي على ما أفترِض كان مُجاملة.

ما أنني لم أكُن بحاجةٍ لقدرٍ كبيرٍ من النوم، وهو الأمر الذي كان لطيفًا هذا الصباح، كُنت آمل في الوصول إلى العمل مُبكّرًا قبل فينس ماسوكا، وبدا أنني فعلت ذلك، كان مكتبه مُظلِمًا عندما وصلت إلى هناك، أمسكت بحقيبتي الورقية البيضاء كتمويه.. لكن زيارتي لم يكُن لها أي علاقة على الإطلاق بالكعك المُحلى، فحصت منطقة عمله سريعًا، بحثًا عن صندوق الأدلة المُعنوَن باسم جاورسكي وبتاريخ الأمس.

عثرت عليه وسُرعان ما أخرجت بعض عينات الأنسِجة، كان هناك ما يكفي، أخرجت زوجًا من القفازات المطاطية، وفي لحظة كُنت قد ضغطت العينات على شريحة زجاجية نظيفة، كُنت مدركًا لمدى غباء القيام بمُخاطرةٍ أخرى، لكن كان يجب أن أحظى بشريحتي.

كُنت قد أخفيتها في حقيبة أدلة عندما سمعته يأتي من خلفي، أعدت كُل شيء إلى مكانه سريعًا واستدرت لمواجهة الباب، الذي

عـبره فينـس ورآني.

قُلـت: "يـا إلهـي، أنـت تتحـرك دون صـوت، يبـدو أنـك حظيـت بتدريبـات النينجـا".

قـال فينـس: "لـديّ شـقيقان أكـبر منـي، لـذا فإنـه الأمـر نفسـه تقريبًـا".

رفعـت الكيـس الورقـي الأبيـض وانحنيـت تبجيـلًا وأنـا أقـول: "مولاي.. لقـد أحـضرت لـك هدية".

نظـر إلى الكيـس بفضـولٍ وهـو يقـول: "ليُبـارِكك بـوذا أيهـا الجُنـدب، مـا هـي؟".

ألقيـت الكيـس، الـذي اصطـدَم بصـدره قبـل أن ينزلِـق إلى الأرض، وأنـا أقـول: "يبـدو أنـك حظيـت بالكثـير مـن تدريبـات النينجا".

قـال فينـس وهـو ينحنـي لاسـتعادة الكيـس: "يحتـاج جسـدي المُتناغِم جيـدًا للقهـوة كي يعمل".

أمسـك بالكيـس وعبـس قائـلًا: "مـاذا يوجـد هنـا؟ هـذا مؤلِـم، مـن الأفضـل ألا تكـون أجـزاء مـن جُثـة".

أخـرج لفافـة القرفـة الضخمـة وتطلّـع إليهـا قبـل أن يقـول: "ويحـي، لـن تتصـوّر قريتـي جوعًـا هـذا العـام، نحـن ممتنـون لـك للغايـة أيهـا الجنـدب".

انحنـى وهـو يرفـع المعجنـات عاليًـا قائـلًا: "الديـن المُسـدَّد نعمـة علينـا جميعًـا يـا ولـدي".

قُلـت: "في هـذه الحالـة.. هـل لديـك ملـف تلـك القضيـة التـي عـثروا عليهـا الليلـة الماضيـة في أولـد كاتلـر؟".

قضـم فينـس قضمـة كبـيرة مـن لفافـة القرفـة، التمعـت شـفتاه بفعـل زينتهـا وهـو يمضغهـا ببـطءٍ قبـل أن يبتلعهـا ويقـول: "هـل نشـعُر

بالإهـمال؟".

قُلـت: "في حـال كُنـت تقصِـد ديـبرا.. فأجـل، نحـن نشـعر بهـذا، أخبرتهـا أننـي سـألقي نظـرة عـلى الملـف مـن أجلهـا".

قـال بفـمٍ مـليءٍ بالمُعجّنـات: "غـلى الافـر عتـاك المنيـل نـت البقـاء نـذه الـترة".

قُلت: "سامحني يا سيدي، تبدو لغتك غريبة بالنسبة لي".

مضـغ الطعـام الموجـود في فمـه قبـل أن يبتلعـه ويقـول: "قُلـت.. عـلى الأقـل هنـاك الكثـير مـن الدمـاء هـذه المـرة، لكنـك خـارج تلـك القضيـة، تلقـى بـرادلي المُكالمـة للعمـل في هـذه القضيـة".

"هل يُمكنني رؤية الملف؟".

أخذ قضمة أخرى وهو يقول: "مان نا زاك جبا".

"هـذا حقيقـي، أنـا مُتأكّـد تمامًـا مـن ذلـك، لكـن هـل يُمكِنـك أن تقولهـا بالإنجليزيـة؟".

ابتلـع مـا في فمـه وهـو يقـول: "قُلـت.. كان لا يـزال حيًّـا عندمـا قُطِعـت قدمـه".

"الأجساد البشرية مرنة للغاية.. أليس كذلك؟".

أمسَـك فينـس باللفافـة بفمـه، أمسـك بالملـف، أعطـاه لي وهـو يتنـاول قضمـة كبـيرة أخـرى مـن اللفافـة في الوقـت نفسـه، أمسـكت بالملـف وقُلـت: "عـليّ أن أذهَـب، قبـل أن تحـاول التحـدُّث مـرة أخـرى".

أخرج اللفافة من فمه قائلًا: "فات الأوان".

عُـدت ببـطء إلى حجـيرتي الصغـيرة، مُلقيًـا نظـرة خاطِفـة عـلى محتويـات الملـف، كان جيرفاسـيو سـيزار مارتيـز هـو مـن اكتشـف الجُثـة، بياناتـه كانـت عـلى رأس الملـف، كان حارسًـا أمنيًـا، وظَّفتـه شركـة ساجو للأنظمـة الأمنيـة، يعمـل لديهـم منـذ أربعـة عشر شـهرًا

ولا يمتلك سجلًا جنائيًا، عَثَر مارتيز على الجُثة حوالي الساعة ١٠:١٧ مساءً، وقام على الفور بإجراء بحث سريع في المنطِقة قبل أن يتصل بالشُرطة، أراد أن يقبض على الوغد الذي فَعَل ذلك لأنه لا ينبغي لأحد أن يفعل مثل هذه الأشياء، والتي كان قد قام بها عندما كان هو -جيرفاسيو- يعمل، شعر وكأنه فعل هذا به، هل تفهم الأمر؟ لذا أراد القبض على الوحش بنفسه، لكن هذا لم يكُن مُمكِنًا، لم يكُن هناك أي أثر للجاني، ليس في أي مكان، لذلك قام بالاتصال بالشرطة.

أخذها المسكين على محمَل شخصي، شاركته غضبه، لا ينبغي السماح بتلك الأمور الوحشية، بالطبع كُنت مُمتنًا جدًّا لأن إحساسه بالشرف منحني الوقت الكافي لأبتعِد، وأنا الذي كُنت أعتقِد دومًا أن الأخلاق عديمة الفائدة.

استدرت نحو مكتبي المُظلِم الصغير، وجدت نفسي في مواجهة لاجويرتا التي قالت: "أنت لا ترى جيدًا".

لكنها لم تتحرَّك، قُلت: "لست من محبي الصباح، إيقاعاتي الحيوية كُلها مُعطَّلة حتى الظُهر".

نظرت إليّ من على بُعد إنش واحد قبل أن تقول: "تبدو بخير بالنسبة لي».

استدرت من حولها وصولًا إلى مكتبي وأنا أسألها: "كيف يُمكنني تقديم خدماتي المتواضعة لجلالة ملكة القانون هذا الصباح؟".

حدَّقت في وجهي وهي تقول: "لديك رسالة، على جهازك".

نظرت لجهاز الرد على المُكالمات الخاص بي، كان ضوؤه يومض، لا شك في أن هذه المرأة كانت مُحقِّقة، قالت لاجويرتا: "إنها فتاة ما، تبدو كسولة سعيدة، هل لديك صديقة يا ديكستر؟".

كان هناك تلميح غريب في صوتها، قُلت: "أنت تعرفين ما عليه الأمر، نساء اليوم متقدّمات للغاية، وعندما يكون المرء وسيمًا مثلي، فإنهن يلقين أنفسهن عليه فورًا".

ربما كان اختيارًا فقيرًا للكلمات؛ لكن بينما كُنت أقولها لم أستطِع مني نفسي من التفكير في رأس المرأة الذي ألقى نحوي منذ وقت ليس ببعيد، قالت لاجويرتا: "احترِس، آجلًا أم عاجلًا ستلتصِق بك إحداهن".

لم يكُن لديّ أي فكرة عما يُفترض بهذا أن يعنيه، لكنها كانت صورة مُقلِقة للغاية.

قُلت: "أنا مُتأكِّد تمامًا أنكِ مُحقّة، وحتى ذلك الحين.. كاربي ديم".

"ماذا؟".

قُلت: "إنها لاتينية، تعني انتهاز الفُرص".

قالت فجأة: "ماذا لديك عن هذا الشيء الذي حَدَث الليلة الماضية؟".

رفعت الملف وأنا أقول: "كُنت أنظر إليه فحسب".

عبست وهي تقول: "الأمر مُختلِف، بغض النظر عما يقوله هؤلاء المراسلون الحمقى، ماكهيل مُذنِب، لقد اعترَف، هذا الشخص مُختلِف".

قُلت: "يبدو الأمر وكأنه يحمل الكثير من الصُدف، اثنان من القتلة الوحشيين في الوقت ذاته".

هزّت لاجويرتا كتفيها وهي تقول: "هذه ميامي، ماذا تعتقِد؟ هذا هو المكان الذي يأتي إليه هؤلاء الأشخاص لقضاء الإجازات، هناك الكثير من الأشرار بالخارج، لا يُمكنني القبض عليهم جميعًا".

كي أكـون صادقًـا، لا يُمكِنهـا القبـض عـلى أي منهـم إلا إذا اندفعـوا بأنفسـهم مـن المبـاني مُبـاشرةً إلى مقعـد سيارتها الأمامـي، لكـن لا يبـدو أن هـذا هـو الوقـت المُناسِـب لإثـارة هـذا الأمـر، اقتربَـت لاجويرتـا منـي وهـي تضغـط عـلى الملـف بظفـرٍ مطـلي باللـون الأحمـر القاتِـم وهـي تقـول: "أريـدك أن تجـد لي شيئًا مـا هنـا يـا ديكسـتر، لتُثبِـت أن الأمـر مُختلِـف".

كانـت مُتجهّمـة، تتعـرّض لضغـوطٍ مُزعجـةٍ، ربمـا مـن الكابـتن ماثيوس، الرجـل الـذي يُصـدّق مـا قـرأه في الصُّحـف مـا دامـوا يكتبـون اسـمه بشـكلٍ صحيـحٍ، وبحاجـة لبعـض الذخـيرة مـن أجـل العـودة، قُلـت: "بالطبـع الأمـر مُختلِـف، لكـن لمـاذا أتيـتِ إليّ؟".

حدّقـت في وجهـي للحظـة بعينـين نصـف مُغمضتـين، بتعبـير فضـولي، فكّـرت أنهـا لربمـا كانـت نفـس النظـرة الموجـودة في بعـض الأفـلام التـي تجـبرني ريتـا عـلى مُشـاهدتها، لكـن لمـاذا بحـق السـماء تنظـر لي لاجويرتـا بهـذه الطريقـة، هـذا مـا لم أكُـن أعرِفـه، قالـت: "لقـد سـمحت لـك بحضـور حفـل الشـواء ذي الـ ٧٢ سـاعة، رغـم أن دوكـس أراد أن يرديـك قتيـلًا، لكننـي سـمحت لـك بالتواجُـد".

"شكرًا جزيلًا".

"لأن لديـك حدسًـا عندمـا يتعلّـق الأمـر بهـذه الأشـياء، أمـور القتلـة المُتسلسـلين، هـذا مـا يقولـه الجميـع، أحيانًـا مـا يكـون لـدى ديكسـتر حـدس مـا".

قُلت: "حقًا، مُجرّد تخمين محظوظ في مرةٍ أو اثنتين".

"أنا بحاجةٍ لشخصٍ ما من العاملين في المُختبَر ليجد لي شيئًا ما".

"إذا لماذا لا تطلبين من فينس؟".

قالت: "لأنه ليس لطيفًا، لتجد لي شيئًا ما".

كانـت لا تـزال قريبـة بشـكلٍ غـير مُريـح، قريبـة للدرجـة التـي جعلتنـي قـادرًا عـلى شـم رائحـة الشـامبو الخـاص بهـا، قُلـت: "سـأجِد شـيئًا مـا".

أومـأت برأسـها نحـو جهـاز الـرد عـلى المُكالمـات وهـي تقـول: "هـل سـتعاوِد الاتصـال بهـا؟ ليـس لديـك وقـت لمُطـاردة العاهـرات".

استغرقني الأمـر دقيقـة لأفهـم أنهـا تتحـدَّث عـن الرسـالة الموجـودة عـلى جهـازي، ابتسـمت لهـا أفضـل ابتسـاماتي اللبِقـة وأنـا أقـول: "أظـن أنهـن مـن يُطاردننـي أيتهـا المُحقِّقـة".

رمقتنـي بنظـرةٍ طويلـةٍ قبـل أن تقـول وهـي تسـتدير لترحَـل: "أنـت مُحِـق في ذلـك".

لا أعـرف السـبب، لكننـي راقبتهـا وهـي ترحـل، لم أسـتطِع التفكـير في شيء آخـر لأفعلـه، وقبـل أن تغيـب عـن ناظـري بقليـل، حرَّكـت تنورتهـا بفخذيهـا قليـلًا وهـي تسـتدير لتنظُـر لي، ثـم ذهبـت، لتختفـي في قسـم التحقيـق في جرائـم القتـل الغامِضـة.

ومـاذا عنـي؟ ديكسـتر العزيـز المسـكين الـذي يشـعر بالحـيرة؟ مـاذا يُمكننـي أن أفعـل غـير ذلـك؟ جلسـت عـلى كُـرسي مكتبـي وأنـا أضغـط زر تشـغيل المُكالمـات المُسـجّلة عـلى جهـازي: "مرحبًـا يـا ديكسـتر، هـذه أنـا".

بالطبـع أنـتِ، وبقـدر مـا كان الأمـر غريبًـا، فـإن الصـوت البطـيء الأجـش الـذي قـال (أنـا) كان صـوت ريتـا، أكملـت رسـالتها: "كُنـت أفكِّـر في مـا حـدث الليلـة الماضيـة، اتصـل بي يـا سـيد".

كـما أبـدت لاجويرتـا مُلاحظتهـا، بـدت سـعيدة وكسـولة، عـلى مـا يبـدو.. فلـديّ صديقـة الآن.

أين سينتهي هذا الجنون؟

الفصل الثامن عشر

لوهلـةٍ.. جلسـت وطفقـت أفكِّـر في مُفارقـات الحيـاة القاسـية، بعـد سـنوات عديـدة مـن الاعتـماد عـلى الـذات، وجـدت نفـسي فجأة مُطـاردًا مـن جميـع الاتجاهـات بنسـاءٍ جائعـاتٍ؛ ديـب، ريتـا، ولاجويرتـا، ويبـدو أن جميعهـن غـير قـادرات عـلى الحيـاة بـدوني، ومـع ذلـك.. فالشـخص الوحيـد الـذي أردت قضـاء بعـض الوقـت معـه كان خجـولًا، تـرك لي رأس بـاربي مُعلَّقًـا عـلى بـاب ثلاجتـي، هـل في ذلـك أي عـدل؟ وضعـت يـدي في جيبـي وشـعرت بملمـس الشريحـة الزجاجيـة، دافئـة وآمنـة في حقيبـة الأدلـة، وللحظـةٍ.. جعلتنـي أشـعر بالتحسُّـن قليـلًا، عـلى الأقـل كُنـت أفعـل شـيئًا مـا، والتـزام الحيـاة الوحيـد -بعـد كُل شيء- هـو أن تكـون مثـيرةً للاهتـمام، وهـو مـا كانـت عليـه في ذلـك الوقـت، (مُثـيرة للاهتـمام)، لا توجـد كلـمات تكفـي لوصفِهـا، سـأقايِض سـنة مـن عُمـري لأكتشِـف المزيـد عـن ذلـك الوغـد المـراوغ الـذي كان يُضايقنـي بـلا رحمـة بهـذا العمـل الأنيـق، في الواقِـع.. لقـد اقتربـت مـن مُقايضـة عـدد أكـبر مـن السـنين بعدمـا فعلـت مـع جاورسـكي الصغـير.

أجـل، كانـت الأشـياء مثـيرة للاهتـمام، هـل كانـوا يقولـون حقًّـا في القسـم أن لـديّ حدسًـا في مـا يتعلَّـق بالقتلـة المُتسلسـلين؟ كان هـذا مُثـيرًا للقلـق بشـدةٍ، هـذا يعنـي أن تمويهـي الدقيـق ربمـا يكـون عـلى وشـك أن ينكشِـف، لقـد كُنـت جيـدًا في مـراتٍ عديـدةٍ، بإمـكان هـذا أن يُصبِـح مُشـكلة، لكـن مـاذا سـأفعل؟ أتظاهـر بالغبـاء لبعـض الوقـت؟ لم أكُـن مُتأكِّـدًا مـن معرفتـي لكيفيـة القيـام بذلـك، حتـى بعـد سـنوات طويلـة مـن المُراقبـة الدقيقـة.

حسـنًا، فتحـت ملـف قضيـة جاورسـكي، الرجـل المسـكين، بعـد سـاعة

مـن دراسـة الملـف، أتيـت باسـتنتاجين، الأول والأهـم.. سـأفلت بما فعلـت، عـلى الرغـم مـن الاندفـاع المتهوِّر الـذي لا يُغتفـر، والثـاني.. قـد تكـون هنـاك طريقـة لتسـتفيد ديـب مـن ذلـك، إذا مـا تمكَّنـت مـن إثبـات أن هـذا عمـل فناننـا الأصـلي، بينـما تمسَّـكت لاجويرتـا بنظريـة التقليـد، يُمكِـن لديـب أن تتحـوَّل فجـأة مـن شـخص غـير جديـر بالثقـة لشـخص يتحكَّـم في مـذاق قهـوة الشـهر للقسـم بأكملـه، بالطبـع لم يكُـن هـذا مـن عمـل نفـس الشـخص، لكـن بـدا ذلـك وكأنـه اعـتراض صعـب المنـال في هـذه المرحلـة، وبمـا أننـي أعـرف بمـا لا يـدع مجـالًا للشـك أنـه سـيكون هنـاك المزيـد مـن الجُثـث سـيجدونها في القريـب العاجِـل، فـلا داعـي للقلـق.

وبطبيعـة الحـال، في الوقـت نفسـه.. كان عـليّ أن أمنَـح المُحقِّقـة لاجويرتـا المُزعِجـة حبـلًا كافيًـا لتشـنق نفسـها، والـذي ربمـا يكـون مفيـدًا عـلى المسـتوى الشـخصي، أن تكـون في متنـاول يـدي، أدفعهـا في ركـنٍ وأجعلهـا تبـدو كغبيـة، مـن الطبيعـي أن تحـاوِل لاجويرتـا إلقـاء اللـوم عـلى تقنـي المُختـبر الأحمـق الـذي أعطاهـا اسـتنتاجًا خاطئًـا، ديكسـتر البليـد الكسـول، وسـتُعاني سُـمعتي مـن انتـكاس تحتـاج إليـه بشـدةٍ عـلى أقـل تقديـر، لـن يعـرض هـذا وظيفتـي للخطـر بالطبـع، حيـث إنـه مـن المُفـترض بي أن أحلِّـل بقـع الـدم، وليـس تقديـم خدمـات الدعـم، وفي هـذه الحالـة.. سـيكون مـن المُفيـد أن تظهـر حقيقـة لاجويرتـا كحمقـاء، وأن ترتفـع أسـهم ديـبرا بشـكلٍ أكـبر.

مـن الجميـل أن تسـير الأمـور بدقـة، اتصلـت بديـبرا، وفي الواحـدة والنصـف مـن ظهـر اليـوم التـالي.. قابلتهـا في مطعـم صغـير عـلى بُعـد عـدة مبـانٍ شـمال المطـار، مختبئًـا داخِـل مـول تجـاري صغـير، بـين محـل لبيـع قطـع غيـار السـيارات ومتجـر أسـلحة، كان مكانًـا يعرفـه كلانـا جيـدًا، وليـس بعيـدًا عـن مقـر قسـم شُرطـة ميامـي، هنـاك.. كانـوا

يصنعـون أفضـل الشـطائر الكوبيـة في العـالم، ربمـا يبـدو هـذا كأمـر تافـه، لكننـي أضمـن لـك أن هنـاك أوقاتًـا لا ينجـح فيهـا إلا الأماكِـن المتوسِـطة، مثـل الآن.. فمقهـى ريلامباجـو هـو المـكان الوحيـد الـذي يُمكنـك أن تحظـى فيـه بشـطيرة منهـم، يـزور آل مورجـان هـذا المـكان منـذ عـام ١٩٧٤.

شـعرت أن بعـض اللمسـات الصغـيرة كانـت صحيحـة، إن لم تكُـن تستحِق احتفـالًا حقيقيًـا، عـلى الأقـل.. معرفـة أن الأمـور كانت تتحسَّـن بشـكلٍ طفيـفٍ، أو تـراني أشـعر فقـط بالحيويـة لأننـي سـأفلت بمـا فعلـت مـع صديقـي العزيـز جاورسـكي، لكـن عـلى أي حـال.. شـعرت بأننـي في حالـة جيـدة لا يُمكِـن تفسـيرها، حتـى أننـي طلبـت كوكتيـل «مخفـوق الأم» وهـو مخفـوق حليـب كـوبي ذو طعـم فريـد مـن نوعـه، يبـدو مذاقـه وكأنـه خليـط مـن البطيـخ، الخـوخ، والمانجـو.

بالطبـع لم تكُـن ديـب قـادرة عـلى أن تُشـاركني في مزاجـي المُعتـدِل، بـدت وكأنهـا كانـت تحـاول تقليـد تعابـير وجـه سـمكة كبـيرة، قاسـية ومُترهلّـة إلى أقـصى الحـدود.

توسّـلت إليهـا قائـلًا: "أرجـوكِ يـا ديـبرا، إن لم تتوقفـي عـن فعـل ذلك، سـتلتصِق تلـك التعبـيرات بـه للأبـد، وسـيأخذونكِ إلى قـاع المُحيط".

قالـت: "عـلى الأقـل لـن يعتـبروني كشُرطيـة، لأننـي لم أعـد كذلـك بعـد الآن".

قُلت: "هذا هراء، ألم أعدكِ؟".

"أجـل، كـما وعدتنـي أيضًـا أن هـذا الأمـر سـيُفلِح، لكنـك لم تقُـل أي شيء عـن النظـرة التـي رمقنـي بهـا النقيـب ماثيـوس".

قُلت: "ديب، هل نظر إليكِ؟ أنا آسف جدًّا".

"اللعنـة عليـكَ يـا ديكسـتر، أنـت لم تكُـن موجـودًا هنـاك، وليسـت

حياتـك هـي مـن تسـوء".

"أخبرتكِ أن الأمر سيكون قاسيًا لبعض الوقت يا ديبس".

"حسـنًا، عـلى الأقـل كُنـت مُحقًّـا بهـذا الشـأن، فطبقًـا لماثيـوس.. فأنـا قريبـة مـن الفصـل".

"لكنـه أعطـاكِ الإذن لاسـتخدام وقـت فراغـكِ لفحـص الأمـر أكـثر مـن ذلك؟".

نخـرت قائلـة: "قـال لا يُمكننـي منعـكِ يـا مورجـان، لكـن أمـلي خـاب بـكِ، وأتسـاءل عـما كان والـدكِ سـيقوله".

"ألم تقـولي لـه أن والـدي لم يُغلـق يومًـا قضيـة بإلقـاء رجـلٍ خاطـئ في السـجن؟".

بـدت مُندهِشـة وهـي تقـول: "لا، لكـن هـذا مـا كُنـت أفكّـر فيـه، كيـف عَرِفـت؟".

"لكنكِ لم تقولي هذا في الواقع، أليس كذلك يا ديبرا؟".

قالت: "لا".

دفعـت كأسـها نحوهـا وأنـا أقـول: "تنـاولي بعـض الـشراب يـا أختـي، ستتحسَّـن الأمـور".

نظـرت نحـوي وهـي تقـول: "هـل أنـت مُتأكّـد أنـك لا تسـاعدهم في فصـلي؟".

قُلـت بلُطـفٍ: "مُسـتحيل يـا ديـب، كيـف يُمكننـي أن أفعـل ذلـك؟ تحتاجـين لأن تثقـي بي حقًّـا يـا أختـي".

نظـرت في عينـيّ للحظـةٍ قبـل أن تخفـض نظرهـا، لم تلمِـس شرابهـا بعـد، وهـذا كان أمـرًا مؤسِـفًا لأنـه كان شرابًـا جيـدًا للغايـة.

نظـرت لي وعـلى وجههـا يتراقَـص تعبـير غريـب للغايـة، قبـل أن تقـول: "أثـق بـك، لكنني أقسِـم لـك باللـه أننـي لا أعـرف لذلـك سـببًا،

وأحيانًا.. أظن أنه لا يجب عليّ الوثوق بك يا ديكستر".

ابتسمت لها ابتسامة أخ أكبر مُطمئِنة وأنا أقول: "خلال اليومين أو الثلاثة القادمين ستتحسَّن الأمور، أعدك بهذا".

قالت: "لا يُمكِنك أن تعرف ذلك".

"أعرف أنه لا يُمكنني يا ديب، لكنني أعرِف، بل أنا مُتيقِّن من ذلك".

"إذًا لماذا تبدو سعيدًا للغاية بهذا الشأن؟".

أردت أن أخبرها بأن هذه الفكرة هي ما تجعلني سعيدًا، لأن مُجرَّد التفكير في رؤية المزيد من العجائِب الخالية من الدماء جعلني أسعد من أي شيء آخر كان بإمكانيّ التفكير به، لكن بالطبع.. لم تكُن ديب لتشاركني هذا الشعور، لذا احتفظت به لنفسي وأنا أقول: "بطبيعة الحال.. أنا سعيد فقط من أجلكِ".

نخرت قائلة: "هذا صحيح، لقد نسيت".

على الأقل رشفت رشفة من مشروبها، قُلت: "اسمعي، إما أن لاجويرتا مُحقَّة...».

"والذي يعني أنني إما ميتة أو مُحطَّمة".

"أو أن لاجويرتا مُخطِئة، وحينئذ ستكونين حيَّة وفي خير حال، هل أنتِ معي حتى الآن يا أختي؟».

قالت وهي غاضبة بشكلٍ ملحوظٍ من مدى صبري: "حسنًا".

"في حال وضعتِ رهانًا، هل ستراهنين على كون لاجويرتا مُحقة؟ بشأن أي شيء؟".

قالت: "ربما بشأن الموضة، ترتدي ملابِس جميلة حقًّا".

جاءت الشطائر، وضعها النادِل في مُنتصف المنضدة دون أن ينبس ببنت شفة قبل أن يرحل ليقف خلف منضدة عمله، ورغم ذلك..

كانت شطائر جيدة للغاية، لا أعلم ما الذي يجعلها أفضل من شطائر باقي المطاعِم، لكنها كانت كذلك؛ الخبز مقرمَش من الخارِج وطري من الداخِل، القدر المناسِب تمامًا من لحم الخنزير والمخلَّل، الجبن النقي ذائب تمامًا، قضمت قضمة كبيرة، بينما حرَّكت ديبرا الماصة في مشروبها.

ابتلعتها وأنا أقول: "ديبس، إن لم يستطِع منطقي القاتِل إبهاجكِ، وكذلك واحدة من شطائِر ريلامباجو لا تستطيع إبهاجكِ، فإن الأوان قد فات.. أنتِ ميتة بالفعل".

نظرت لي بوجه السمكة وهي تقضم قضمة من شطيرتها، قبل أن تقول دون أي تعبيرات: "إنها جيدة للغاية، هل تراني وأنا مُبتهِجة؟".

لم يُقنعها الشيء المسكين، وكان هذا صدمة مدويِّة لكبريائي، لكن بعد كُل شيء.. لقد نجحت في إطعامها الطعام القادِر على إبهاج آل مورجان، وزففت إليها أنباء رائعة، حتى لو لم ترها بهذه الطريقة، إن لم يكُن هذا قادرًا على جعلها تبتسِم، ففي الحقيقة لا يُمكنك أن تتوقَّع مني فعل كُل شيء.

أحد الأشياء الصغيرة الأخرى التي يُمكِنني القيام بها كذلك هو إطعام لاجويرتا أيضًا، شيء غير مُستساغ تمامًا كواحدة من شطائر ريلامباجو، لكنه سيكون لذيذًا بطريقته الخاصة، وهكذا.. بعد ظُهر اليوم اتصلت بالمُحقِّقة الجيدة في مكتبها، وهي حجيرة صغيرة جميلة في ركن غرفة كبيرة تحتوي على نصف دزينة من الحجيرات الصغيرة الأخرى، كانت حجرتها -بالطبع- هي الأكثر أناقة، مع العديد من صورها الرائعة مع المشاهير مُعلَّقة على نسيج الفواصِل، ميَّزت منهم جلوريا ستيفان، مادونا، وجورجي ماس كانوسا، على المكتب.. الموجود في الجانب الآخر مُغطى بنشافة خضراء بإطارٍ جلدي، وفوقه حامل أقلام أخضر أنيق، وساعة كوارتز في المُنتصف.

كانت لاجويرتا تتحدَّث عبر الهاتف بإسبانيةٍ سريعةٍ عندما دخلت، نظرت لي دون أن تراني قبل أن تُشيح بوجهها، لكن بعد لحظة عادت بأنظارها إليّ، هذه المرة نظرت لي بدقة، وعبست، ثم قالت: "حسنًا.. حسنًا. تا لو".

التي كانت لفظة كوبية تعني وداعًا، وضعت السماعة واستمرَّت في النظر إليّ.

في النهاية قالت: "ماذا جلبت لي؟".

قُلت: "بشرى سعيدة".

"إذا كان هذا يعني أخبارًا جيدة، فأنا بحاجة لبعضها".

جذبت كُرسيًا قابِلًا للطي بقدمي إلى حجيرتها، جلست عليه وأنا أقول: "ليس هناك شك أنه لديكِ الرجل الصحيح في السجن، الذي ارتكب جريمة قتل أولد كاتلر كان شخصًا مُختلِفًا".

نظرت لي للحظةٍ، تساءلت عما إذا كانت تستغرِق وقتًا طويلًا لمُعالجة البيانات والرد، قبل أن تسألني في النهاية: "هل يُمكِنك أن تضمن لي ذلك؟ هل أنت مُتأكِّد؟".

بالطبع يُمكنني أن أضمن لكِ ذلك بالتأكيد، لكنني لن أفعل ذلك، مهما كان الاعتراف جيدًا للروح، بدلًا من ذلك.. أسقطت الملف على مكتبها وأنا أقول: "الحقائِق تتحدَّث عن نفسها، لا يوجد أي شك في ذلك على الإطلاق".

بالطبع ليس هناك أي شك في ذلك على الإطلاق، لأنني الوحيد الذي أعرف كُل شيء تمام المعرفة، قُلت: "انظري..".

أخرجت صفحة من المُقارنات المُنتقاة التي كتبتها بعنايةٍ وأنا أضيف: "أولًا.. الضحية ذكر، وكُل الضحايا السابقات كُن إناثًا، تم العثور على هذه الضحية في أولد كاتلر، بينما تم العثور على كُل

ضحايا ماكهيل قبالة تاميامي تريل، هذه الضحية وُجِدَت سليمة نسبيًّا، وفي نفس المكان الذي قُتِل فيه، بينما كانت ضحايا ماكهيل مُقطَّعة تمامًا، وتم نقلها لمكانٍ آخر للتخلُّص منها».

واصلت، واستمعت بعنايةٍ، كانت القائمة جيدة، استغرقتني بضع ساعات للتوصُّل إلى أكثر المُقارنات وضوحًا، غرابةً، وحماقةً، ويجب أن أقول إنني قُمت بعملٍ جيدٍ للغاية، كما قامَت لاجويرتا بدورها بشكلٍ رائعٍ كذلك، صدَّقت الأمر برمته، بالطبع كانت تسمَع ما أرادت سماعه.

قُلت: "باختصارٍ.. فإن جريمة القتل الجديدة يغلب عليها طابِع الانتقام، على الأرجَح لها علاقة بالمُخدِرات، بينما قام الرجل الموجود في السجن بارتكاب الجرائم الأخرى، وهو أمر أكيد تمامًا، وبشكلٍ إيجابي، عمل مُنتهٍ تمامًا وللأبد، ولن يحدُث مرة أخرى، أُغلِقت القضية".

أسقطت الملف على مكتبها وأنا أُمسِك بقائمتي.

أخذت مني الورقة، ونظرت إليها لبرهةٍ طويلةٍ، عبست، تحرَّكت عيناها صعودًا ونزولًا على الورقة عدة مرَّات، ارتجفت إحدى زوايا شفتها السُّفلى، ثم وضعتها بعنايةٍ على مكتبها تحت دباسة ثقيلة خضراء اللون.

قالت وهي تحرك الدباسة قليلًا لتحاذي حافة النشَّاف الخاص بها تمامًا وهي تقول: "حسنًا، جيد جدًّا، من شأن هذا أن يُساعِد".

نظرت لي مرة أخرى وعبوس التركيز لا يزال مسيطرًا على ملامحها، قبل أن تبتسِم فجأة وهي تقول: "حسنًا، شكرًا لك يا ديكستر".

كانت ابتسامة حقيقية وغير متوقَّعة لدرجة أنني لو كُنت أمتلك روحًا لشعرت بالذنب تمامًا.

وقفت وهي لا تزال مُبتسِمة، وقبل أن أتمكَّن من التراجُع، ألقت بذراعيها حول رقبتي لتحتضنني، قالت: "أنا أقدِّر ذلك حقًّا، أنت تجعلني أشعر بأنني.. مُمتنَّة جدًّا".

وحرّكت جسدها على جسدي بطريقةٍ لا يُمكِن أن تكون إلا مليئة بالإيحاءات، كان هذا أمرًا لا شك فيه، أقصد.. ها هي، مُدافِعة عن الأخلاق العامة، ومع ذلك فها هي في مكانٍ عامٍ، حتى لو كان هذا المكان قبو بنك، كُنت سأكون غير مُهتَم حقًّا بتحريك جسدها على جسدي بهذه الطريقة، ناهيك عن حقيقة أنني سلَّمتها لتوي حبلًا على أمل أن تشنق به نفسها، وهو الأمر الذي يبدو بالكاد من الأمور التي يحتفِل بها المرء، حسنًا.. هل جُن جنون العالم؟ ما خطب البشر؟ هل هذا كُل ما يفكرون فيه؟

شعرت بشيء قريب للغاية من الذعر، حاولت أن أحرِّر نفسي وأنا أقول: "من فضلك أيتها المُحقِّقة..".

قالت وهي تتشبَّث بي وتفرك نفسها بقوةٍ أكبر: "ناديني بميجديا".

مدَّت يدها للأسفل، نحو مُقدِّمة بنطالي قبل أن أقفز من مكاني. على الجانِب الإيجابي.. تصرّفي نجح في إبعاد المُحقِّقة الشهوانية، وعلى الجانِب السلبي.. قامت بالدوران جانبيًّا، ضربت المكتب بفخذها، وتعثَّرت بمقعدها، قبل أن تسقُط أرضًا.

تلعثمت قائلًا: "أنا.. يجب أن أعود للعمل، هناك أمور هامة...".

ورغم ذلك.. لم يُمكنني التفكير في أي شيء أكثر أهمية من النجاة بحياتي، لذلك خرجت من الحجيرة، وتركتها تنظر لي.

لم تبد نظرة ودودة أبدًا.

الفصل التاسع عشر

استيقظت واقفًا بجوار الحوض والمياه مفتوحة، حظيت بلحظةٍ من الفزع الخالص، شعور بالارتباك التام، تسارعت دقّات قلبي بينما يحاول جفناي المذعوران اللحاق بالركب، هناك شيء خاطئ في المكان، لا يبدو الحوض جيدًا، لم أكُن متأكّدًا مَن أنا.. في حلمي كُنت أقِف أمام حوض والماء يتدفَق، لكنه لم يكُن هذا الحوض، كُنت أفرك يديّ، أفركهما بالصابون جيدًا، في محاولةٍ لتطهير بشرتي من كُل ذرة ميكروسكوبية من الدم الأحمر الرهيب، أغسلهما بماء ساخن للدرجة التي تركت بشرتي وردية، جديدة، ومُطهَّرة، وصدمتني حرارة الماء بقسوةٍ بعد برودة الغرفة التي تركتها خلفي لتوي، غُرفة اللعب، غُرفة القتل، غُرفة التجفيف والتقطيع الدقيق.

أغلقت المياه ووقفت للحظةٍ، مُتمايلًا ضد الحوض البارد، كان كُل شيء حقيقيًا جدًا، لم يكُن أبدًا من نوع الأحلام التي أعرفها، تذكّرت تلك الغُرفة بوضوح، كان بإمكاني رؤيتها بمُجرّد إغلاق عينيّ.

أقف فوق امرأة، أراقبها وهي تتلوى وتقاوم الشريط اللاصِق الذي يُمسِك بها، أرى الرُّعب الحي المُتنامي في عينيها المذعورتين، أشاهده يزدهِر ليأسٍ، وأشعر بجُرعةٍ كبيرةٍ من الإعجاب تتصاعد بداخلي، وتدفَع يدي إلى السكين، وبينما أرفع السكين لأبدأ..

لكن هذه لم تكُن البداية، لأن تحت المنضدة كان هناك أخرى، جافة وملفوفة بحرصٍ، وفي الركن البعيد.. هناك واحدة أخرى، تنتظِر دورها بفزعٍ أسود ميؤوس منه، على عكس أي شيء رأيته من قبل، على الرغم من أنه مألوف وضروري للغاية، فإن هذا الإعتاق من بين جميع الاحتمالات الأخرى كان مُكتملًا لدرجة أنه كان يغسلني

بطاقةٍ نظيفةٍ ونقيةٍ تصيبني بالنشوة أكثر من..

ثلاثة.

هناك ثلاثة هذه المرة.

فتحت عينيّ، رأيت انعكاسي في المرآة، مرحبًا يا ديكستر.. هل تحظى بحلمٍ أيها الفتى العجوز؟ مُثير للاهتمام.. أليس كذلك؟ ثلاث ضحايا؟ لكنه مُجرّد حلم، لا شيء آخر، ابتسمت لي، مُجرِّبًا عضلات وجهي، غير مُقتنِع تمامًا، وبقدر ما كانت مليئة بالحيوية، كُنت مُستيقظًا الآن، لا أشعر بشيء سوى بصُداع الثمالة وأيدٍ مُبتلّة.

ما كان ينبغي له أن يكون فاصلًا مُمتعًا في عقلي الباطِن جعلني أرتجِف، لم أكُن مُتأكِّدًا.. لكنني شعرت بالرهبة من فكرة أن عقلي قد جُن وتركني من خلفه لأدفع الثمن، فكَّرت في رفقاء اللعب الثلاثة المربوطين بعنايةٍ، أردت العودة لهم للمُتابعة، فكَّرت في هاري وأدركت أنني لن أستطيع القيام بذلك، كُنت مُعلَّقًا بين الذكرى والحلم، ولم يكُن بإمكاني تحديد أيهما أكثر إقناعًا.

لم يعُد هذا مُمتعًا بعد الآن، أردت استعادة عقلي، جفَّفت يديّ وعدت للفراش مرة أخرى، لكن لم يتبقَّ المزيد من النوم في هذه الليلة لعزيزي المُدمَّر ديكستر، استلقيت على ظهري فحسب وأنا أراقِب البرك السوداء تطفو على السقف، إلى أن رنَّ هاتفي في السادسة إلا رُبع.

قالت ديب عندما رفعت السماعة: "كُنت مُحقًّا".

قُلت وأنا أبذل مجهودًا ضخمًا في محاولة أن أبدو مُبتهجًا كعادتي: "هذا شعور رائع، لكن مُحقًّا بأي شأن؟".

قالت ديب: "بشأن كُل شيء، أنا في مسرح جريمة في تاميامي تريل، خمِّن ما حَدَث؟".

"كُنت مُحقًّا؟".

"إنه هو يا ديكستر، لا بُد له أن يكون، وهو أمر رائع للغاية أيضًا".

سألتها: "رائع إلى أي قدر يا ديب؟".

كُنت أفكّر في ثلاث جُثث، وآمل ألا تقول ذلك، رغم أنني سعدت باليقين أنها ستفعل، قالت: "يبدو أن هناك العديد من الضحايا".

سرت قشعريرة في جسدي، من معدتي إلى الأعلى، كما لو أنني ابتلعت حمض بطاريات، لكنني بذلت مجهودًا هائلًا لأستجمع شتات نفسي أمام ذكاء الأمر، وأنا أقول: "هذا رائع يا ديب، أنتِ تتحدّثين مثل تقارير مُكافحة جرائم القتل".

"أجل، حسنًا.. بدأت أشعر وكأنني سأكتب واحدًا يومًا ما، أنا سعيدة فقط لأنه لن يكون تقرير تلك الجريمة، إنها غريبة للغاية، لاجويرتا لا تعرف بمَ تُفكّر".

"أو حتى كيف، ما الغريب في تلك الجريمة يا ديب؟".

قالت فجأة: "يجب أن أذهَب، تعال إلى هنا يا ديكستر، يجب أن ترى هذا".

بحلول الوقت الذي وصلت فيه كان الزحام يصطف لثلاثة صفوف خلف الحاجز، ومُعظمهم كان من المُراسلين، من الصعب أن تشق طريقك وسط زحام من المُراسلين المهووسين برائحة الدماء التي تصل إلى أنوفهم، قد لا تظُن ذلك.. خصوصًا وأنهم دائمًا ما يظهرون أمام الكاميرات كقطيع من الجُبناء مُدمري الدماغ الذين يعانون من اضطرابات في الأكل، لكن لتضعهم حول حاجز شُرطة وسيحدث شيء أشبه بالمُعجزة، يصبحون أقوياء، عدوانيين، ومُستعدين وقادرين على دفع أي شيء أو أي شخص بعيدًا عن الطرق قبل أن

يدهسـوه بأقدامهـم، يُشـبه الأمـر لحـدٍّ مـا قصـص الأمهـات المُسـنّات الـلاتي يرفعـن الشـاحنات عندمـا يكـون أطفالهـن مُحتجزيـن تحتهـا، تأتيهـم القـوة مـن مـكانٍ غامـضٍ، وبطريقـةٍ مـا.. عندمـا تكـون هنـاك دمـاء عـلى الأرض، يُمكِـن لهـذه المخلوقـات القاتِلـة أن تشُـق طريقهـا عـبر أي شيء، دون أن يهتـز لهـم جفـن كذلـك.

مـن حُسـن حظـي، أن واحـدًا مـن مرتـدي الـزي الرسـمي الموجوديـن أمـام الحاجِـز تعـرَّف عـليّ، قـال للمُراسـلين: "دعـوه يمُـر أيهـا البـشر، دعـوه يعـبُر".

قُلـت لـه: "شـكرًا يـا خوليـو، يبـدو وكأن عـدد المُراسـلين يـزداد عامًـا بعـد عـام".

نَخَـر قائـلًا: "يبـدو أن هنـاك مـن يستنسـخهم، يبـدون جميعًـا مُتشـابهين بالنسـبة لي".

مـررت مـن أسـفل الشريـط الأصفـر وأنـا أتوجَّـه نحـو الجانِـب البعيد، كان لـديّ شـعور غريـب بـأن هنـاك شـخصًا مـا كان يعبـث بمسـتوى الأوكسـجين في الغـلاف الجـوي لميامـي، وقفـت وسـط الحُطـام المكسـور في موقـع بنـاء، كانـوا يبنـون مـا سـيكون عـلى الأرجَـح مبنـى مكوَّنًـا مـن ثلاثـة طوابـق، ذلـك النـوع الـذي يسـكُنه عـادةً المطـوّرون المُهمّشـون، تقدَّمـت للأمـام ببـطء، مُتابعًـا النشـاط حـول الهيـكل نصـف المبنـي، أدركـت أنـه لم يكُـن مـن قبيـل المُصادفـة أن نـأتي جميعًـا إلى هنـا، لا شيء يحـدث عـن طريـق الصدفـة مـع هـذا القاتِـل، كان كُل شيء مُتعمّـدًا، تـم دراسـته بعنايـةٍ مـن أجـل إحـداث تأثـير جـمالي، واستكشـافه للـضرورة الفنيّـة.

كُنـا في موقـع بنـاء لأن هـذا كان ضروريًـا، كان يُـدلي ببيانـه، تمامًـا كـما أخـبرت ديـبرا أنـه سـيفعل، أنتـم تُمسِـكون بالشـخص الخاطـئ، هكـذا كان يقـول، لقـد حبسـتم وغـدًا لأنكـم جميعًـا حفنـة مـن الأوغـاد، أنتـم

أغبـى مـن أن تـروا الأمـر لـذا سـأفركه تحـت أنوفكـم؛ هكـذا جـرى الأمـر.

لكنـه كان يـصرِّح بأكـثر مـن ذلـك، أكـثر مـن رسـالته للشُّرطـة وللعامة، كان يحدّثنـي؛ يضايقنـي، يسـتفزّني باقتبـاس مقطـع مـن عمـلي المُتـسرِّع، أحـضر الجُثـث لموقـع بنـاء لأنّنـي أخـذت جاورسـكي لموقـع بنـاء، كان يلعـب معـي الغُميضـة، يرينـا جميعًـا كـم كان جيـدًا، ويخـبر واحـدًا منّـا -أنـا- أنـه كان يُراقِـب، أعـرف مـا فعلتـه، وبإمـكانيّ القيـام بـه كذلـك، وبشـكلٍ أفضـل.

أعتقِد أن هذا كان من المُفترَض به أن يُقلقني قليلًا، لكنه لم يفعل.

جعلنـي هـذا أشـعر بالـدوار قليـلًا، مثـل فتـاة في المدرسـة الثانويـة تُشـاهِد قائـد فريـق كـرة القـدم وهـو يحـاول أن يسـتجمِع أعصابـه ليطلـب منهـا الخـروج في موعـد، هـل تقصـدني؟ أنـا الصغـيرة؟ يـا إلهـي، حقًّـا؟ اعـذرني بينـما سـأحرِّك رمـوشي في سُرعـة.

أخـذت نفسًـا عميقًـا وحاولـت تذكـير نفـسي أننـي كُنـت فتـاة جيـدة وأننـي لم أفعـل تلـك الأشـياء، لكننـي كُنـت أعلـم أنـه قـام بهـا، وأردت حقًّـا أن أخـرج معـه في موعـد، أرجـوك يـا هـاري؟

لأنـه أبعـد مـا يكـون ببسـاطةٍ عـن القيـام بأشـياء مُثـيرة للاهتـمام مـع صديـق جديـد، كُنـت بحاجـةٍ للعثـور عـلى هـذا القاتـل، كان عـليّ أن أراه، أن أتحـدَّث معـه، أن أثبِـت لنفـسي أنـه حقيقـي وأنـه..

وأنه ماذا؟

وأنه ليس أنا؟

وأنه ليس أنا من يفعل هذه الأمور الرهيبة المُثيرة للاهتمام؟

لمـاذا اعتقـدت ذلـك؟ هـذا أمـر يفـوق الغبـاء؛ كان هـذا أمـرًا لا يسـتحق عنـاء انتبـاه عقـلي الـذي كُنـت فخـورًا بـه يومًـا، باسـتثناء أن

الآن بعدما ظهرت تلك الفكرة، لم يعد بإمكاني الجلوس والتصرُّف بهدوء، ماذا لو كُنت أنا؟ ماذا لو فعلت هذه الأشياء بطريقةٍ ما دون أن أعرف ذلك؟ هذا مُستحيل بالطبع، مُستحيل تمامًا، لكن...

أستيقظ أمام الحوض، أغسل الدماء عن يديّ بعد «حلم»، الدماء التي ملأت يديّ بها بحرصٍ وبهجةٍ وأنا أفعل أشياء عادةً ما أحلم بفعلها، بطريقةٍ ما.. كُنت أعرف أشياء عن سلسلة جرائم القتل بأكملها، أشياء لا يُمكنني معرفتها إلا إذا...

لا شيء، تناول مُهدِّئًا يا ديكستر، ابدأ من جديد، تنفَّس أيها المخلوق السخيف، بهواءٍ جيدٍ، اطرد الهواء السيئ، لم يكُن هذا سوى عرض واحد من أعراض خلل عقليّ الموجود مؤخرًا، كُنت فقط أصاب بالشيخوخة المُبكِّرة من ضغوط حياتي النظيفة، من المؤكَّد أنني عشت لحظة أو اثنتين من لحظات الغباء البشري في الأسابيع القليلة الماضية، وإن يكُن؟ لا يُثبِت هذا بالضرورة أنني إنسان، أو أنني كُنت مُبدعًا أثناء نومي.

لا، بالطبع لا، هذا صحيح تمامًا؛ لا يعني شيئًا من هذا القبيل، لذلك.. ماذا يعني ذلك؟

كُنت قد افترضت أنني أصبت بالجنون فحسب، وأسقطت عدة حفنات من الرخام في سلة المهملات، أمر مُريح.. لكن إذا كُنت مُستعدًّا لافتراض ذلك، فلماذا لا أعترِف أنه من المُمكِن أنني ارتكبت سلسلة من المقالِب الصغيرة المُبهِجة دون أن أتذكَّرها، باستثناء أحلام مُتفرِّقة؟ هل كان قبول الجنون أسهل من قبول فقدان الوعي؟ في النهاية.. هو شكل أقوى من المشي أثناء النوم، «القتل أثناء النوم»، ربما كان شائعًا للغاية، لكن لماذا لا؟ لقد تخليت بالفعل عن مقعد السائق لعقلي الباطن على نحوٍ مُنتظِم عندما يتولى الراكِب المُظلِم القيادة، في الواقِع لم تكُن قفزة كبيرة

لقبول أن الشيء نفسه كان يحدُث هنا، الآن، وبشكلٍ مُختلفٍ قليلًا، كان الراكِب المُظلِم يستعير السيارة أثناء نومي.

وإلا فكيف تشرَح الأمر؟ أنني كُنت أسقط نجميًا بينما كُنت نائمًا وحدث أنني قد تداخلت اهتزازاتي مع هالة القاتِل بسبب علاقتنا في الحياة الماضية؟ بالتأكيد قد يكون ذلك منطقيًا، إذا حدث ذلك في جنوب كاليفورنيا، لكن في ميامي.. بدا الأمر ضعيفًا بعض الشيء، ولذلك.. إذا ما دخلت إلى نصف المبنى ذلك وحدث أن رأيت ثلاث جُثث مُرتَّبة بطريقةٍ لتبدو وكأنها تتحدَّث معي، فسيتحتَّم عليّ أن أفكِّر في إمكانية أنني من كتب الرسالة، ألم يكُن ذلك منطقيًا أكثر من الاعتقاد بأنني كُنت منخرطًا في حفلة من اللا وعي بطريقةٍ ما؟

كُنت قد وصلت للسلم الخارجي للمبنى، توقَّفت هناك للحظةٍ وأغلقت عينيّ، انحنيت للأمام نحو كتلة خرسانية عارية من الجدار، كانت أبرد قليلًا من الهواء، وأكثر خشونة، وضعت وجنتي عليها، في مكانٍ ما بين اللذّة والألم، بغض النظر عن مدى رغبتي في الصعود للطابق العلوي ورؤية ما يوجد هناك لأراه، كُنت أرغَب في عدم رؤيته على الإطلاق.

تحدَّث معي، همست بها للراكِب المُظلِم، أخبرني بما فعلت.

بالطبع لم تكُن هناك إجابة، بخلاف الضحكة الهادئة البعيدة المُعتادة، وهذا لم يجد نفعًا، شعرت بقليلٍ من المرض، دوار خفيف، وعدم يقين، لم يُعجِبني شعور أنني أشعر بشيء، تنفَّست ثلاثة أنفاس طويلة، اعتدلت في مكاني قبل أن أفتح عينيّ.

كان الرقيب دوكس يحدِّق في وجهي من على بُعد ثلاثة أقدام، من داخل بئر السلم مُباشرةً، يضع قدمًا فوق أول سلمة، كان وجهه عبارة عن قناع داكِن منحوت للعداء الفضولي، مثل كلب

مـن فصيلـة الـروت وايلـر يتـوق لتمزيـق ذراعـك لكنـه مُهتـم بشـكلٍ لا بـأس بـه في محاولـة معرفـة مذاقـك أولًا، كان هنـاك شيء مـا في تعبيراتـه لم أرهـا عـلى وجـه أي شـخص مـن قبـل، باسـتثناء في المـرآة، كان هنـاك فـراغ سـاحق ودائمًـا مـن النـوع الـذي تُشـاهده مـن خـلال تمثيـل الرسـوم الهزليـة للحيـاة البشريـة قبـل أن تقـرأ السـطر الأخـير.

سـألني وأسـنانه الجائعـة اللامعـة تظهـر: "إلى مـن تتحـدَّث؟ هـل هنـاك شـخص آخـر بالداخِـل معـك؟".

كلماتـه والطريقـة الواثِقـة التـي نطقهـا بهـا اخترقتنـي وحوَّلـت أحشـائي إلى هـلام، لمـاذا اختـار هـذه الكلـمات؟ ماذا يقصِـد بـ (بالداخِل معـك)؟ هـل مـن المُمكِـن أن يعـرف بشـأن الراكِـب المُظلِـم؟ مُسـتحيل! إلا إذا...

عَرِف دوكس بشأني، مثلما عَرِفت بشأن المُمرضة.

يخـرج الـشيء الموجـود بالداخِـل عـبر الفـراغ عندمـا يـرى واحـدًا مـن نوعـه، هـل يحمـل الرقيـب دوكـس راكبًـا مُظلِمًا بـدوره؟ كيـف يُعقَـل؟ رقيـب قاتِـل، مُفـترِس كديكسـتر؟ غـير معقـول، لكـن كيـف بإمكانِـك شرح ذلـك؟ لم أسـتطِع التفكـير في أي شيء ولفـترةٍ طويلـةٍ وقفـت هنـاك وأنـا أحـدِّق بـه، وبادلنـي هـو النظـر.

أخـيرًا.. هـزَّ رأسـه دون أن ينظـر بعيـدًا وهـو يقـول: "في يـوم مـن الأيـام، سـيكون لنـا لقـاء.. أنـا وأنـت".

قُلـت وأنـا أحـاول التظاهُـر بالابتهـاج عـلى قـدر مـا اسـتطعت: "يومئـذٍ سـأتحقَّق مـن الطقـس، في الوقـت الحـالي.. إذا سـمحت لي...".

وقـف عـلى السـلم وهـو يحـدِّق بي فحسـب، لكـن في النهايـة أومـأ برأسـه قليـلًا وهـو ينتحـي جانبًـا قائـلًا وأنـا أمـر بجـواره: "في يـومٍ مـن الأيـام».

هاجمت الصدمة الناتِجة عن هذا اللقاء الجانِب الجبان الموجود بداخلي على الفور، بالطبع لم أكُن أرتكب جرائم قتل دون وعي مني، بصرف النظر عن سخافة الفكرة، سيكون إهدارًا لا يُمكِن تصوّره إذا ما فعلت تلك الأشياء دون أن أتذكَّر، لا بد من أن هناك تفسيرًا آخر، شيئًا بسيطًا وهادئًا، بالتأكيد لم أكُن الشخص الوحيد القادِر على القيام بكُل هذا النوع من الإبداع، ففي النهاية، كُنت في ميامي، مُحاطًا بالعديد من المخلوقات الخطرة مثل الرقيب دوكس.

صعدت السلم سريعًا، شعرت بالأدرينالين يتدفَّق بداخلي، بالكاد أشعر بنفسي مرة أخرى، كانت هناك وثبات قوية في خطواتي الآن، وكان هذا جزئيًا فقط لأنني كُنت أهرب من الرقيب الصالح، لكن بالأساس.. كان لأنني أتوق لرؤية هذا الهجوم الأخير على الرفاهية العامة والفضول الطبيعي، ولا شيء أكثر من ذلك، لن أجد أيًّا من بصماتي الخاصة في أي مكان.

صعدت السلم إلى الطابِق الثاني، تم تثبيت بعض الأساسات في أماكنها، لكن مُعظَم الدور كان بدون جدران، عندما نزلت من على السلم إلى المنطقة الرئيسية للدور، رأيت أنجيل -لست قريبه- يجلس القرفصاء في مُنتصف الدور، دون أن يتحرّك، مُسندًا مرفقيه على ركبتيه، ويستنِد بوجهه إلى يديه، ويحدِّق فحسب، توقَّفت ونظرت إليه بذهول، كان هذا واحدًا من أكثر الأشياء الرائعة التي رأيتها على الإطلاق، حيث أصيب فني جرائم قتل في ميامي بالذهول مما وجده في مسرح جريمة.

وما وجده كان أكثر إثارة للاهتمام.

كان مشهدًا من الميلودراما المُقبِضة، مسرحية هزلية لمصاصي الدماء، تمامًا كان في الموقع الذي اصطحبت إليه جاورسكي، كانت

هنـاك كومـة مـن حوائـط الجبـس الجافـة المُتقلّصـة، دُفِعـت جانبًـا مُقابـل حائـط، وأصبحـت الآن مغمـورة بالضـوء المُنبعِـث مـن أضـواء موقـع البنـاء وعـدد قليـل آخـر وضعـه فريـق البحـث والتحقيـق.

فـوق حوائـط الجبـس الجافـة، المنصوبـة مثـل المذبـح، كانـت هنـاك طاولـة عمـل محمولـة سـوداء اللـون، تمركّـزت بدقـةٍ حيـث سـطع عليهـا الضـوء مُباشرةً، أو بالأحـرى.. أضـاء الضـوء تمامًـا الـشيء الموجـود فـوق طاولـة العمـل.

والـذي كان بالطبـع رأس امـرأة، تحمـل في فمهـا مـرآة رؤيـة خلفيـة خاصـة بسـيارةٍ مـا أو بشـاحنة، مـما أدى لتمـدُّد الوجـه المُندهِـش بشـكلٍ سـاخرٍ.

فوقـه وإلى اليسـار كان هنـاك رأس ثـانٍ، تـم وضـع جسـد دميـة بـاربي تحـت ذقنـه ليبـدو وكأنـه رأس عمـلاق فـوق جسـد صغـير.

وعـلى اليمـين كان الـرأس الثالـث، كان مُثبتًـا بدقـةٍ فـوق قطعـة مـن الجبـس، تـم تثبيـت الأذنـين بعنايـةٍ بمـا بـدا وكأنـه براغـي مـن الجبـس، لم تكُـن هنـاك فـوضى مـن الدمـاء حـول الأشـياء المعروضـة، كانـت الـرؤوس الثلاثـة خاليـة مـن الدمـاء.

مرآة، دمية باربي، وحوائط جبسية، ثلاث قتلى.

جافة تمامًا.

مرحبًا يا ديكستر.

لم يكُـن هنـاك أدنى شـك في الأمـر، جسـد البـاربي كان إشـارةً واضحـةً لتلـك الموجـودة في بـرادي، كانـت المـرآة الموجـودة في الـرأس الأيـسر تُشـير لطريـق الجسـر، بينـما المسـامير الجبسـية تشـير إلى جاورسـكي، إمـا

أن يكـون شـخصًا مـا يفهـم جيـدًا كُل مـا أفكِّـر فيـه ويتـصرَّف عـلى هـذا الأسـاس، أو أنـه في الواقِـع أنـا.

أخـذت نفسًـا طويـلًا وجافًـا، كُنـت مُتأكِّـدًا تمامًـا أن مشـاعري ليسـت مثـل مشـاعره، لكننـي أردت أن أجلـس القرفصـاء في منتصـف الغُرفـة بجـوار أنجيـل -لسـت قريبـه، أحتـاج لدقيقـة لأتذكَّـر كيـف أفكِّـر، وبـدت الأرض وكأنهـا المـكان الصحيـح للبـدء، بـدلًا مـن ذلـك.. وجـدت نفـسي أتحـرَّك ببـطء نحـو المذبـح، أتقـدَّم للأمـام وكأننـي أتحـرَّك عـلى قضبـان مزيَّتـة جيـدًا، لم أسـتطِع أن أجعـل نفـسي أتوقَّـف، أو أبطـئ، أو أفعـل أي شيء آخـر سـوى الاقـتراب أكـثر، كان بإمـكاني فقـط أن أنظـر، أتعجَّـب، وأركِّـز عـلى أنفـاسي التـي تدخُـل وتخـرُج بشـكلٍ صحيـحٍ، ومـن كُل مـكان مـن حـولي أدركـت ببـطءٍ أننـي لسـت الوحيـد الـذي لا يسـتطيع أن يُصـدِّق مـا يـراه.

خـلال عمـلي -ناهيـك عـن هوايتـي- كُنـت في مـسرح مئـات مـن جرائـم القتـل، كان العديـد منهـم بشِـعًا ووحشـيًّا للدرجـة التـي صدمتنـي أنـا شـخصيًا، وفي كل جريمـة منهـم.. كان فريـق قسـم شُرطـة ميامـي يؤسِّسـون أعمالهـم ويسـتمرون في أداء وظائفهـم بطريقـةٍ مُريحـةٍ ومهنيَّـةٍ، وفي كُل واحـدة منهـم.. كان هنـاك مـن يتجـرَّع القهـوة، أو مـن يُرسِـل شـخصًا مـا مـن أجل إحضـار الكعـك المُحـلى أو الباسـتيل[1]، كان هنـاك مـن يمـزَح أو مـن تثرثـر بينـما تنظِـف الدمـاء مـن المـكان، في كُل مـسرح جريمـة منهـم كُنـت قـد رأيـت مجموعـة مـن النـاس لا يبـدو عليهـم التأثُّـر بالمذبحـة عـلى الإطـلاق لدرجـة أنـك قـد تظـن أنهـم يلعبـون البولينـج في بطولـة محليـة.

حتى الآن.

---

[1] الباستيل: طبق تقليدي في العديد من بلدان أمريكا اللاتينية.

هـذه المـرة كانـت الغُرفـة الخرسـانية الكبـيرة الفارِغـة هادئـة تمامًـا، وَقَـف الضُّبّـاط والفنيـون. في مجموعـات صامتـة مكوَّنـة من شـخصين أو ثلاثـة، كـما لـو كان كُل منهـم يخـشى أن يقِـف وحيـدًا، ببسـاطة نظـرت إلى الأشـياء المعروضـة في الجانِـب الآخـر مـن الغُرفـة، إذا مـا صـدر أي صـوت خافـت عـن طريـق الخطـأ، يقفـز الجميـع ويحدّقـون في صانِـع الضوضـاء، كان المشـهد بأكملـه غريبًـا بشـكلٍ هـزلي للغايـة لدرجـة أننـي كُنـت سـأضحك بصـوتٍ عـالٍ لـولا أننـي كُنـت مشـغولًا بالتحديـق مثـل الحمقـى الآخريـن.

هل فعلت ذلك؟

كان جميـلًا.. بطريقـةٍ فظيعـةٍ بالطبع، لكـن رغـم ذلـك.. كان الترتيـب مثاليًـا، مُقنِعًـا، رائعًـا، وخاليًـا مـن الدمـاء، أظهَـر جـمالًا عظيـمًا وشـعورًا رائِعًـا بالتكويـن، واجـه شـخص مـا الكثـير

مـن المتاعِـب ليحـوِّل هــذا إلى عمــلٍ فنــي حقيقــي، شــخص ذو أسـلوب، موهبـة، وشـعور هـزلي مُرعِـب، لم أعـرِف طـوال حيـاتي سـوى شـخص واحـد عـلى هـذه الشـاكِلة.

هــل مــن المُمكِــن أن يكـون هــذا الشــخص هــو ديكســتر الغامِــض الحالِــم؟

الفصل العشرون

وقفت في أقرب مكان استطعت الوصول إليه من الطاولة دون أن ألمسها فعليًّا، أتطلّع إليها فحسب، لم يتم مسح الغُبار عن المذبَح من أجل البحث عن البصمات بعد، لم يتم فعل أي شيء له على الإطلاق، على الرغم من أنني أفترِض أنهم قد قاموا بالتقاط الصور بالفعل، ويا إلهي.. كم أرغَب في الحصول على نسخة من تلك الصور لأصطحِبها للمنزل، بحجم مُلصَق كبير، وبالألوان الطبيعية الخالية من الدماء، إذا ما كُنت قد فعلت ذلك.. فأنا فنان أفضَل كثيراً مما اعتقدت، حتى من هذا القُرب.. بَدَت الرؤوس وكأنها تطفو في الفضاء، مُعلَّقة فوق الأرض الهالِكة في مُحاكاة ساخرة خالية من الدماء للجنة، مقطوعة حرفيًّا من أجسادها..

أجسادها! تلفَّت حولي، لا وجود لها، لا كومات من الحزم المُكدَّسة بعنايةٍ، لم يكُن هناك سوى هرم من الرؤوس فقط.

حدَّقت لمزيدٍ من الوقت، بعد عدة دقائِق، شقّ فينس ماسوكا طريقه نحوي، فاغِر الفاه، وشاحِب الوجه، قال وهو يهز رأسه: "ديكستر".

قُلت وأنا أهز رأسي بدوري: "مرحبًا يا فينس، أين الجُثث؟".

حدَّق في الرؤوس لدقيقةٍ طويلةٍ، ثم نظر إليّ بوجهٍ مليءٍ بالبراءة المفقودة وهو يقول: "في مكانٍ آخر".

سمعنا صوت ضوضاء من على السلم، مما أدى لزوال أثر التعويذة، تحرَّكت بعيدًا عن الطاولة في نفس الوقت الذي حضرت

فيـه لاجويرتـا وبُصحبتهـا مجموعـة قليلـة مُنتقـاة مـن المُراسـلين، نيـك (لسـت مُتأكِّـدًا مـن باقـي اسـمه)، وريـك سـانجري مـن التليفزيـون المحـلي، وإريـك شـبيه الفايكنـج، كاتِـب عمـود غريـب ومُحـترَم في الصحيفـة، وللحظـةٍ.. بـدت الغُرفـة مشـغولة للغايـة، ألقـى نيـك وإريـك نظـرةً واحـدةً قبـل أن يهرعـا إلى السـلم نحـو الأسـفل وأيديهـما تغطـي فميهـما، بينـما عَبَـس ريـك سـانجري بشـدةٍ، نظـر إلى الأضـواء قبـل أن ينظـر إلى لاجويرتـا وهـو يقـول: "هـل يوجـد منفـذ للطاقـة؟ علـيّ أن أحـضر مصـوّري".

هزَّت لاجويرتا رأسها وهي تقول: "انتظر الرجال الآخرين".

أصرَّ ريك سانجري قائلًا: "أحتاج للصور".

ظَهَـر الرقيـب دوكـس مـن خلـف سـانجري، نظـر المُراسِـل حولـه ورآه، قـال دوكـس: "لا صـور".

فَتَـح سـانجري فمـه، نظـر لدوكـس للحظـةٍ، قبـل أن يُغلِـق فمـه ثانيـةً، ومـرة أخـرى.. أنقـذَت الصفـات المُمتـازة للرقيـب الصالِـح اليـوم كُلـه، عـاد للخلـف ووقـف وكأنـه يحمـي أجـزاء الجسـد المعروضـة، كـما لـو كان يحمـي مشروعـه العلمـي في معـرض للعلـوم.

صَـدَر صـوت سـعال متوتِّـر مـن جـوار البـاب، نيـك وإريـك شـبيه الفايكنـج عـادا ثانيـةً، صعـدا السـلم ببطـءٍ وعـادا للطابِـق ككبار السـن، لم ينظُـر إريـك إلى الجهـة الأخـرى مـن الغُرفـة، وحـاول نيـك ألا ينظـر كذلـك، لكـن رأسـه استـمرَّ في الـدوران نحـو المشـهد الرهيـب، قبـل أن يعـود لمواجهـة لاجويرتـا مـرةً أخـرى.

بـدأت لاجويرتـا تتحـدَّث، اقتربـت قليـلًا كي أتمكَّـن مـن اسـتراق السـمع، كانـت تقـول: "لقـد طلبـت مـن ثلاثتكـم الحضـور إلى هنـا

ورؤيـة هـذا الـشيء قبـل أن نسـمَح بـأي تغطيـة صحفيّـة رسـميّة".

قاطعها ريـك سـانجري قائـلًا: "لكـن هـل يُمكِننـا أن نغطيـه بشـكلٍ غـير رسـمي؟".

تجاهلتـه لاجويرتـا وهــي تقـول: "لا نُريـد أي تكهُّنـات جامِحـة في الصحافـة عـمّا حَـدَث هنـا، كـما تـرون.. هـذه جريمـة وحشـية وغريبـة».

صمتـت للحظـةٍ قبـل أن تقـول بحـرصٍ: "عـلى عكـس أي شيء قـد رأينـاه مـن قبـل".

كان بإمكانِك في الواقع سماع الحروف في كلماتها!

قال نيك وهو يبدو غارقًا في التفكير: "حسنًا".

بينـما قـال إريـك شـبيه الفايكنـج مـن فـوره: "انتظـري دقيقـة، هـل تقولـين لنـا أن هـذا قاتِـل جديـد تمامًـا؟ مجموعـة مُختلِفـة مـن جرائـم القتـل؟".

نظـرت لاجويرتـا نحـوه بإيجابيـةٍ كبـيرةٍ وهـي تقـول بثقـةٍ واضحـةٍ: "مـن المُبكّـر قـول أيِ شيء بالطبـع، لكـن دعونـا نُلقـي بنظـرةٍ منطقيـةٍ عـلى هـذا الـشيء، حسـنًا؟".

رفعـت إصبعًـا وهــي تقـول: "قبضنـا عـلى رجـل اعـترَف بارتـكاب الجرائـم الأخـرى، وهـو الآن في السـجن، ولم نسـمَح لـه بالخـروج ليرتكِـب هـذه الأشـياء، ثانيًـا.. لا يبـدو هـذا مثـل أي شيء سَـبَق ورأينـاه، أليـس كذلـك؟ لأن هنـاك ثلاثـة، ومكدّسـون جميعًـا بشـكلٍ جيـدٍ، حسـنًا؟".

ليُبارِكهـا الـرب، لقـد لاحظـت ذلـك، سـألها ريـك سـانجري: "لمـاذا لا يُمكِننـي إحضـار مصـوّري؟ ألم يتـم العثـور عـلى مـرآة في واحـدة مـن جرائـم القتـل الأخـرى؟".

قـال إريـك شـبيه الفايكنـج بضعـفٍ وهـو يحـاول جاهـدًا ألا ينظُـر: «ألم تجـدوا مـرآة في مـسرح الجريمـة الآخـر؟»

بينما قال نيك: "هل تعرفتم على الـ..".

بدأ رأسه يدور نحو المعروض قبل أن يتمكَّن من منع نفسه، عاد مرة أخرى إلى لاجويرتا وهو يستكمِل سؤاله: "هل الضحايا عاهرات أيتها المُحقِّقة؟".

قالت لاجويرتا وقد بدت مُنزعِجة قليلًا، وظهرت لكنة كوبية خفيفة في صوتها للحظةٍ: "اسمع، اسمحوا لي أن أوضِّح شيئًا، أنا لا أهتَم إذا ما كُن عاهرات، أنا لا أهتم إذا ما وُجِدَت مرآة، أنا لا أهتم بأي من ذلك».

تنفَّست بعُمق وهي تهدأ قليلًا قبل أن تُضيف: "لقد أمسكنا بالقاتِل الآخر وهو الآن في السجن، وحصلنا على اعتراف، هذا شيء جديد تمامًا، حسنًا؟ هذا أمر مهم، بإمكانكم رؤية أن هذا أمر مُختلِف».

سألها إريك شبيه الفايكنج، بشكلٍ منطقي كما أظن: "إذًا لماذا تم تكليفكِ بالأمر؟".

كَشَفَت لاجويرتا عن أنيابها قائلةً: "لأنني قُمت بحل الأمر الآخر".

سألها ريك سانجري: "هل أنتِ مُتأكِّدة أن هذا قاتِل جديد تمامًا أيتها المُحقِّقة؟".

"لا شك في ذلك، لا أستطيع الكشف عن أي تفاصيل، لكن لديّ فني مُختبَر لدعمي".

كُنت مُتأكِّدًا أنها تقصدني، شعرت بقليلٍ من الفخر.

قال إريك شبيه الفايكنج: "لكن هذا قريب منه نوعًا ما، أليس كذلِك؟ نفس المنطِقة، نفس الأسلوب العام...».

قاطعته لاجويرتا قائلة: "مُختلِف تمامًا، مُختلِف تمامًا".

قال نيك: "إذًا أنتِ مُقتنِعة تمامًا أن ماكهيل ارتكب كُل جرائم القتل الأخرى، وأن هذه الجريمة مُختلِفة؟».

قالت لاجويرتا: "مائة بالمائة، كما أنني لم أقُل أن ماكهيل ارتكب الجرائم الأخرى".

لوهلةٍ.. نسى المُراسلون رعب عدم الحصول على صور، قبل أن يقول نيك في النهاية: "ماذا؟".

احمرّت لاجويرتا خجلًا، لكنها أصرّت على ما قالت: "لم أقُل أبدًا أن ماكهيل ارتكب الجرائم الأخرى، ماكهيل هو من قال ذلك، حسنًا؟ إذًا ماذا كان من المُفترَض بي أن أفعل؟ أقُل له: ارحَل، أنا لا أصدِقك؟".

تبادل إريك شبيه الفايكنج ونيك (لست مُتأكّدًا من باقي اسمه) نظرةً ذات مغزى، وكُنت لأفعل كذلك بدوري، لو أنني أمتلِك شخصًا ما لأنظر إليه، لذا بدلًا من ذلك ألقيت نظرةً خاطفةً على الرأس الموجود في مُنتصف المذبح، لم يغمز في وجهي في الواقِع، لكنني مُتأكّد أنه كان مُندهشًا مثلي تمامًا.

تمتم إريك: "هذا جنون".

لكن ريك سانجري قاطعه قائلًا: "هل تسمحين لنا بإجراء مُقابلة صحفية مع ماكهيل؟ بوجود كاميرا؟".

أنقذنا وصول النقيب ماثيوس من إجابة لاجويرتا، سمعنا صوت صعوده على السلم، وقف في مكانه عندما رأى معرضنا الفني الصغير، قال: "يا إلهي".

ثم حرّك ناظريه نحو مجموعة المُراسلين المحتشدين حول

لاجويرتـا وهـو يسـأل: "مـاذا تفعلـون بالأعـلى هنـا بحـق الجحيـم؟".

نظـرت لاجويرتـا مـن حولهـا في أرجـاء الغُرفـة، لكـن لم يتطـوَّع أحـد للقيـام بـأي شيء، في النهايـة قالـت: "سـمحت لهـم بالصعـود، بشـكلٍ غـير رسـمي، ودون أي تغطيـة صحفيـة".

صَرَخ ريـك سـانجري قائـلًا: "أنـتِ لم تقـولي دون أي تغطيـة صحفيـة، قُلـتِ فقـط أنـه بشـكلٍ غـير رسـمي".

حدقـت لاجويرتـا في وجهـه وهـي تقـول: "بشـكلٍ غـير رسـمي تعنـي دون تغطيـة صحفيـة".

صرخ ماثيوس: "اخرجوا، بشكلٍ رسمي وبوضوحٍ تامٍ، اخرجوا".

تنحنـح إريـك شـبيه الفايكنـج قائـلًا: "سـيادة النقيـب، هـل تتفِـق مـع المُحقِّقـة لاجويرتـا في أن هـذه سلسـلة جديـدة تمامًـا مـن جرائـم القتـل، بقاتـلٍ مُختلِفٍ؟".

كرَّر ماثيوس قوله: "إلى الخارِج، سأجيب الأسئلة بالأسفل".

قـال ريـك سـانجري: "أحتـاج للصـور، سيسـتغرق الأمـر دقيقـة واحـدة".

أومأ ماثيوس نحو المخرَج وهو يقول: "أيها الرقيب دوكس؟".

تحـرَّك دوكـس وهـو يُمسِـك بمرفَـق ريـك سـانجري وهـو يقـول بصوتٍ خافـتٍ ومُرعـبٍ: "أيهـا السـادة المُحترمون».

نظـر إليـه المُراسـلون الثلاثـة، رأيـت نيـك وهـو يبلـع ريقـه بصعوبـةٍ، اسـتدار الثلاثـة دون صـوت، واندفعـوا خارِجًـا.

راقبهـم ماثيـوس بمضـون، وعندمـا أصبحـوا بأمـانٍ بعيـدًا عـن مرمـى السـمع، التفـت إلى لاجويرتـا قائـلًا: "أيهـا المُحقِّقـة".

قالها بصوتٍ أجش للغاية، لا بُد وأنه تعلَّمه من دوكس، أضاف: "إذا ما قُمتِ بهذا النوع من الهراء مرة أخرى، فستكونين محظوظة لو وجدتِ وظيفة حارسة أمن في موقف سيارات وول مارت".

تحوَّلت لاجويرتا للون الأخضر الشاحِب ثم للأحمر الساطِع وهي تقول: "أيها النقيب، لقد أردت فقط أن...".

لكن ماثيوس كان قد ابتعد بالفعل، عدَّل من وضع رابطة عنقه، مشَّط شعره بيدٍ واحدةٍ، وهبط السلم خلف المُراسلين.

استدرت لأنظر للمذبح مرة أخرى، لم يتغيَّر، لكنهم كانوا يمسحون الغبار بحثًا عن البصمات الآن، ثم سيقومون بتفكيكه من أجل تحليل القطع، وسُرعان ما سيكون كُل شيء مُجرَّد ذكرى سعيدة.

انزلقت على السلم لأجد ديبرا.

في الخارج.. كان لدى ريك سانجري كاميرا تدور، وقف النقيب ماثيوس وسط الأضواء والميكروفونات مصوَّبة نحو ذقنه، مُدليًا ببيانه الرسمي: "دائِمًا ما يتَّبِع هذا القسم سياسة ترك استقلالية التحقيق في القضايا، إلى أن يحين الوقت الذي تتضح فيه سلسلة من الأخطاء الجسيمة في الحُكم لتُثير تساؤلات حول كفاءة المسؤول، لم يحن هذا الوقت بعد، لكنني أراقب الوضع عن كثب، مع وجود الكثير على المحك للمُجتمع...".

لمحت ديبرا تتحرك خلفهم، وقفت بجوار حاجز الشريط الأصفر، ترتدي زيًا رسميًا أزرق اللون، قُلت: "زي جميل".

قالت: "أحببته، هل رأيت ما حدث؟".

قُلت: "رأيت، ورأيت أيضًا النقيب ماثيوس يُناقِش القضية مع المُحقِّقة لاجويرتا".

كتمت ديبرا أنفاسها قائلة: "ماذا قالا؟".

ربـت عـلى ذراعهـا قائـلًا: "أعتقِـد أننـي سـمعت أبي ذات مـرة يسـتخدم مُصطلحًـا بليغًـا مـن شـأنه أن يصِـف الأمـر، كان «يحفـر لهـا ثُقـب مؤخـرة جديـدًا»، هـل تعلمـين هـذا المُصطلَـح؟".

بـدت مُندهشـة، قبـل أن تتهلّـل أساريرها وهـي تقـول: "هـذا رائِـع، الآن أحتـاج مُسـاعدتك حقًّـا يـا ديكـس".

"وهو ما لم أكُن أفعله بالطبع!".

"لا أعرف ما الذي كُنت تعتقِد أنك تفعله، لكنه لم يكُن كافيًا".

"هـذا غـير عـادل تمامًـا يـا ديـب، وكذلـك قـاسٍ للغايـة، فبعـد كُل شيء.. أنـتِ في الواقِـع في مـسرح جريمـة، وترتديـن حلتـك الرسـمية أيضًـا. أم تـراكِ تفضلـين زي الجنـس؟".

قالـت في سُرعـة: "هـذا ليـس بيـت القصيـد، كُنـت تخفـي عنـي شـيئًا طـوال الوقـت، والآن أنـا أحتـاج إليـه".

للحظـةٍ لم يكُـن لـديّ مـا أقولـه، شـعور غـير مُريـح عـلى الإطـلاق، لم يكُـن لـديّ أي فكـرة أنهـا كانـت مُدركـة للأمـر بهـذه الطريقـة، قُلـت: "لمـاذا يـا ديـبرا...".

"اسـمع، أنـت تعتقِـد أننـي لا أعـرف كيـف تُـدار الأمـور السياسـية، وربمـا أنـا لسـت ذكيـة في هـذه الأمـور مثلـك، لكننـي أعـرف أن الجميـع سـيكونون مشـغولين بحمايـة أنفسـهم لقليـلٍ مـن الوقـت، وهـذا يعنـي عـدم وجـود أي شـخص يقـوم بعمـل شُرطـة حقيقـي".

"مـما يعنـي أن لديـكِ الفرصـة لتقومـي ببعـض العمـل بنفسـكِ؟ برافـو يـا ديبـس".

مـدّت يدهـا وضغطـت عـلى يـدي قائلـةً: "وهـذا يعنـي أيضًـا أننـي

أحتاج لمُساعدتك كما لم أحتج لها من قبل، أرجوك يا ديكسي؟".

لا أعلم ما الذي صدمني أكثر؛ بصيرتها، ضغطة يدها، او استخدامها للقب (ديكسي)، الذي لم أسمعها تقوله منذ كان عُمري عشر سنوات، سواء قصدت ذلك أم لا، فعندما نادتني بديكسي، أعادتني إلى عالم هاري، المكان الذي تهتم فيه بالأسرة وتكون فيه الالتزامات حقيقية مثل العاهرات مقطوعات الرأس، ماذا بإمكاني القول؟

قُلت: "بالطبع يا ديبورا".

كان ديكسي بالفعل يكاد يمتلك ما يكفي ليشعر بالعاطفة.

قالت وهي تعود للعمل مرة أخرى: "جيد".

كان تغييرًا سريعًا ورائعًا وكان لا بُد لي أن أعجَب به، قالت: "ما هو الشيء الوحيد الذي يظهر جليًا في الوقت الحالي؟".

سألتني وهي تومئ برأسها نحو الطابِق الثاني، قُلت: "بقية الجُثث، على حد علمك.. هل هناك من يبحث عنها؟".

رمقتني ديبرا بواحدة من نظراتها الشُرطية الجديدة، النظرة الحادة، قبل أن تقول: "على حد علمي.. هناك عدد أكبر من الموظَفين مكلَفون بإبقاء كاميرات التليفزيون بعيدًا بدلًا من القيام بأي عمل حقيقي على هذا الشيء".

قُلت: "جيد، إذا ما تمكَّنا من إيجاد أي أجزاء من الجُثث، فربما نقفز قفزة صغيرة للأمام".

"حسنًا، أين نبحث؟".

كان سؤالًا جيدًا، وهو ما وضعني بطبيعة الحال في وضعٍ غير جيد، ليس لديّ أي فكرة أين سنبحث، هل ستُترك الأطراف في

غُرفـة القتـل؟ لا أظـن ذلـك.. بـدا الأمـر فوضويًـا بالنسـبة لي، وإذا مـا أردت اسـتخدام تلـك الغُرفـة مـرة أخـرى، سـيكون ذلـك مُسـتحيلًا في ظـل حالـة الفـوضى البشـعة الموجـودة مـن حـولي.

حسنًا، سأفترض أن بقية الجُثة موجودة في مكانٍ آخر، لكن أين؟

أو ربمـا.. بـدأ الأمـر يتضِـح لي شيـئًا فشـيئًا، يجـب أن يكـون السـؤال الحقيقـي: لمـاذا؟ كان عـرض الـرؤوس موجـودًا لسـببٍ، لكـن مـا سـبب وضـع بقيـة أجـزاء الجسـد في مـكانٍ آخـر؟ تمويـه سـاذِج؟ لا.. هـذا الرجـل لا يفعـل أي شيء سـاذِج، ومـن الواضِـح أن التمويـه كان فضيلـة لا يقدِّرهـا كثيرًا، خصوصًـا في الوقـت الحـالي، عندمـا كان يتباهـى قليـلًا، في هـذه الحالـة.. أيـن سـيترك كومـة مـن البقايـا؟

قالت ديبرا: "حسنًا؟ ماذا سنفعل؟ أين من المُفترض أن نبحَث؟".

هـززت رأسي قائـلًا ببـطءٍ: "لا أعـرِف، أينـما تـرك هـذه الأشـياء، فهـذا جـزء مـن بيانـه، ولسـنا مُتأكّديـن حقًّـا مـن بيانـه بعـد، أليـس كذلِـك؟".

"اللعنة يا ديكستر...".

"أعـرف أنـه يريـد اسـتفزازنا بالأمـر، يحتـاج أن يقـول إننـا فعلنـا شـيئًا غبيًّـا بشـكلٍ لا يُصـدَّق، حتـى لـو لم نفعـل ذلـك.. فهـو لا يـزال أذكى منـا".

قالـت وهـي تضـع وجـه السـمكة مـرة أخـرى: "هـو مُحـق حتـى الآن".

قُلـت: "بالتـالي.. فأينـما ألقـى بهـذه الأشـياء، فهـذا اسـتكمال لبيانـه، أننـا أغبيـاء.. لا، أنـا مُخطِئـة، أننـا قُمنـا بـشيءٍ غبـي".

"أجل، هذا فارِق مُهِم للغاية".

"أرجـوكِ يـا ديـب، سـتؤذين وجهـكِ بهـذه الطريقـة، إنـه أمـر مُهِـم،

لأنـه سـيعلِّق عـلى الفعـل، وليـس عـلى مـن قـام بفعلـه".

"هـذا جيـد حقًّـا يـا ديكـس، لـذا يجـب أن نتوجَّـه عـلى الأرجَـح إلى أقـرب مطعـم عشـاء، ونبحـث عـن فاعـل تلـوَّث الدمـاء يديـه، أليـس كذلِـك؟".

هـزرت رأسي قائـلًا: "لا دمـاء يـا ديـب، عـلى الإطـلاق، هـذه واحـدة مـن الأمـور المُهِمَـة".

"كيف يُمكِنك أن تكون مُتأكِّدًا لهذه الدرجة؟".

"لأنـه لم يكُـن هنـاك دمـاء في أي مـسرح جريمـة، هـذا مُتعمَّـد، وهـو أمـر حيـوي لمـا يفعـل، وهـذه المـرة.. سـيكرِّر كُل الأجـزاء المهمـة، لكنـه سـيُعلِّق عـلى مـا فعلـه بالفعـل، لأننـا لم نـر الأمـر، ألا تريـن هـذا؟".

"بالتأكيـد، فهِمـت، هـذا منطقـي تمامًـا، إذا لمـاذا لا نذهَـب لفحـص حلبـة التزلُّـج؟ لربمـا وضـع الجُثـث المُكدَّسـة في الشـبكة مـرة أخـرى؟".

فتحـت فمـي لأفحمهـا بـردٍ ذكي رائـع، حلبـة الهـوكي كانـت خاطِئـة تمامًـا، خاطِئـة بشـكلٍ كامـلٍ وواضـحٍ، كانـت تجربـة، شـيئًا مُختلفًـا، لكننـي عَرِفـت أنـه لـن يُكرِّرهـا، بـدأت بـشرح الأمـر لديـب، أن السـبب الوحيـد الـذي لـن يجعلـه يُكـرِّر حلبـة التزلُّـج سـيكون...

تجمَّدت في مكاني شاغر الفاه.

بالطبع، فكرت، هذا طبيعي.

"والآن من الذي يُشبِه وجه السمكة؟ ما الأمر يا ديكس؟".

للحظـةٍ لم يكُـن لـديّ أي شيء لأقولـه، كُنـت مشـغولًا للغايـة بمحاولـة اللحـاق بأفـكاري الملتويـة، السـبب الوحيـد الـذي سـيجعله يُكـرِّر أمـر حلبـة التزلُّـج سـيكون مـن أجـل أن يُرينـا أننـا قبضنـا عـلى الرجـل الخاطـئ.

في النهايـة قُلـت: "بالطبـع يـا ديـب، أنـتِ مُحقَّـة، الحلبـة، أنـتِ مُحقَّـة لكـن للأسـباب الخاطِئـة، لكـن رغـم ذلـك...".

قالت وهي تتوجَّه نحو سيارتها: "سئمت كوني مُخطِئة".

الفصل الحادي والعشرون

قُلـت: "هـل تفهمـين أنـه احتـمال ضعيـف؟ ربمـا لا نجِـد أي شيء عـلى الإطلاق".

قالت ديب: "أعلم ذلك".

"وفي الواقِـع.. ليـس لدينـا أي سُـلطة قضائيـة هنـا، نحـن في بـروارد، ورجـال بـروارد لا يحبوننـا، لـذا...".

انفجَـرَت قائلـةً: "بحـق المسـيح يـا ديكسـتر، أنـت تتحـدَّث مثـل تلميـذة صغـيرة".

ربمـا كان هـذا صحيحًـا، رغـم أنـه كان مـن غـير اللائِـق منهـا أن تقـول ذلـك، وديـبرا.. عـلى صعيـد آخـر، بـدت وكأنهـا حزمـة مـن الأعصـاب الصلبـة الملفوفـة بإحـكامٍ، عندمـا عبرنـا طريـق سـوجراس السريـع، وبدأنـا في القيـادة نحـو موقـف السـيارات في مركـز المسـتودعات كانـت تعـض عـلى أسـنانها بقـوةٍ أكـبر، كان بإمـكاني سـماع صريـر فكِّهـا، قُلـت لنفسـي: "هاريـيـت القـذرة".

ويبدو أن ديب كانت تسترِق السمع لأنها قالت: "دعك عني".

نظـرت عـبر مظهـر ديـبرا الجرانيتـي إلى الحلبـة، وللحظـةٍ وجيـزةٍ، عندمـا سَـطَع عليهـا ضـوء الصبـاح الباكِـر بشـكلٍ صحيـحٍ، بـدت مثـل مبنـى مُحـاط بعـددٍ مـن الصحـون الطائـرة العابِـرة، بالطبـع لم تكُـن سـوى مصابيـح الإضـاءة الخارجيـة التـي انتشرَت حـول الحلبـة مثـل فطـر حديـدي هائـل الحجـم، لا بُـد أن شـخصًا مـا أخـبَر المُهنـدس المعـماري أنهـا مميَّـزة، مليئـة بالقـوة والشـباب كذلـك عـلى الأرجَـح،

وأنـا مِتأكِّـد أنهـا كذلـك، تمنيّـت حصولهـا عـلى الإضـاءة المُناسِـبة في وقـتٍ قريـبٍ.

قُدنـا السـيارة مـرة واحـدة حـول الحلبـة، باحثـين عـن أثـر لأي حيـاة، وفي الـدورة الثانيـة، توقّفـت سـيارة تويوتـا مُحطَّمـة بجـوار أحـد الأبـواب، تـم إغـلاق بـاب راكبهـا الأمامـي بلفـة مـن الحبـل خرجـت مـن النافـذة لتـدور حـول عمـود البـاب، فُتِـح بـاب السـائِق بمُجـرّد وقوفهـا، كانـت ديـبرا قـد خرجـت مـن سـيارتها بالفعـل قبـل أن تتوقّـف.

قالـت للرجـل الـذي كان يخـرُج مـن التويوتـا: "مـن فضلـك يـا سـيدي؟".

كان خمسـينيًا، رجـلًا عاديًـا يرتـدي سروالًا أخـضر رثًـا وسُـترة نايلـون زرقـاء، نظـر إلى ديـب التـي ترتـدي زيهـا الرسـمي وشـعر بالتوتُّـر عـلى الفـور.

قال: "ماذا؟ أنا لم أفعل أي شيء".

"هل تعمل هنا يا سيدي؟".

"أكيد، بالطبع، لماذا تظنين أنني هنا في الثامنة صباحًا؟".

"ما اسمك يا سيدي من فضلك؟".

أخـرج محفظتـه وهـو يقـول: "إسـتيبان رودريجيـز، معـي بطاقـة هويـة".

لوَّحـت لـه ديـبرا ليُبعدهـا وهـي تقـول: "هـذا ليـس ضروريًـا، مـاذا تفعـل هنـا في مثـل هـذه السـاعة يـا سـيدي؟".

هـزَّ كتفيـه وهـو يُعيـد محفظتـه إلى جيبـه مـرة أخـرى قائـلًا: "كُنـت سـأكون هنـا في وقـتٍ مُبكـرٍ مُعظـم الأيـام، لكـن الفريـق عـلى سـفر؛ فانكوفـر، أوتـاوا، ولـوس أنجلـوس، لـذا حـضرت إلى هنـا متأخّـرًا قليـلًا".

"هل يوجد أي شخص آخر هنا الآن يا إستيبان؟".

"أنا فقط في الوقت الحالي، ينام الجميع في وقتٍ مُتأخرٍ".

"ماذا عن الليل؟ هل يوجد حارس؟".

أشار بذراعه وهو يقول: "يتجوَّل الأمن في ساحة موقف السيارات طوال الليل، لكن ليس كثيرًا، أكون أول من يحضر إلى هنا في أغلب الأيام".

"هل تقصد أول من يدلف للداخل؟".

"أجل هذا صحيح، ماذا قُلت؟".

خرجت من السيارة، انحنيت فوق سطحها وأنا أسأله: "هل أنت ذلك الرجل الذي يقود الزامبوني من أجل التزلُّج الصباحي؟".

نظرت ديب نحوي وهي تشعُر بالضيق، تطلَّع إستيبان فيَّ، نظر إلى قميصي الهاواي الأنيق وسروالي الجبردين قبل أن يسألني: "أي نوع من الضُّباط تكون؟".

قُلت: "شُرطي مُعقَّد، أعمل في المُختبر فحسب".

قال وهو يومئ برأسه كما لو كان ذلك منطقيًا: "أجل، بالطبع".

كرَّرت سؤالي: "هل تقود الزامبوني يا إستيبان؟".

"أجل، كما تعلم.. لا يتركونني أقودها في المُباريات، كما تعلم.. يتركون هذا للرجال الذين يرتدون بدلات، أحيانًا يحبون وضع طفل، كما تعلم.. أو ربما أحد المشاهير، ليقودها في الأرجاء ملوِّحًا، هذا الهراء، لكنني من يجب عليه القيام بذلك من أجل التزلُّج الصباحي، كما تعلم.. عندما يكون الفريق في المدينة، أقود الزامبوني في الصباح، في وقتٍ مُبكِّرٍ للغاية، لكنهم على سفر في الوقت الحالي لذا آتي متأخِّرًا".

قالـت ديـب وقـد بـدا عليهـا نفـاد الصـبر بسـبب حديثـي خـارِج السـياق: "نريـد أن نُلقـي نظـرة بداخِـل الحلبـة".

نظـر إليهـا إسـتيبان، التمـع وميـض ماكـر في نصـف عـين وهـو يقـول: "بالطبـع، هـل لديـك مذكِّـرة؟".

احمـرَّت ديـبرا خجـلًا، صنـع ذلـك تباينًـا رائعًـا مـع زرقـة حلتهـا الرسـمية، لكنـه ربمـا لم يكُـن هـذا الخيـار الأكـثر فاعليـة لتعزيز سُـلطتها، ولأننـي أعرفهـا جيـدًا، علمـت أنهـا سـتدرك أنهـا احمـرَّت خجـلًا وهـذا سـيقودها للغضـب، وبمـا أننـا لا نملـك مذكـرة، وفي الحقيقـة لم يكُـن لدينـا أي عمـل هنـا مـن أي نـوع يُمكِـن اعتبـاره رسـميًا، فلـم أكُـن أعتقِـد أن الغضـب هـو مناوراتنـا التكتيكيـة.

وقبل أن تقول ديب أي شيء تندم عليه قُلت: "إستيبان".

"أجل؟".

"منذ متى تعمل هنا؟".

هـزَّ كتفيـه قائـلًا: "منـذ افتتـاح المـكان، وعملـت في الحلبـة القديمـة لمُـدة عامـين قبـل ذلـك".

"إذًا كُنـت تعمـل هنـا في الأسـبوع المـاضي عندمـا وجـدوا الجُثـة عـلى الجليد؟".

نظـر إسـتيبان بعيـدًا، ومـن تحـت سـمرته، تحـوَّل وجهـه للـون الأخـضر، ابتلـع ريقـه بصعوبـةٍ قائـلًا: "لا أريـد أن أرى أي شيء كهـذا مـرة أخـرى يـا رجـل، أبـدًا".

أومـأت بـرأسي بتعاطـف حقيقـي وأنـا أقـول: "لا ألومـك عـلى ذلـك حقًـا، وهـذا هـو سـبب وجودنـا هنـا يـا إسـتيبان".

عبس قائلًا: "ماذا تقصد؟".



نظرت إلى ديب لأتأكد أنها لم تخرج سلاحها أو أي شيء من هذا القبيل، حدّقت في وجهي باستنكارٍ شديد وشفاه مذمومة وهي تصدم قدمها في الأرض، لكنها لم تقُل شيئًا.

قُلت وأنا أقترب من الرجل قليلًا، محاولًا أن يبدو صوتي أكثر احترافية ورجولة قدر استطاعتي: "نظُن أن هناك فرصة في أنه عندما ستفتح تلك الأبواب هذا الصباح، فربما قد تجد نفس الشيء في انتظارك".

انفجر قائلًا: "اللعنة! لا أريد التعامل مع هذا".

"بالطبع لا تُريد".

"تبًا لهذا القرف".

وافقته قائلًا: "بالضبط، إذًا لماذا لا تسمَح لنا أن نلقي نظرة خاطِفة في البداية؟ لنتأكَّد فقط».

نظر في وجهي فاغِر الفاه للحظةٍ، ثم نظر إلى ديبرا، التي كانت لا تزال عابسة، نظرة ذات مغزى، قبل أن ينظُر بهدوء إلى زيها الرسمي.

ثم قال: "من المُمكِن أن أقع في مُشكلة، أو أفقِد وظيفتي".

ابتسمت بتعاطفٍ كبيرٍ وأنا أقول: "أو من المُمكِن أن تدلف للداخِل لتجد كومة من الأذرع والسيقان المقطوعة في انتظارك، هناك الكثير منها هذه المرة".

قال مرة أخرى: "اللعنة، لو وقعت في مُشكلة.. سأفقد وظيفتي، حسنًا؟ لماذا يجب عليّ أن أفعل ذلك؟".

"ماذا عن واجِبك المدني؟".

قال: "بحقك يا رجل، لا تعبث معي، ما الذي يهمك إذا ما

فقـدت وظيفتـي؟".

لم يمُـد يـده في الواقِـع، التـي كُنـت أعتقِـد أنهـا أنيقـة للغايـة، لكـن كان مـن الواضِـح أنـه كان يأمـل في هديـة صغـيرة تحميـه مـن الخطـر المُحتمَـل لفُقـدان وظيفتـه، كان هـذا معقـولًا جـدًّا، باعتبـار أن هـذه هـي ميامـي، لكـن كُل مـا كان لـديّ كان خمسـة دولارات فقـط، وكُنـت أحتاجهـا بشـدة مـن أجـل فطـيرة مقليـة وكـوب مـن القهـوة، لذلـك أومـأت لـه بـرأسي بفهـمٍ رجـولي.

قُلـت: "أنـت مُحِـق، كُنـا نأمَـل ألا تضطـر لرؤيـة أجـزاء الجسـد، هـل قُلـت إن هنـاك الكثـير منهـا هـذه المـرة؟ لكننـي بالتأكيـد لا أريـدك أن تفقِـد وظيفتـك، آسـف لإزعاجـك يـا إسـتيبان، طـاب يومـك!".

ابتسـمت لديـبرا وأنـا أقـول: "لنذهـب أيتهـا الشُّرطيـة، لنعـود لمسـرح الجريمـة الآخـر ونبحـث عـن الأصابِـع".

كانـت ديـبرا لا تـزال عابسـة، لكنهـا عـلى الأقـل كانـت تمتلـك قـدرًا مـن الـذكاء لتجارينـي، فتحـت بـاب سـيارتها بينـما لوَّحـت لإسـتيبان وأنـا أركـب.

قال إستيبان: "انتظرا!".

نظـرت إليـه وعـلى وجهـي تعبـير عـن الاهتـمام المُهـذَّب، قال: "أقسِـم باللـه أننـي لا أريـد أن أجـد هـذا القـرف مـرة أخـرى أبـدًا".

نظـر لي للحظـةٍ، ربمـا عـلى أمـل أن أسـترخي وأعطيـه حفنـة مـن العُمـلات الذهبيـة، لكـن كـما قُلـت.. كانـت هـذه الفطـيرة المقليـة تُثقِـل كاهـلي ولا أنـوي التخـلي عنهـا، لعـق إسـتيبان شـفتيه، ثـم اسـتدار سريعًـا وهـو يضـع مُفتاحًـا في قفـل البـاب المـزدوج قائـلًا: "تفضـلا، سـأنتظِر هنـا".

قُلت: "إذا كُنت مُتأكِّدًا من...".

"بحقك يا رجل، ماذا تريد مني؟ تفضَّل!".

وقفت وابتسمت لديبرا وأنا أقول: "إنه مُتأكِّد".

هـزَّت رأسـها، مزيـج غريـب بـين سـخط الأخـت الصغـيرة وروح الدعابـة القاسية للشُّرطـة، مشـت حـول السـيارة وشـقَّت طريقهـا عـبر البـاب، تبعتهـا.

بالداخِـل.. كانـت الحلبـة بـاردة ومُظلِمـة، وهـو مـا لم ينبـغ أن يُفاجئنـي، في النهايـة.. فهـذه حلبـة تزلُّـج في الصبـاح الباكِـر، لا شـك أن إسـتيبان كان يعـرف مـكان مُفتـاح الضـوء، لكنهـم لم يتكبَّـد عنـاء إخبارنـا، قامـت ديـب بتحريـر الكشَّـاف الكبـير مـن حزامهـا، وحرَّكـت شـعاعه حـول الجليـد، حبسـت أنفـاسي بينـما مرَّ الشـعاع عـلى شـبكة مرمـى، قبـل أن ينتقِـل للأخـرى، عـادت للخلـف مـرة أخـرى ببـطءٍ، توقَّفـت مـرة أو اثنتـين، قبـل أن تعـود لي.

قالت: "لا شيء، هذا هراء".

"تبدين مُحبطة".

نخـرت في وجهـي وهـي تتوجَّـه للخارِج، وقفـت في مُنتصـف الحلبـة، أشـعر بالـبرودة تشـع مـن الجليـد، غارقًـا في أفـكاري السـعيدة، أو بتعبيرٍ أدق.. لم أغـرق في أفـكاري السـعيدة تمامًـا.

لأنـه عندمـا خرجـت ديـب مـن المـكان، سـمعت صوتًـا خافتًـا مـن مـكان مـا مـن خلفـي، ضحكـة مكتومـة.. بـاردة وجافـة، بـدت مألوفـة لحـدٍ مـا، وعندمـا غـادرت ديـبرا العزيـزة، وقفـت بـلا حـراك عـلى الجليـد، أغلقـت عينـيّ واسـتمعت إلى مـا لـدى صديقـي القديـم ليقولـه، لم يكُـن الكثـير، همـس ثانـوي، تلميـح غـير مسـموع، لكننـي

أنصت السمع، سمعته يضحك ويهمهم بأشياء رهيبةٍ في أذني، بينما سمعت في الأذن الأخرى صوتًا يدل على أن ديبرا قد أخبرت إستيبان أن يدلف للداخل ليُضيء الأنوار، وهو ما فعله بعد لحظات، بينما ارتفع صوت الهمس الخافت في خليطٍ مُفاجئ من الفُكاهة المُرعِبة والرعب اللطيف.

ما الأمر؟ سألت بأدب، وكانت إجابتي الوحيدة هي موجة من الاستمتاع الشديد، لم يكُن لديّ أي فكرة عما يعنيه هذا، لكنني لم أتفاجأ عندما بدأ الصراخ.

كان إستيبان فظيعًا حقًّا في الصراخ، كان صوت صراخ أجشًّا مكتومًا كما لو كان مريضًا بشدة أكثر من أي شيء آخر، لم يجلب الرجل معه حسه الموسيقي للوظيفة.

فتحت عينيّ، كان من المُستحيل التركيز تمامًا في مثل هذه الظروف، وعلى أي حال.. لم يعُد هناك المزيد لسماعه، توقَّف صوت الهمس عندما بدأ الصراخ، في النهاية.. قال الصراخ كُل شيء، أليس كذلك؟ لذا فتحت عينيّ في الوقت المُناسِب لأرى إستيبان يندفِع من الخزانة الصغيرة الموجودة في الطرف الآخر من الحلبة ويهرع عبر ساحة التزلُّج، تعثَّر عبر الجليد، انزلق، سقط، وأنَّ بصوتٍ عالٍ بالإسبانية، وفي النهاية.. اندفع بقوةٍ إلى الحواجِز، تسلقها وركض نحو الباب، وهو يصرُخ من الرعب، لطَّخت بُقعة صغيرة من الدم الجليد حيث سَقَط، دخلت ديبرا سريعًا عبر الباب، أشهرت سلاحها، بينما تجاوزها إستيبان للخارِج، تعثَّر في ضوء النهار، قالت ديبرا وهي تحمل سلاحها: "ما الأمر؟".

أملت رأسي قليلًا، سمعت صدى أخيرًا للضحكة الجافة الأخيرة، والآن.. مع استمرار الزئير المُرعِب في أذنيّ، فهمت الأمر.

قُلت: "أعتقِد أن إستيبان وجد شيئًا ما".

الفصل الثاني والعشرون

سياسة الشُّرطة، عندما حاولت التأثير على ديبرا بشدة، كانت شيئًا زلِقًا ومُتشابِكًا، وعندما تجمع منظّمتين لتنفيذ القانون لا تهتمّان لبعضهما البعض، تميل العمليات المُتبادلة للسير ببطءٍ شديدٍ، بالتزامٍ شديدٍ بالقوانين، وبكثيرٍ من المُماطلة، اختلاق الأعذار، الشتائم والتهديدات المُستترة، وكلها أمور مرحة لمُشاهدتها بالطبع، لكنها تؤدي إلى إنهاء الإجراءات في ثلاثة أضعاف الوقت المطلوب، ونتيجة لذلك.. مرّت عدة ساعات بعد العرض الغنائي المروِّع لإستيبان قبل تسوية الخلاف القضائي، ليبدأ فريقنا بالفعل في فحص المُفاجأة السعيدة الصغيرة التي اكتشفها صديقنا الجديد إستيبان عندما فتح باب الخزانة.

خلال هذا الوقت.. وقفت ديبرا إلى جانبٍ واحدٍ في مُعظم الأوقات، وعملت بجدٍّ للسيطرة على نفاد صبرها، لكنها لم تبذُل جهدًا لإخفائه، وصل النقيب ماثيوس والمُحقِّقة لاجويرتا، صافحا نظراءهما في مُقاطعة بروارد، النقيب مون والمُحقِّق ماكليلان، دار الكثير من السجال الذي بالكاد كان لطيفًا، والذي تم اختصاره في: كان ماثيوس مُتأكِّدًا بشكلٍ لا بأس به من أن اكتشاف ست أذرع وست أرجل في بروارد جزء من تحقيق إدارته بشأن الثلاث رؤوس التي تفتقِد لنفس الأجزاء في قسم شُرطة ميامي، صرّح، بعباراتٍ كانت ودودة للغاية وبسيطة، بأنه يبدو من المُستحيل بعض الشيء التفكير في أنه سيجد ثلاثة رؤوس فقط دون أجساد، وبعد ذلك ستظهَر هنا ثلاثة أجساد مُختلِفة تمامًا دون رؤوس.

أشار مون وماكليلان، بمنطقٍ مُماثلٍ، إلى أن الناس يجدون رؤوسًا في ميامي طوال الوقت، لكن في بروارد كان الأمر أكثر غرابةً، لذلك ربما أخذوا الأمور على محمل أكثر جديةً، وعلى أي حال.. لم تكُن هناك طريقة للتأكُّد تمامًا من أنهم على اتصالٍ حتى يتم الانتهاء من بعض الأعمال الأولية، والتي من الواضِح أنهم يجب أن يقوموا بها، لأنها كانت ضمن نطاق اختصاصهم، وبالطبع سوف ينقلون النتائج بمُنتهى السرور.

بالطبع كان هذا غير مقبول بالنسبة لماثيوس، الذي وضَّح بحرصٍ أن الناس في بروارد لا يعرفون ما الذي يبحثون عنه وأنهم قد يفوِّتون شيئًا أو يدمرون دليلًا رئيسيًا، بالطبع ليس بسبب عدم الكفاءة أو الغباء، كان ماثيوس مُتأكِّدًا تمامًا من أن أفراد بروارد مؤهلون تمامًا، مع وضع ملاحظاته في الاعتبار.

بطبيعة الحال لم يؤخَذ هذا الأمر بروحٍ مُبهجةٍ من التعاون من قَبل مون، الذي شعر بقليلٍ من المشاعِر أن هذا يبدو وكأنه يُلمِّح إلى أن قسمه مليء بالبلهاء من الدرجة الثانية، عند هذه النُقطة كان النقيب ماثيوس غاضبًا لدرجة أنه رد بغضبٍ شديدٍ، لا بالطبع، ليسوا من الدرجة الثانية على الإطلاق، كُنت مُتأكِّدًا أن الأمر سينتهي بشجارٍ إذا لم يصل الرجل المُحترم التابِع لإدارة تنفيذ القانون بولاية فلوريدا ليحكُم بينهما.

إدارة تنفيذ القانون بولاية فلوريدا هي مكتب تحقيقات فيدرالي على مستوى الدولة نوعًا ما، لديهم سُلطة قضائية في أي مكان في الولاية وفي أي وقت، وعلى عكس الفيدراليين.. فإنهم يحترمون مُعظم رجال الشُرطة المحليين، كان الضابِط المعني رجلًا متوسِّط الطول والبنية برأسٍ حليقٍ ولحيةٍ مُشذَّبةٍ، لم يبد خارجًا عن

المألـوف أبـدًا بالنسـبة لي، لكـن عندمـا تدخَّـل بـين ضابطـي الشُّرطـة الأكـبر حجـمًا، صمتـا عـلى الفـور وتراجعـا خطـوة إلى الخلـف، بعـد فـترة وجيـزة.. اسـتقرَّت الأمـور وتـم تنظيمهـا، وسُرعـان مـا عُدنـا إلى المـسرح الأنيـق والمُنظَّـم لجرائـم القتـل المُتعـدِّدة.

قـرَّر رجـل إدارة تنفيـذ القانـون بولايـة فلوريـدا أنـه كان تحقيـق قسـم شُرطـة ميامـي مـا لم أو حتـى تُثبِـت عينـات الأنسِـجة أن أجـزاء الجسـد الموجـودة هنـا والـرؤوس الموجـودة هنـاك ليسـت ذات صلـة، مـن الناحيتـين العمليـة والفوريـة، مـما يعنـي أنـه عـلى حشـد المُراسـلين المُتجمِّعـين بالخـارج بالفعـل التقـاط صـورة النقيـب ماثيـوس أولًا.

وصـل أنجيـل -لسـت قريبـه- وبـدأ بالعمـل، لم أكُـن مُتأكِّـدًا عـلى الإطـلاق مـما سـأفعله، ولا أُعنـى بشـأن الخـلاف القضـائي، لا، لقـد كُنـت مهتـمًّا بالحـدث نفسـه أكـثر بكثـير، والـذي تَـرَك ليّ الكثـير لأفكِّـر فيـه.. ليـس في حقيقـة عمليـات القتـل وإعـادة توزيـع الجُثـث فحسـب، التـي كانـت لاذعـةً بمـا فيـه الكفايـة، لكننـي تمكَّنـت في التسـلُّل إلى خزانـة الرعـب الصغـيرة الخاصـة بإسـتيبان في وقـتٍ سـابقٍ، قبـل وصـول القـوات، هـل يُمكِنـك لومـي حقًّـا؟ كُنـت أرغَـب فقـط في تـذوُّق المذبحـة، ومحاولـة فهـم السـبب الـذي دفـع شريـكي الاجتماعـي العزيـز المجهـول لتكديـس البقايـا هنـا، كانـت حقًّـا نظـرة سريعـة.

لذلـك بعـد أن اندفـع إسـتيبان مُبـاشرةً مـن البـاب وهـو يـصرُخ ويصيـح مثـل الخنزيـر الـذي يختنِـق بحبـة جريـب فـروت، قفـزت بشـغفٍ إلى الخزانـة لأرى مـا الـذي جعلـه يفـزَع.

لم يتـم تغليـف الأجـزاء بعنايـةٍ هـذه المـرة، وبـدلًا مـن ذلـك.. تـم توزيعهـا عـلى الأرض لأربعـة أقسـام، وكُلـما نظـرت عـن كثـبٍ.. رأيـت شـيئًا رائعًـا.

تـم وضـع سـاق واحـدة بشـكلٍ مُسـتقيمٍ عـلى طـول جانِـب الخزانـة الأيـسر، كانـت شـاحِبة، زرقـاء مبيضَّـة، وخاليـة مـن الدمـاء، حـول كاحلهـا كانـت هنـاك سلسـلة ذهبيـة بحُليـة عـلى شـكل قلـب، لطيفـة جـدًّا حقًّـا، غـير ملوَّثـة ببقـع الـدم الفظيعـة؛ عمـل أنيـق حقًّـا، تـم ثنـي ذراعـين داكنتـين مقطوعتـين جيـدًا مـن عنـد الكـوع ووضعهـما بجـوار السـاق، مـع توجيـه الكـوع بعيـدًا، بجـوار ذلـك.. تـم ترتيـب الأطـراف المُتبقيـة، التـي كانـت جميعًـا مُنحنيَـة مـن عنـد المفصـل، عـلى شـكل دائرتـين كبيرتـين.

اسـتغرق الأمـر منـي لحظـة، رمشـت، وفجـأة.. عُـدت إلى تركيـزي وحاولـت أن أعبـس بمـا فيـه الكفايـة لأمنـع نفـسي مـن القهقهـة بصـوتٍ عـالٍ مثـل الفتـاة الصغـيرة التـي اتهمتنـي ديـب بكونهـا.

لأنـه رتَّـب الأذرع والسـيقان عـلى هيئـة حـروف، وشـكَّلت الحـروف كلمـة واحـدة صغـيرة: بـخ (BOO)

تـم ترتيـب الثلاثـة جـذوع بعنايـةٍ تحـت الكلمـة في رُبـع دائـرة، لتُشـكِّل ابتسـامة هالويـن صغـيرة ولطيفـة.

يا له من شقي.

لكـن حتـى عندمـا أعجبـت بالـروح المرحـة التـي كشـفتها تلـك المزحـة، تسـاءلت عـن سـبب اختيـاره لوضـع العـرض هنـا، في خزانـة، بـدلًا مـن وضعـه بالخـارج عـلى الجليـد حيـث بإمكانـه أن يحظـى بتقديـر جمهـور أكـبر، كانـت خزانـة فسـيحة للغايـة، واسـعة، لكنهـا لا تـزال غـير مُريحـة، بالـكاد كافيـة للعـرض، فلـماذا؟

وبينـما كُنـت أتسـاءل، فُتِـح بـاب الحلبـة الخارجـي بضجيـج، أول الحاضريـن مـن فريـق الإنقـاذ بـلا شـك، فُتِـح البـاب عـلى نطـاقٍ أوسـع،

وبعد دقيقة.. هبَّ تيار من الهواء البارِد على الجليد وصولًا إلى ظهري..

مرَّ تيار الهواء البارد فوق عمودي الفقري ليُجيبه تدفُّق من الدفء يتحرك صعودًا على نفس المسار، ركض برشاقةٍ وصولًا لقاع وعيي المُظلِم، وتغيَّر شيء ما في مكانٍ ما في أعماق الليل البهيم لعقلي الزاحِف، وشعرت بالراكِب المُظلِم يوافِق بشدة على شيء ما لم أسمعه أو أفهمه إلا أنه كان عليه أن يتعامل بطريقةٍ ما مع الإلحاح الأساسي للهواء البارِد وضيق الجدران، وشعور هجومي بـ...

الصواب، لا شك في ذلك، كان هناك شيء ما هنا صحيح للغاية وهو ما جعل راكبي المُظلِم الغامض سعيدًا، متحمِّسًا، وراضيًا بطريقةٍ لم أبدأ في فهمها بعد، والأهم من كُل ذلك كانت الفكرة الغريبة في أن هذا كان مألوفًا للغاية، لم يبدُ أي من هذا منطقيًّا بالنسبة لي، لكن ها هو، ولكن قبل أن أبدأ في استكشاف هذه الاكتشافات الغريبة أكثر من ذلك، تم حثِّي من قِبَل شاب قصير يرتدي زيًّا رسميًّا أزرق اللون على الابتعاد، وإبقاء يديَّ على مرأى من الجميع، لا شك في أنه كان أول من وَصَل، كان يوجِّه سلاحه نحوي بطريقةٍ مُقنِعةٍ للغاية، نظرًا لأنه لم يكُن لديه سوى حاجب واحد يمتد بعرض وجهه ولم تظهَر جبهته، قرَّرت أنها ستكون فكرة جيدة للغاية أن أتماشى مع رغباته، بدا وكأنه من نوع الوحوش الغبية التي من المُمكِن أن تُطلِق النار على شخص بريء.. أو عليّ؛ ابتعدت عن الخزانة.

لسوء الحظ.. كَشَف تراجعي عن المشهد ثلاثي الأبعاد الموجود في الخزانة، وفجأة أصبح الشاب الصغير مشغولًا بإيجاد مكان لتقيؤ إفطاره، وَصَل إلى سلة مهملات كبيرة كانت على بُعد ١٠ أقدام قبل

أن يبدأ في إصدار أصواته المُزعِجة، وقفت بلا حراك في انتظاره حتى ينتهي، عادة سيئة، تناثر الطعام نصف المهضوم من حوله، غير صحي، كونه حارسًا للسلامة العامة كذلك.

هرول المزيد من أصحاب الأزياء الرسمية، وسُرعان ما أصبح لدى صديقي القرد الكثير من زملائه ليشاركوه في سلة المُهملات، كان الضجيج مُزعِجًا للغاية، ناهيك عن الرائحة التي بدأت الآن في الزحف نحوي، لكنني انتظرت بأدبٍ حتى ينتهوا، لأن أحد الأشياء الرائعة بشأن المُسدَّس أن بإمكان حتى الشخص الذي يتقيأ أن يُطلِق النار منه، لكن في النهاية.. اعتدل أحد أصحاب الأزياء الرسمية، مَسَح وجهه بكمِّه، وبدأ في استجوابي، سُرعان ما تم استبعادي ودفعي جانبًا مع تعليمات بعدم الذهاب لأي مكان أو لمس أي شيء.

وصل النقيب ماثيوس والمُحقِّقة لاجويرتا بعد فترة وجيزة، واسترخيت قليلًا عندما سيطرا على المشهد في النهاية، لكن الآن بعد أن تمكَّنت من الذهاب لأي مكان أو لمس أي شيء، جلست ببساطة وبدأت بالتفكير، والأشياء التي فكَّرت فيها كانت مُزعِجة بشكلٍ مُذهِل.

لماذا بدا العرض الموجود في الخزانة مألوفًا؟

ما لم أكُن سأعود إلى حماقتي في وقتٍ سابقٍ من اليوم وإقناع نفسي بأنني من فعل ذلك، فإنني كُنت في حيرة من أمري من السبب الذي يجعل الأمر غير مُفاجئ بشكلٍ مُبهِج، بالطبع لم أفعل ذلك، كُنت بالفعل أشعر بالخجل من غباء هذه الفكرة، بِخ، في الواقِع.. لم يستحِق الأمر عناء قضاء الوقت في الاستهزاء بالفكرة، سخيفة.

إذًا.. لماذا بدا الأمر مألوفًا؟

تنهَّدت واختبرت شعورًا جديدًا، كان الارتباك، لم يكُن لديّ أي فكرة عما كان يحدُث، إلا أنني وبطريقةٍ ما كُنت جزءًا منه، لم يبد هذا كشفًا مُفيدًا بطريقةٍ غريبةٍ، نظرًا لأنه يطابِق تمامًا جميع استنتاجاتي التحليلية الأخرى المُبرَّرة بعنايةٍ حتى الآن، إذا ما استبعدت الفكرة السخيفة التي مفادها أنني فعلت ذلك دون أن أعلم، وهو ما فعلته، سيُصبِح كُل تفسير لاحِق غير مُرجَّح، وهكذا.. فإن مُلخَّص ديكستر عن القضية سيكون كالتالي: إنه متورِّط بطريقةٍ ما، لكنه لا يعرف حتى ماذا يعني ذلك، كان بإمكاني الشعور بالعجلات الصغيرة التي كان عقلي فخورًا بها وهي تخرُج عن مساراتها وتطيح في الهواء، خرج ديكستر عن مساره.

من حُسن حظي.. أنقذني ظهور عزيزتي ديبرا من الانهيار التام، قالت بفظاظةٍ: "تعال، سنصعد للطابِق العلوي".

"هل لي أن أسأل لماذا؟".

قالت: "سأقوم بالتحدُّث إلى موظفي المكتب، لأرى إن كانوا يعرفون شيئًا".

قُلت: "لا بد وأنهم يعرفون شيئًا ما داموا يمتلكون مكاتِب".

نظرت لي للحظةٍ قبل أن تستدير وهي تقول: "تعال".

لا بد وأنها النبرة الآمرة في صوتها، لكنني ذهبت، مشينا نحو الردهة الموجودة في الجانِب الآخر من الحلبة من المكان الذي كُنت أجلس فيه، وقف شرطي من بروارد بجوار المصعَد، كان بإمكاني رؤية العديد منهم يقفون عبر الحاجِز خلف الصف الطويل من الأبواب الزجاجية، سارت ديب نحو الشُّرطي الموجود

بجوار المصعد وقالت: "أنا مورجان".

أومأ برأسه وضغط زر الأعلى، نظر لي دون تعبيرات وهو أمر يقول الكثير، قُلت له: "أنا مورجان أيضًا".

نظر إليّ فحسب، ثم أدار رأسه ليحدّق في الأبواب الزجاجية.

كان هناك رنين مكتوم عندما وَصَل المصعد، أسرعت ديبرا إلى الداخِل وضربت الزر بيدها بقوةٍ كانت كافية لتجعل الشُّرطي ينظر إليها والباب يُغلَق.

سألتها: "لماذا أنتِ مُتجهِّمة يا شقيقتي؟ أليس هذا ما أردتِ فعله؟".

نخرت قائلةً: "إنه عمل جيد والجميع يعلم ذلك، لكنه عمل جيد للمُحقّقين".

أشرت إلى الخارِج قائلًا: "نسبت هذه العاهرة لاجويرتا الفضل إلى نفسها".

هسَّت وهي تقول: "بمُجرَّد أن ينتهي عملي هنا، سأعود لمُكافحة الدعارة مرة أخرى".

"يا إلهي، ببدلتكِ الجنسية الصغيرة؟".

قالت: "ببدلتي الجنسية الصغيرة".

وقبل أن أتمكَّن من صياغة كلمات تعزية سحرية كُنا قد وصلنا لطابِق المكاتِب وبدأت أبواب المصعد تُفتَح، أسرعت ديب للخارج، تبعتها، وسُرعان ما وجدنا قاعة الموظَّفين، حيث يتم اقتياد موظفي المكاتِب للانتظار حتى يُتاح لسيدة القانون الأولى الوقت الكافي لتفعل بهم ما تُريد، وَقَف شُرطي آخر من بروارد على باب القاعة، على الأرجَح ليتأكَّد من عدم قيام أي من الموظفين بالهروب عبر

الحدود الكندية، أومأت ديبرا برأسها إلى الشُّرطي الموجود بجوار الباب وهي تدخُل إلى القاعة، دخلت خلفها دون حماس يُذكَر تاركًا عقلي يهيم في التفكير بمُشكلتي، بعد لحظة انتزعتني ديبرا من خيالي، عندما هزّت رأسها أمامي وهي تقود شابًا عابسًا ذا بشرة دهنية وشعر طويل أشعث نحو الباب، تبعتها مرة أخرى.

بطبيعة الحال.. كانت تقوم بفصله عن الآخرين للاستجواب، أسلوب جيد للغاية من أساليب الشُّرطة، لكن كي أكون صادقًا تمامًا، لم يمس الأمر قلبي أبدًا، كُنت أعلم -دون أن أعرف لذلك سببًا- أن أيًا من هؤلاء الناس لم يفعل شيئًا للمُساهمة بالأمر، انطلاقًا من هذه العينة الأولى، وربما كان من الآمن تطبيق هذا التعميم على حياته وكذلك على تلك الجريمة، كان هذا مُجرّد عمل روتيني تم توزيعه على ديب لأن النقيب اعتقد أنها فعلت شيئًا جيدًا، لكنها كانت لا تزال شخصًا مُزعِجًا، لذلك تم إرسالها بعيدًا بقطعة من عمل الشُّرطة الشاق الحقيقي لإبقائها مشغولة وبعيدةً عن الأنظار، وقد جُرِرت معها لأنها أرادتني بجوارها، ربما لأنها أرادت أن ترى إذا ما كان باستطاعة إدراكي اللا شعوري الرائع مُساعدتها في تحديد ما أكله هؤلاء الجُبناء على الإفطار، ومن نظرة واحدة على بشرة هذا الرجل الشاب كان بإمكاني التأكُّد من أنه أكل بيتزا باردة، رقائق بطاطس، ولترًا من البيبسي، وهو ما قام بتخريب بشرته وأعطاه مظهرًا عدائيًا.

ورغم ذلك.. تبعتها بينما قام السيد مُتجهِّم بإرشاد ديبرا إلى غُرفة اجتماعات في الجزء الخلفي من المبنى، كانت هناك طاولة طويلة من البلوط يحيط بها عشرة كراسي سوداء عالية الظهر في مُنتصف الغُرفة، ومكتب في الزاوية عليه جهاز كمبيوتر وبعض

المُعـدات السـمعية والبصريـة، بينـما جلسـت ديـب وصديقهـا الصغـير ذو البثـور وبـدآ في تبـادل مظاهـر العبـوس، تحرّكـت نحـو المكتـب، كان هنـاك رف كتـب صغـير أسـفل النافِـذة بجـوار المكتـب، نظـرت عـبر النافِـذة، اسـتطعت أن أرى تحتـي مُبـاشرةً الحشـد المُتزايـد مـن المُراسـلين وسـيارات الدوريـة التـي تُحيـط الآن بالبـاب الـذي دخلنـا منـه مـع إسـتيبان.

نظـرت إلى رف الكُتـب، فكّـرت في أنـه بإمـكاني تفريـغ مسـاحة صغـيرة لأنحنـي عليهـا، لأبتعِـد بـذوقٍ عـن المُحادثـة، كانـت هنـاك كومـة مـن مُجلّـدات مانيـلا* وفوقهـا كان هنـاك جسـم صغـير رمـادي اللـون، كان مُربّـع الشـكل وبـدا أنـه بلاسـتيكي، وهنـاك سـلك أسـود اللـون يربـط بينـه وبـين الجـزء الخلفـي مـن جهـاز الكمبيوتـر، أمسـكت بـه لأحرّكـه.

قال المُعقّد العابس: «مهلًا! لا تعبث بكاميرا الويب!».

نظـرت إلى ديـب، التـي نظـرت نحـوي بدورهـا، وأقسِـم أننـي رأيـت أنفهـا ينخـر في الهـواء مثـل حصـان السـباق عنـد بوابـة البدايـة وهـي تقـول بهـدوء: «مـاذا؟».

قـال: «كُنـت قـد ثبّتهـا نحـو المدخَـل، والآن.. سـيتحتّم عـليّ أن أعيـد تثبيتهـا، لمـاذا قُمـت بالعبـث بأشـيائي يـا رجـل؟».

قُلت لديبرا: «قال كاميرا الويب».

قالت لي: «كاميرا».

«أجل».

---

*مجلـد مانيـلا: هـو مجلـد ملفـات مصمـم لاحتـواء الوثائـق والمسـتندات، يتكـون عـادةً مـن ورقـة كبـيرة قابلـة للطـي إلى المنتصـف.

استدارت نحو الأمير الساحِر الصغير وهي تقول: «هل تعمل؟».

فغـر فـاه في مواجهتهـا، كان لا يـزال مُحافِظًـا عـلى عبوسـه وهـو يقـول: «مـاذا؟».

قالت ديبرا: «الكاميرا، هل تعمل؟».

نَخَر وهـو يمسـح أنفـه بإصبعـه قائـلًا: «مـاذا تعتقديـن؟ مـاذا كُنـت سـأفعل لـو لم تكُـن تعمـل؟ إنهـا بمائتـي دولار، لا بـد لهـا أن تعمـل جيـدًا».

نظـرت مـن النافـذة إلى المكان الـذي كانـت الكامـيرا مُثبَّتـة نحـوه، بينـما اسـتكمل حديثـه في تجهُّـم أكيـد قائـلًا: «لـديّ موقـع ويـب كامـل تمامًـا، كاتهـاوس دوت كـوم، يُمكِـن للنـاس مُشـاهدة الفريـق عندمـا يصلـون إلى هنـا أو عندمـا يغـادرون».

تحرّكـت ديـبرا ووقفـت إلى جـواري وهـي تنظُـر عـبر النافِـذة، قُلـت: «كانـت مُثبَّتـة نحـو البـاب».

قـال صديقنـا السـعيد: «بخـلاف ذلـك.. كيـف سـيتمكَّن النـاس عـلى موقعـي أن يـروا الفريـق؟».

اسـتدارت ديـبرا ونظـرت إليـه، بعـد حـوالي خمـس ثـوانٍ احمـرّ خجـلًا وهـو ينظـر نحـو المنضـدة، قالـت: «هـل كانـت الكامـيرا تعمـل الليلـة الماضيـة؟».

تمتم قائلًا دون أن ينظُر للأعلى: «بالتأكيد، أقصد.. أظن ذلك».

اسـتدارت ديـبرا نحـوي، كانـت معرفتهـا الحاسـوبية تقتـصر فقـط عـلى القـدر الـكافي لاسـتخراج تقاريـر حركـة المـرور، كانـت تعـرف أننـي أكـثر ذكاءً منهـا.

سـألت مقدمـة رأسـه: «كيـف قُمـت بإعدادهـا؟ هـل يتـم أرشـفة

الصـور بشـكلٍ تلقـائي؟».

هـذه المـرة رفـع رأسـه، لقـد اسـتخدمت فعـل أرشـفة، يجـب أن يكـون هـذا صحيحًـا، قـال: «أجـل، يتـم تحديثهـا كُل خمـس عـشرة ثانيـة، وتنتقِـل الصـور تلقائيًّـا إلى القُـرص الصلـب، وعـادةً مـا أمسـحها في الصبـاح».

أمسـكت ديـبرا ذراعـي بقـوة كانـت كافيـة لسـلخ الجلـد وهـي تسـأله: «هـل قُمـت بمسـحها هـذا الصبـاح؟».

نظـر بعيـدًا مـرة أخـرى وهـو يقـول: «لا، لقـد اندفعتـم إلى الداخِـل وبدأتـم في الصراخ ومـا إلى ذلـك، لم يتسـن لي حتـى التحقُّـق مـن بريدي الإليكـتروني بعـد».

نظرت لي ديبرا، فقُلت: «بينجو!».

قالت لمُخيّمنا التعِس: «تعال إلى هنا».

قال: «ماذا؟».

كرّرت قولها: «تعال إلى هنا».

وقف ببطءٍ، فاغر الفاه، ويفرك مفاصِل أصابعه، قال: «ماذا؟».

أمرتـه ديـبرا بأسـلوب ضابطـة شُرطـة مُتمرّسـة: «هـل يُمكِنـك أن تـأتي إلى هنـا يـا سـيدي؟».

بـدأ بالحركـة مـن فـوره، سـألته: «هـل يُمكِننـا أن نـرى صـور الليلـة الماضيـة مـن فضلـك؟».

فغـر فـاه وهـو ينظُـر نحـو جهـاز الكمبيوتـر، قبـل أن ينظُـر لهـا وهـو يسـألها: «لماذا؟».

لطالما كان الذكاء البشري لغزًا.

قالت ديبرا ببطءٍ وحرصٍ: «لأنك ربما تكون التقطت صورة القاتِل».

حدَّق بها وهو يرمش، قبل أن يحمر خجلًا وهو يقول: «مُستحيل».

قُلت: «بل هو مُمكِن».

حدَّق بي، ثم بديبرا، وهو فاغِر الفاه، قال: «رائع، لا، اللعنة؟ أقصِد.. لا، حقًّا؟».

احمر خجلًا أكثر، قالت ديبرا: «هل يُمكِننا رؤية الصور؟».

وقف دون حراك للحظةٍ، ثم اندفع نحو المقعد وجلس خلف المكتب وأمسك بالفأرة، وعلى الفور عادت الشاشة للحياة، بدأ في الكتابة والضغط على زر الفأرة بشراسةٍ وهو يسأل: «في أي وقت يجب أن أبدأ؟».

سألته ديبرا: «في أي وقت غادر الجميع؟».

هزَّ كتفيه قائلًا: «لم يكُن لدينا شيء في الليلة الماضية، ذهب الجميع بحلول الساعة.. الثامنة تقريبًا؟».

قُلت: «ابدأ من مُنتصف الليل».

أومأ برأسه وهو يقول: «حسنًا».

عَمِلَ في صمتٍ لدقيقةٍ قبل أن يتمتم قائلًا: «بحقكَ، إنها فقط حوالي ستمائة ميجا، لن يتم تحديثها، ما ينفكون يقولون أنها على ما يُرام، لكنها بطيئة للغاية، ولا تـ...».

قطع حديثه فجأة قائلًا: «حسنًا».

ظهرت صورة قاتِمة على الشاشة؛ ساحة الانتظار الموجودة تحتنا

فارِغـة، قـال وهـو يحـدِّق في الشاشـة: «مُنتصـف الليـل».

بعـد خمـس عـشرة ثانيـة، تبدَّلـت الصـورة للصـورة نفسـها، سـألته ديـبرا: «هـل سـيتحتَّم علينـا مُشـاهدة هـذا لمُـدة خمـس سـاعات؟».

قُلت: «ابحث فيها عن مصابيح أمامية، أو أي شيء يتحرَّك».

قال: «حسنًا».

قـام ببعـض عمليـات التأشـير والنقـر السريعـة، وسُرعـان مـا بـدأت الصـور تتقـدَّم بسُرعـة صـورة في الثانيـة، في البدايـة.. لم تتغـيَّر كثـيرًا؛ نفـس سـاحة الانتظـار المُظلِمـة، وضـوء واحـد سـاطِع عـلى حافـة الصـورة، بعـد مـرور حـوالي خمسـين إطـارًا، ظهـرت صـورة أمامنـا، قالـت ديـبرا: «شـاحنة!».

هزَّ مُعقِّدنا الأليف رأسه وهو يقول: «الأمن».

وفي الصورة التالية أصبحت شاحنة الأمن مرئية.

اسـتمرَّ في البحـث، توالـت الصـور، ثابتـة لا تتغـيَّر، في كُل ثلاثـين أو أربعـين صـورة كُنـا نـرى شـاحنة الأمـن تمُـر، ثـم لا شيء، وبعـد بضـع دقائـق عـلى هـذا المنـوال، توقَّـف هـذا النمـط، وكان هنـاك امتـداد طويـل مـن الـلا شيء، قـال صديقنـا الدهنـي الجديـد: «ضُبِطتـم».

رمقته ديبرا بنظرةٍ حادةٍ وهي تسأله: «هل تعطَّلت الكاميرا؟».

نظـر إليهـا ثـم احمـرَّ خجـلًا مـرة أخـرى قبـل أن ينظـر بعيـدًا وهـو يـشرح الأمـر: «رجـال الأمـن، إنهـم سـيئون تمامًـا، كُل ليلـة في حـدود السـاعة الثالثـة، يقومـون بصـفِّ السـيارة في الجانِـب الآخـر ويذهبـون للنـوم».

أومـأ برأسـه نحـو الصـور الثابِتـة التـي تمُـر تباعًـا: «أتريـان؟ مرحبًـا! يـا رجـل الأمـن، يـا مُجِـد في عملـك!».

أصدر صوتًا مكتومًا من أنفه، أفترض أنه كان يجب أن يكون ضحكًا: «لست مجدًا للغاية».

كرَّر صوت الشخير مرة أخرى والصور تتوالى تباعًا.

فجأة.. ناديته: «انتظِر!».

على الشاشة.. ظهرت شاحنة بجوار الباب الموجود تحتنا، ظهر شيء آخر عندما تغيَّرت الصورة، رجل يقف بجوار الشاحِنة، سألته ديبرا: «هل يُمكِنك أن تُقرِّبها؟».

قبل أن يبدو على وجهه القليل من التجهُّم قُلت: «كبِّرها».

قام بتحريك المؤشِّر، حدَّد الجسم المُظلِم الموجود على الشاشة، ثم نَقَر على الفأرة، تحوَّلت الصورة لأخرى أقرب كثيرًا.

قال: «لن تحصلوا على مزيدٍ من الدقة، البيكسل...».

قالت ديبرا: «اخرس».

كانت تحدِّق في الشاشة بحدةٍ كافية لإذابتها، وعندما حدَّقت بدوري، تمكَّنت من معرفة السبب، كانت الصورة مُظلِمة، وكان الرجل بعيدًا بما يكفي لأتأكَّد، لكن بناءً على التفاصيل القليلة التي استطعت تبيُّنها، كان هناك شيء مألوف به بطريقةٍ غريبةٍ، الطريقة التي وقف بها دون حراك على شاشة جهاز الكمبيوتر، موزِّعًا ثقل جسده على كلتا قدميه، والانطباع العام عن شكله الخارجي، بطريقةٍ ما.. كما كانت غامِضة، فإنها كانت تمدنا بشيءٍ ما، اندلعت موجة صاخبة جدًّا من أعماق المقعد الخلفي لعقلي، شعرت بما يُشبِه تأثير العزف على بيانو كبير، كان في الواقِع يُشبه بشكلٍ كبيرٍ..

«ديكستر؟».

قالتها ديبرا، في نوعٍ من الصراخ الهامِس المختنِق.

أجل، بالفعل..

يُشبه ديكستر.

الفصل الثالث والعشرون

كُنت متأكِّدًا تمامًا من أن ديبرا اقتادت الشاب صاحِب الشعر السيئ إلى القاعة مرة أخرى، لأنني عندما نظرت للأعلى ثانيةً.. كانت تقف في مواجهتي، بمُفردها، وعلى الرغم من زيها الرسمي الأزرق.. لكنها في الوقت الحالي لم تكُن تبدو كشُرطية، بدت قَلِقة، وكأنه ليس بإمكانها أن تُقرِّر إذا ما كانت يجب أن تصرُخ أم تبكي، مثل أم خذلها طفلها الصغير المُميَّز بشدةٍ.

قالت بحدةٍ: «حسنًا؟».

يجب عليّ القول بأن لديها وجهة نظر، قُلت: «لست بأسوأ حال، وأنتِ؟».

ركلت أحد المقاعِد، والذي سقط من فوره وهي تقول: «اللعنة يا ديكستر، لا تتظاهر معي بهذا الهراء الذكي! أخبرني بشيءٍ ما، أخبرني أنه ليس أنت!».

لم أقُل شيئًا، استمرّت: «حسنًا إذا، أخبرني أنه أنت! أخبرني بشيء، بأي شيء على الإطلاق!».

هزرت رأسي قائلًا: «أنا...».

لم يكُن هناك أي شيء يُقال، لذا هززت رأسي مرة أخرى قبل أن أضيف: «أنا مُتأكِّد بعض الشيء أنه ليس أنا، أقصِد.. لا أعتقِد ذلك».

حتى بالنسبة لي.. بدا الأمر وكأنني غرست قدميّ في أرض الإجابات الضعيفة.

سألتني ديب: «ماذا تعني بـ مُتأكِّد بعض الشيء؟ هل يعني هذا أنك لست مُتأكِّدًا؟ هل يُمكِن أن تكون أنت الموجود في هذه الصورة؟».

كان ردها بارعًا حقًّا، مع أخذ ردي في الاعتبار، قُلت: «حسنًا، ربما، لا أعرِف».

«هل تعني بـ لا أعرِف أنك لا تعرف إذا ما كُنت ستقوم بإخباري، أم أنها تعني أنك حقًّا لا تعرِف إذا ما كُنت أنت الموجود في الصورة؟».

كرَّرت قولي: «أنا مُتأكِّد بعض الشيء أنه ليس أنا يا ديبرا، لكنني حقًّا لست واثِقًا تمام الثقة، إنه يُشبهني.. أليس كذلك؟».

قالت: «اللعنة».

قبل أن تركل المقعد من المكان الذي كان يقبع فيه، اصطدم بالطاولة، وهي تقول: «كيف يُمكِنك ألا تعرف، اللعنة على ذلك؟».

«من الصعب قليلًا شرح هذا الأمر».

«حاول!».

فتحت فمي، لكن وللمرة الأولى في حياتي لم يخرُج شيء، كما لو أن كُل شيء لم يكُن سيئًا بما فيه الكفاية، بدا وكأنني فقدت مهارتي بالكامل، تمتمت قائلًا: «أنا فقط.. كان لديّ هذه الـ. الأحلام، لكن يا ديب، أنا لا أعرِف حقًّا».

قالت ديبرا: «اللعنة، اللعنة، اللعنة».

ومع كُل كلمة نطقت بها كانت تركل الكُرسي ركلة، كان من الصعب للغاية الاختلاف مع تحليلها للوضع.

سحبت كُل تأملاتي الغبية المشوَّهة لنفسي مرة أخرى وصولًا

للحافـة المُشرِقـة السـاخرة، بالطبـع لم أكُـن أنـا.. كيـف يُمكـن أن يكـون أنـا؟ ألـن أعـرف إذا مـا كُنـت أنـا؟ عـلى مـا يبـدو يـا ولـدي العزيـز.. لا، عـلى مـا يبـدو أنـت لا تعـرِف أي شيء عـلى الإطـلاق، لأن عقولنـا الصغـيرة القاتِمـة العميقـة لا تنفـك تُخبرنـا بـكُل أنـواع الأشـياء التـي تـتراوح بـين الواقعيـة وعدمهـا، لكـن الصـور لا تكـذِب.

أطلقـت ديـبرا وابـلًا جديـدًا مـن الهجـمات الوحشـية عـلى المقعـد، قبـل أن تُعـدِّل وضعـه، كان وجههـا أحمـر للغايـة وبـدت عيناهـا شـبيهتين بدرجـة كبـيرة بعينـي هـاري عـن ذي قبـل وهـي تقـول: "حسـنًا، ليكُـن كذلـك».

رمشـت وتوقَّفـت للحظـةٍ بينـما أدرك كلانـا أنهـا قالـت للتـو جُملـة مـن جُمـل هـاري.

ولثانيـةٍ كان هـاري هنـاك في الغُرفـة بينـي وبـين ديـبرا، كان كلانـا مُختلِفًـا للغايـة، ورغـم ذلـك كان كلانـا مـن أبنـاء هـاري، القبضتـين الغريبتـين لإرثـه الفريـد، اختفـت بعـض الصلابـة مـن ملامـح ديـبرا لتبـدو بشريـة، وهـو أمـر لم أره منـذ حـين، حدَّقـت بي لدقيقـةٍ طويلـةٍ، قبـل أن تسـتدير مُبتعـدةً وهـي تقـول: "أنـت شـقيقي يـا ديكسـتر".

كُنـت مُتأكِّـدًا للغايـة أن هـذا لم يكُـن مـا نَـوَت قولـه في الأصـل، قُلـت: "لـن يلومـك أحد».

صرخـت، وأخذتنـي ضراوة ذلـك عـلى حـين غـرة: "اللعنـة عليـك، أنـت شـقيقي! لا أعـرِف مـاذا حـدث بينـك وبـين أبي، الأمـور التـي لم يتحـدَّث كلاكـما بشـأنها، لكننـي أعـرِف مـا كان سـيفعله».

قُلت: "سلّميني".

أومـأت ديـبرا وشيء مـا يلمـع في طـرف عينهـا: "أنـت كُل عائلتـي يـا

ديكس".

"ذلك ليس أمرًا مهمًا بالنسبة لكِ، أليس كذلك؟".

استدارت نحوي، كان بإمكاني الآن رؤية الدموع في عينيها، نظرت لي فقط لدقيقةٍ طويلةٍ، راقبت الدمعة وهي تهرب من عينها اليُسرى وتسقط على وجنتها، مسحتها، قوّمت نفسها، وأخذت نفسًا عميقًا، قبل أن تنظر نحو النافذة مرة أخرى.

قالت وهي تنظر بعيدًا عني، عبر النافذة، مُباشرةً نحو الأفق: "هذا صحيح، لم يكُن ليسلّمك، وهذا ما سأفعله".

قالت: "لا بُد لي من إنهاء هذه المُقابلات، سأتركك مسؤولًا عن تحديد إذا ما كان هذا الدليل ذا صلة، اصطحِب جهاز الكمبيوتر معك للمنزل، واحصل على كُل ما تُريد الحصول عليه، وعندما أنتهي هنا، وقبل أن أعود للخدمة مرة أخرى، سآتي لآخذه، لأسمع ما لديك لتقوله».

نظرت إلى ساعتها وهي تقول: "الساعة الثامنة، وإذا اضطررت لاصطحابك في ذلك الوقت.. سأفعل".

نظرت لي مرة أخرى لدقيقةٍ طويلةٍ قبل أن تقول بخفوتٍ وهي تُغادِر الغُرفة: "اللعنة يا ديكستر".

تحرّكت نحو النافذة ألقيت نظرة لنفسي، كان سيرك رجال الشُرطة، المُراسلين، والمُحدِّقين المهووسين يُقام دون تغيير، بعيدًا.. خلف ساحة الانتظار، كان بإمكاني رؤية الطريق السريع، مليئًا بالسيارات والشاحنات التي تمُر بسُرعة ميامي القصوى البالغة خمسة وتسعين ميلًا بالساعة، وخلف ذلك سطع أفق ميامي الشاهِق في المساحة القاتِمة.

أما هنا في المقدمة.. فوقف ديكستر مُعتمًا ومُصابًا بالدوار، يحدِّق عبر النافذة إلى مدينة لم تتكلَّم ولن تُخبره بأي شيء حتى لو فعلت.

اللعنة يا ديكستر.

لا أعلم لكم من الوقت حدَّقت في النافذة، لكن خطر لي في النهاية أنه لا توجد إجابات هناك، لكن على الرغم من ذلك.. قد يكون هناك بعضها هنا في كمبيوتر صاحب البثور، أدرت المكتب، كان الجهاز يحتوي على مُحرِّك أقراص مضغوطة، عثرت في الدرج العلوي على صندوق يحتوي على أقراص مضغوطة قابلة للتسجيل، وضعت واحدة في مُحرِّك الأقراص، وقُمت بنسخ ملف الصور بالكامِل، وأخرجت القرص المضغوط، أمسكته ونظرت إليه، لم يكُن لديه الكثير ليقوله، وربما أكون قد تخيَّلت الضحكة الخافِتة التي ظننت أنني سمعتها من الصوت المُظلِم الموجود في المقعد الخلفي، لكن لأكون آمنًا فحسب.. مسحت الملف من على القرص الصلب.

في طريقي للخارِج.. لم يمنعني رجال شُرطة بروارد المناوبون، لم يتحدَّثوا إليّ حتى، لكن بدا لي أنهم ينظرون لي بلا مُبالاة شديدة ومُريبة.

تساءلت عما إذا كان هذا هو ما تشعُر به عندما يكون لديك ضمير، أفترِض أنني لن أعرف ذلك أبدًا.. على عكس ديبرا المسكينة، المُمزَّقة بين كثير من الولاءات التي لا يُمكِن أن تعيش معًا داخِل نفس العقل، كُنت مُعجبًا بحلها، أن تتركني مسؤولًا عن تحديد إذا ما كان الدليل ذا صلة، بارِعًا للغاية، وأشبه بهاري للغاية كذلك، مثل ترك مُسدَّس محشو على المنضدة أمام صديق مُذنِب قبل أن تمشي بعيدًا، عالمًا أن الذنب سيضغط على الزناد وسيوفِّر على المدينة تكلفة المُحاكمة، في عالم هاري.. لا يُمكِن لضمير المرء أن

يتعايش مع هذا النوع من العار.

ولكن.. كما كان هاري يعرف جيدًا، فعالمه كان قد مات منذ أمد بعيد، وليس لديّ أي ضمير، عار، أو ذنب، كُل ما لديّ هو قرص مضغوط يحتوي على قليلٍ من الصور، وبالطبع.. كانت هذه الصور أقل منطقية من وجود ضمير.

يجب أن يكون هناك القليل من التفسير الذي لا يتضمَّن قيام ديكستر بقيادة شاحنة في أنحاء ميامي أثناء نومه، بالطبع بدا وكأن أغلب السائقين الموجودين على الطريق يقومون بذلك، لكن كانوا على الأقل مُستيقظين جزئيًّا عندما بدأوا، أليس كذلك؟ وها أنا ذا، مفتوح العينين وواعٍ تمامًا ولست من ذلك النوع من الرجال الذين يجوبون المدينة ويقتلون دون وعي على الإطلاق، لا.. كُنت من النوع الذي يريد أن يكون مُستيقظًا في كُل لحظة من الأمر، ومن أجل الوصول لنتيجةٍ نهائيةٍ، كانت هناك تلك الليلة على طريق الجسر، من المُستحيل جسديًّا أن ألقي بالرأس على سيارتي.. أليس كذلك؟

ما لم أجعل نفسي أصدِّق أن بإمكاني التواجد في مكانين في آنٍ واحدٍ، وهو الأمر الذي يبدو منطقيًّا للغاية، نظرًا لأن البديل الوحيد الذي يُمكنني التوصُّل إليه هو تصديق أنني كُنت أعتقد أنني كُنت جالسًا في سيارتي أراقِب شخصًا آخر وهو يلقي بالرأس نحو سيارتي، وحينئذ...

لا، هذا سخيف، لم أستطِع أن أطلب من القطع القليلة الأخيرة من عقلي أن تؤمِن بهذا النوع من القصص الخيالية، يجب أن يكون هناك تفسير منطقي وبسيط للغاية، وسأجده، وعلى الرغم من أنني بدوت كرجل يحاول إقناع نفسه لا يوجد أي شيء تحت

الفـراش، قُلتهـا بصـوتٍ عـالٍ.

قُلت لنفسي: "هناك تفسير منطقي وبسيط".

ولأنـك لا تعـرف أبـدًا مـن هنـاك غـيرك ليسـتمِع، أضفـت: "ولا يوجـد شيء تحـت الفـراش».

ولكـن مـرة أخـرى.. كان الـرد الوحيـد هـو صمـت ذو مغـزى مـن الراكِـب المُظلِـم.

وبخـلاف الرغبـة العارمـة الطاغيـة لإراقـة دم السـائقين الآخريـن، لم أجِـد أي إجابـات في طريقـي للمنـزل، أو لأكـون صادقًـا تمامًـا.. لم أجـد إجابـات منطقيـة، كان هنـاك الكثـير مـن الإجابـات الغبيـة، لكنهـم جميعًـا كانـوا يـدورون حـول نفـس الفرضيـة المركزيـة، وهـو أن كُل شيء لم يكُـن عـلى مـا يُـرام داخـل جُمجمـة وحشـنا المُفضَّـل، ووجـدت صعوبـةً بالغـةً في تقبُّـل ذلـك، وربمـا كان السـبب الوحيـد لذلـك هـو أننـي لم أشـعر بـأي جنـون أكـثر مـما شـعرت بـه في أي وقـت مـضى، لم ألاحِـظ فقـدان أي نسـيج رمـادي، لم يبـد أننـي أفكِّـر بشـكلٍ أبطـأ أو أكـثر غرابـة، وحتـى الآن لم أحـظ بـأي مُناقشـات مـع رفاقـي غـير المرئيـين عـلى حـد علمـي.

مـا عـدا في نومـي بالطبـع.. وهـل هـذا يُحتسـب حقًـا؟ أولسـنا جميعًـا مجانـين في نومنـا؟ ومـا هـو النـوم في النهايـة، سـوى العمليـة التـي نتخلَّـص فيهـا مـن جنوننـا في حُفـرة مُظلِمـة بالعقـل الباطِـن، لنخـرج بعدهـا مـن الجهـة الأخـرى مُسـتعدين لأكل الحبـوب بـدلًا مـن أطفـال الجـيران؟

وبخـلاف الأحـلام التـي كُنـت أحلـم بهـا، فـكُل شيء كان منطقيًـا؛ ألقـى شـخص آخـر الـرأس نحـوي عـلى طريـق الجـسر، تـرك دميـة بـاربي

في شقتي، رتّب الجُثث بطريقةٍ مُثيرة للاهتمام، شخص آخر، وليس أنا، شخص آخر غير ديكستر المُظلم العزيز، وهذا الشخص الآخر تم التقاط صورته أخيراً، هنا، في هذه الصور الموجودة على القرص المضغوط، وسأنظر للصور وأثبت لمرة وإلى الأبد أن..

أن هذا القاتِل يبدو لي وكأنه أنا؟

جيد يا ديكستر، جيد جدًّا، أخبرتك أن هناك تفسيراً منطقيًّا، هذا الشخص الآخر كان في الواقِع أنا، بالطبع.. يصنع هذا منطقًا رائعًا.. أليس كذلك؟

وصلت إلى المنزل وألقيت نظرة خاطِفة على شقتي، لا يبدو أن هناك أي شخص ينتظرني، ولم يكُن هناك سبب لحدوث ذلك بالطبع، لكن معرفة أن هذا الشيطان الذي كان يروِّع المدينة يعرف أين أعيش كانت مُقلِقة قليلًا، لقد أثبت أنه من ذلك النوع من الوحوش الذي قد يفعل أي شيء، كان بإمكانه أن يأتي ليترك لي المزيد من أجزاء الدمى في أي وقت، خصوصًا لو كان أنا.

وبالطبع لم يكُن أنا، بالتأكيد لا، ستُظهِر الصور شيئًا صغيراً لأثبِت أن التشابه لم يكُن أكثر من صدفة فحسب، وحقيقة أن جرائم القتل تلك بدت مألوفة للغاية كانت أيضًا مُصادفة بلا شك، أجل، من الواضِح أن تلك كانت سلسلة من المُصادفات الوحشية المنطقية تمامًا، ربما يجب أن أتصل بالمسؤولين عن موسوعة جينيس، تساءلت عما هو الرقم القياسي لعدم التأكُّد مما إذا كُنت قد ارتكبت سلسلة من جرائم القتل؟

وضعت قرصًا مضغوطًا للموسيقي فيليب جلاس وجلست على مقعدي، حرّكت الموسيقى الفراغ الموجود بداخلي، وبعد عدة دقائق عاد شيء يُشبه هدوئي المُعتاد ومنطقي الجليدي، ذهبت

إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بي وقُمت بتشغيله، وضعت القرص المضغوط في مُحرك الأقراص وفحصت الصور، قُمت بتكبير وتصغير كُل واحدة منهم، قُمت بفعل كُل ما أعرف فعله في محاولة لتنظيف الصور، قُمت بتجربة أشياء كُنت قد سَمِعت عنها فقط، وقُمت بأشياء كُنت قد اختلقتها للتو، لكن شيئًا لم يفلَح، في النهاية.. لم أحقِّق أي إنجاز يُذكَر عما بدأت، لم يكُن من المُمكِن الحصول على دقة كافية لتوضيح وجه الرجل الموجود في الصورة، ورغم ذلك.. ظللت أحدِّق في الصور، حرَّكتها بزوايا مُختلِفة، طبعتها ورفعتها عاليًا نحو الضوء، فعل كُل شيء كان سيفعله أي شخص عادي، وبينما كُنت مسرورًا بمحاولة تقليدي، لم أستطِع اكتشاف أي شيء سوى أن الرجل الموجود في الصورة يُشبهني.

لم أستطِع الحصول على انطباع واضِح عن أي شيء، حتى ملابسه، كان يرتدي قميصًا يُمكِن أن يكون أبيض، أو أسمر، أو أصفر، أو حتى أزرق فاتِحًا، كان ضوء ساحة انتظار السيارات المُنعكِس عليه واحدًا من أضواء الأرجون والتي توهَّجت بلونٍ برتقالي وردي؛ وما بين هذا وبين ضعف جودة الصورة كان من المُستحيل معرفة المزيد، كان سرواله فضفاضًا وطويلًا، فاتح اللون، في العموم.. كان زيًّا قد يرتديه أي شخص، بما في ذلك أنا، كُنت قد ارتديت ملابس تُشبه تلك عدة مرات من قبل، وقد كانت كافية لخلق فصيلة كاملة من أشباه ديكستر.

تمكَّنت بالفعل من تكبير جانِب الشاحنة بما يكفي لأتبيَّن حرف الـ (ا) وتحته كان هناك حرف (ل) متبوعًا بحرف (و) ثم حرف (ن) أو (ت)، لكن الشاحنة نفسها كانت بعيدة عن الكاميرا، وكان هذا هو كُل ما استطَعت رؤيته.

لم تُقـدِّم لي أي مـن الصـور الأخـرى أي تلميحـات، شـاهدت التسلسُـل مـرة أخـرى؛ الرجـل يختفـي، يعـود للظهـور، ثـم تختفـي الشـاحِنة، دون زوايـا تصويـر جيـدة، أو لمحـات مُختلَسـة مـن لوحـة سـيارته، ولا يوجـد لـديّ أي سـبب لأقـول إذا مـا كان بارعًـا مثـل ديكسـتر الحالِـم أم لا.

عندمـا نظـرت بعيـدًا عـن جهـاز الكمبيوتـر في النهايـة، كان الليـل قـد حـل وانتـشر الظـلام بالخـارِج، وفعلـت الـشيء الـذي كان الشـخص العـادي ليفعلـه منـذ سـاعات؛ استسـلمت، لم يكُـن هنـاك شيء آخـر بإمـكاني القيـام بـه سـوى انتظـار ديـبرا، كان عـليّ أن أتـرك أختـي المسـكينة المُعذَّبـة لتسـحبني إلى السـجن، فبعـد كُل شيء، وبطريقـةٍ أو بأخـرى، أنـا مُذنِـب، ويجـب أن أسـجَن حقًّـا، ربمـا يُمكننـي مُشـاركة ماكهيـل في الزنزانـة، سـيُمكِنه أن يُعلمنـي رقصـة الجـرذان.

وعندما خطرت لي هذه الفكرة، فعلت شيئًا رائعًا.

غططت في النوم.



الفصل الرابع والعشرون

لم أحظَ بأي أحلام، لا إحساس بالانتقال خارِج جسدي، لم أشاهِد أي استعراضات لصور شبحية أو أجساد برؤوسٍ مقطوعةٍ خالية من الدماء، لم تتراقَص رؤى السُّكر في رأسي، لم يكُن هناك أي شيء، ولا حتى أنا، لا شيء سوى نوم عميق وخالِد، ورغم ذلك.. عندما أيقظني الهاتِف، عَلِمت أن المُكالمة كانت بخصوص ديبرا، وعَلِمت أنها لن تأتي، كانت يدي تتعرَّق بالفعل عندما أمسكت سماعة الهاتِف وأنا أقول: "أجل".

أتاني الصوت قائلًا: "أنا النقيب ماثيوس، أحتاج للحديث مع المُحقِّقة مورجان من فضلك".

قُلت وجزء مني غارق في التفكير عما يعني ذلك: "إنها ليسَت هنا".

"حسنًا، هذا ليس... متى غادرت؟".

نظرت إلى ساعتي بشكلٍ غريزي؛ كانت الساعة التاسعة والربع، غرقت في العرق أكثر وأنا أقول للنقيب: "لم تأتِ إلى هنا".

"لكنها سجَّلَت خروجها إلى منزلك، إنها في الخدمة.. ومن المُفترض أن تكون هنا".

"لم تصل إلى هنا أبدًا".

قال: "اللعنة على ذلك، قالت أن لديك بعض الأدلة التي نحتاجها".

قُلت قبل أن أنهي المُكالمة: "لديّ؟».

لـديّ بعـض الأدلـة، كُنـت متأكـدًا تمامًـا مـن ذلـك، لكننـي فقـط لم أكُـن أعـرف مـا هـي بالضبـط، لكـن كان علـيّ أن أكتشِـف الأمـر، ولم أكُـن أعتقِـد أن لـديّ الكثـير مـن الوقـت، أو كي أكـون أكـثر دقـة، لم أكُـن أعتقـد أن لـدى ديـب الكثـير مـن الوقـت.

ومـرة أخـرى، دون أن أعلـم كيـف عرفـت بالأمـر، قُلـت لنفسـي دون وعـي: "ديـبرا بحوزتـه»

لم تظهَـر في ذهنـي صـورة مُقلِقـة لمصيرهـا الوشـيك، ولم أكُـن مُضطـرًا إلى تجربـة أي رؤى عمياء أو التفكـير في (يـا إلهـي، كان يجـب أن تكـون ديـبرا هنـا الآن، هـذا ليـس مـن عاداتهـا)، عرفـت الأمـر فحسـب، مثلـما عرفـت عندمـا اسـتيقظت، أن ديـبرا كانـت آتيـة مـن أجـلي، لكنهـا لم تصـل إلى هنـا، وعرفـت مـاذا يعنـي ذلـك.

أنها بحوزته.

كان قـد أخذهـا مـن أجـل منفعتـي التامـة، هـذا كُنـت أعرفـه، لطالمـا كان يضيـق الخنـاق مـن حـولي، يدخُـل إلى شـقتي، يكتـب لي رسـائل صغـيرة بضحايـاه، يسـتفزني بتلميحـات وإشـارات عـما كان يفعلـه، والآن أصبـح قريبًـا لي أكـثر مـن ذي قبـل دون أن يكـون معـي في الغُرفـة ذاتهـا، لقـد أخـذ ديـب، كان ينتظـر معهـا، ينتظـرني.

لكـن أيـن؟ ولكـم مـن الوقـت سـينتظرني قبـل أن ينفـد صـبره ويبـدأ اللعـب دوني؟

وبـدوني.. كُنـت أعلـم جيـدًا مـن سـتكون رفيقـة لعبـه، ديـبرا، لقـد دخلـت إلى شـقتي وهـي مُرتديـة ملابِـس العمـل في زي العاهـرة، مُغلفـة تمامًـا كالهديـة بالنسـبة لـه، لا بُـد وأنـه اعتقـد أنهـا أعيـاد عيـد الميـلاد.

كانـت بحوزتـه، وسـتكون صديقتـه الخاصـة الليلـة، لم أكُـن أريـد أن

أفكِّر فيها بهذه الطريقة، مُقيَّدة ومربوطة بإحكامٍ وتراقِب قطعًا فظيعة منها تختفي ببطءٍ للأبد، لكن هذا ما سيحدُث، في ظل ظروف أخرى، كانت هذه لتكون أمسية ترفيه رائعة، لكن ليس مع ديبرا، كُنت على يقين من أنني لم أكُن أرغب في ذلك، لم أكُن أريده أن يفعل أي شيء رائع ودائم، ليس الليلة، ربما لاحقًا، مع شخص آخر، عندما نعرف بعضنا البعض بشكلٍ أفضل قليلًا، لكن ليس الآن، وليس مع ديبرا.

وبهذه الخاطرة بدا كُل شيء أفضل، كان من اللطيف أن يتم تسوية ذلك، أفضِّل بقاء أختي على قيد الحياة، بدلًا من أن تكون قطعًا صغيرة خالية من الدماء، رائع.. تكاد تكون لمحة إنسانية مني، والآن بما أنه تم تسوية ذلك: ماذا بعد؟ بإمكاني الاتصال بريتا، ربما نذهب لمُشاهدة فيلم، أو لنزهة في الحديقة، أو.. لنرى، ربما، لا أعرف.. أنقِذ ديبرا؟ أجل، يبدو هذا مُمتعًا، لكن..

كيف؟

بالطبع كان لديّ القليل من الأدلة، كُنت أعرف الطريقة التي يُفكِّر بها، فبعد كُل شيء.. كُنت أفكِّر بنفس الطريقة، وهو يريدني أن أجده، كان يُرسِل تلك الرسالة بصوتٍ عالٍ وواضحٍ، إذا ما كان بإمكاني إخراج كُل هذا الغباء المُشتِّت خارج رأسي -كُل الأحلام ومُطاردة الجنيات في العصور الحديثة وكُل شيء آخر- فسيتسنى لي أن أكون مُتأكِّدًا من أن باستطاعتي الوصول إلى الموقع المنطقي والصحيح، لم يكُن ليأخُذ ديب إلا إذا اعتقد أنه أعطاني كُل شيء يحتاج الوحش الذكي لمعرفته من أجل العثور عليه.

حسنًا إذًا، يا ديكستر الذكي.. لتجده، تعقَّب مُختطف ديب، دع المنطِق القاسي ينزلِق عبر الممر الخلفي مثل عتاد صيد الذئاب،

ضع دماغك الجبَّار في حالة التأهُّب القصوى، دع الريح تعصف عبر نقاط الاشتباك العصبي لعقلك القوي كما لو كان يُسرِع لنهايته الجميلة الحتميَّة، انطلق يا ديكستر، انطلق!

ديكستر؟

مرحبًا؟ هل من أحد هناك؟

على ما يبدو.. لا، لم أسمع أي رياح تعصف عبر نقاط الاشتباك العصبي، كُنت فارغًا كما لم أكُن من قبل، لم تكُن هناك دوامة من المشاعر المُنهِكة بالطبع، لأنه لم يكُن لديّ أي مشاعِر لتدور، لكن النتيجة كانت مُخيفة بنفس القدر، كُنت مُخدرًا ومُرهقًا كما لو أنني كُنت أشعر بشيءٍ ما حقًّا، ديبرا اختفت، كانت في خطرٍ داهمٍ بأن تُصبِح قطعة فنية رائعة التكوين، كان أملها الوحيد في الحفاظ على أي نوع من أنواع البقاء بأي شكل آخر غير مجموعة من الصور الثابِتة التي تم التقاطها لتُعلَّق على لوحة مُختبر شُرطة هو شقيقها العاجِز معطوب الدماغ، ديكستر المسكين، الكلب الأخرق، الجالس في مقعده بينما يدور عقله في دوائر، يُطارِد ذيله، ويعوي على القمر.

أخذت نفسًا عميقًا، من بين كُل الأوقات التي احتجت فيها أن أكون أنا، كان هذا أهمهم جميعًا، ركزْت بشدة وأنا أهدئ من روعي، وعندما عادت كمية صغيرة من ديكستر ليتردَّد صداها في تجويف دماغي، أدركت كم أصبحت إنسانًا وغبيًّا، لم يكُن هذا لُغزًا كبيرًا في الواقِع، كان الأمر واضحًا بشكلٍ كبيرٍ، لقد فعل صديقي كُل شيء ما عدا إرسال دعوة رسمية مكتوب بها: (شرف حضورك عندما أقوم بتشريح أختك مطلوب، القلب الأسود اختياري)، ولكن حتى هذه النقطة الصغيرة من المنطِق كان قد تم محوها من جُمجمتي

النابضة بفكرٍ جديدٍ كان يشُق طريقه إليها، لتقطر منطقًا فاسدًا.

كُنت نائمًا عندما اختفت ديبرا.

هل يعني ذلك أنني فعلت هذا دون أن أدري؟ ماذا لو كُنت قد قُمت بتقطيع ديبرا في مكانٍ ما، وقُمت بتكديس القطع في غُرفة تخزين صغيرة، باردة، و...

غُرفة تخزين؟ من أين أتى ذلك؟

الشعور بالانغلاق.. الشعور بأن الخزانة الموجودة في حلبة الهوكي كانت صحيحة.. الهواء البارِد الذي يهُب على طول عمودي الفقري.. لماذا كان هذا مُهِمًّا؟ لماذا أستمِر في العودة إلى ذلك؟ لأنه بغض النظر عما حَدَث، كُنت أعود؛ أعود إلى نفس الذكريات غير المنطقية، التي لا يوجد أي سبب يُفسِّر قدرتي على رؤيتها، ماذا يعني ذلك؟ ولماذا ألقي بالًا لمعناه من الأساس؟ لأنه سواء كان ذلك يعني شيئًا أو لا، كان كُل ما عليّ فعله، كان عليّ أن أجد مكانًا يُطابِق إحساس البرودة والراحة، ببساطة.. لم يكُن هناك أي طريق آخر لأقطعه. عليّ أن أجد الصندوق، وهناك سأجد ديب أيضًا، وسأكتشف كذلِك إما أنه أنا أو لست أنا، أوليس هذا بسيطًا؟

لا، لم يكُن الأمر بسيطًا على الإطلاق، كان غبيًّا، ليس من المنطقي على الإطلاق أن أولي أي انتباه يذكّر للرسائل السرية الروحية التي تصلني من أحلامي، ليس للأحلام وجود في الواقِع، لم يترك فريدي كروجر أي آثار مخالِب على عالم اليقظة، لم يكُن بإمكاني الخروج من المنزل والقيادة دون هدف وأنا في حالة من الذهول النفسي، كُنت مخلوقًا رائعًا ومنطقيًّا، وبدا الأمر رائعًا ومنطقيًّا عندما أغلقت باب شقتي وتوجّهت إلى السيارة، ما زلت لا أعرف إلى أين سأذهَب، لكن حاجتي للوصول إلى هناك سريعًا جذبت زمام الأمر

وقادتني وصولًا إلى منطقة وقوف السيارات، لكن على بُعد عشرين قدمًا من سيارتي، توقَّفت وكأنني اصطدمت بجدارٍ خفي.

كان الضوء الداخلي للسيارة مضاءً.

من المؤكَّد أنني لم أتركه يعمل.. كُنا لا نزال في وضح النهار عندما صففتها، وكان بإمكاني أن أرى أن الأبواب كانت مُحكمة الإغلاق، كان اللص العادي ليترك باب السيارة مفتوحًا تجنبًا لضوضاء إغلاقه.

اقتربت ببطءٍ، لم أكُن مُتأكِّدًا مما كُنت أتوقَّع رؤيته أو إذا ما كُنت أرغب حقًّا في رؤيته، تمكَّنت من رؤية شيء ما في مقعد السائِق من على بُعد خمسة أقدام، دُرت حول السيارة بحذرٍ وأمعنت النظر، توتَّرت أعصابي، اقتربت بشدة، وها هو ذا.

دمية باربي مرة أخرى، كُنت أحصل على مجموعةٍ كبيرةٍ.

كانت هذه ترتدي قبعة بحَّارة صغيرة، قميصًا قصيرًا، وسروالًا ضيقًا وردي اللون، وفي إحدى يديها كانت تُمسِك حقيبة صغيرة مكتوبًا على جانبها (كونارد).

فتحت الباب والتقطت الدمية، جذبت الحقيبة الصغيرة من يد باربي وفتحتها، سقطت منها بعض الأشياء الصغيرة وتدحرجت على لوح الأرضية، التقطتها، بدا كثير الشبه بخاتم صف ديبرا، وبداخِل الحلقة المعدنية حُفرت حروف (د.م)، الأحرف الأولى من اسم ديبرا.

انهرت على المقعد، مُمسكًا بدمية باربي في يديّ المُتعرِّقتين، قلبتها، ثنيت ساقيها، لوَّحت بيديها، ماذا فعلت الليلة الماضية يا ديكستر؟ لقد لعبت بدميتي بينما قام صديقي بتقطيع شقيقتي.

لم أضع أي وقت في التساؤل عن كيفية دخول دمية باربي العاهرة البحرية إلى سيارتي، كانت هذه رسالة واضحة.. أم تراها دليلًا؟ لكن

الأدلـة يجـب أن تقـود إلى شيءٍ مـا، وهـذا الدليـل يبـدو أنـه يقـودني إلى اتجـاهٍ خاطئ.

مـن الواضِـح أن ديبـي بحوزتـه.. لكـن كونـارد؟ كيـف يتَّفِـق ذلـك مـع مسـاحة القتـل البـاردة الضيقـة؟ لا أرى أي رابِـط، لكـن في الحقيقـة.. هنـاك مـكان واحـد فقـط في ميامـي تتَّفِـق معـه.

قُـدت سـيارتي واتجهـت يمينًـا عـبر كوكونـوت جـروف، اضطـررت إلى الإبطـاء أثنـاء عبـوري لموكـبٍ مـن الأغبيـاء السُـعداء المُتراقصـين بـين المحـلات والمقاهـي، ويبـدو أن لديهـم جميعًـا الكثـير مـن الوقـت والمـال، والقليـل مـن الأدلـة التـي يسـعون خلفهـا، استغرق الأمـر وقتًـا أكـثر مـما ينبغـي لأتجاوزهـم، لكـن كان مـن الصعـب أن أشـعُر بالضيـق في ظـل عـدم معرفتـي إلى أيـن أنـا ذاهِـب، مُتجهًـا نحـو مـكان مـا، عـلى طـول طريـق بايفرونـت درايـف، وصـولًا إلى بريـكل، ومنهـا نحـو وسـط المدينـة، لم أر أي لافتـات ضخمـة مُضيئـة بأسـهم متوهِّجـة وكلـمات مُشـجِّعة لتوجيهـي: (توجَّـه مـن هنـا إلى التشريـح!)، لكننـي اسـتمررت في القيـادة، اقتربـت مـن السـاحة الرياضيـة الترفيهيـة أمريـكان إيرلاينـز أرينـا، ومـن بعدهـا إلى جسر مـاك آرثـر مُباشرةً، في اللمحـة السريعـة التـي حصلـت عليهـا عندمـا مـررت بجـوار الجانِـب القريـب مـن السـاحة، اسـتطعت أن أرى البنيـة الفوقيَّـة لسـفينة سـياحية ذات مظهـر حكومـي، ليسـت سـفينة كونـارد لاينـز بالطبـع، نظـرت بقلـقٍ نحـو بعـض اللافتـات، كان مـن الواضِـح أنـه لم يتـم توجيهـي إلى سـفينةٍ سـياحيةٍ مُزدحِمـة للغايـة، بعـددٍ كبـيرٍ مـن المُتطفِّلـين، لكـن في مـكانٍ قريـب، في مـكانٍ مُرتبِـطٍ، والـذي بالطبـع يجـب أن يعنـي.. مـاذا؟ لا مزيـد مـن الأدلـة، أحكمـت النظـر نحـو سـطح السـفينة السـياحية لإذابـة الزحـام، لكـن ديـبرا لم تظهـر في المـكان أو ترقُـص في الممـر.

بحثت بشكلٍ أكبر، بجوار السفينة، ارتفعت رافعات الشحن عاليًا نحو سماء الليل مثل دعائم مهجورة من حرب النجوم، أبعد قليلًا.. أسفل الرافعات كانت أكوام صناديق الشحن بالكاد مرئية في الظلام، مُصطفة في أكوامٍ كبيرةٍ غير مُرتَّبة، مُبعثرة على الأرض كما لو أن طفلًا كبيرًا قد شعر بالملل الشديد قد أخرج صندوق لعبه المليء بالمُكعبات، بعض وحدات التخزين كانت ثلاجات، وخلف هذه الصناديق..

للخلف قليلًا لدقيقةٍ يا ولدي العزيز.

من الذي كان يهمس لي، يتمتم بأي كلمات خافتة للراكب المُظلِم الوحيد الذي يقود ديكستر؟ والذي يجلس خلفي الآن؛ والذي ملأت قهقهته الجافة المقعد الخلفي؟ ولماذا؟ وما هي الرسالة التي كانت تتخبَّط في رأسي الخالي من العقل والصدى؟

وحدات تخزين.

بعضها مُبرَّد.

لكن لماذا وحدات التخزين؟ وما السبب المُحتَمل الذي قد يجعلني مُهتَمًّا بكومة من الوحدات البارِدة والمُغلَقة بإحكامٍ؟

حسنًا، بما أنك صغتها بهذه الطريقة.

هل يُمكِن أن يكون هذا هو المكان، المنزل المُستقبلي لمتحف مسقط رأس ديكستر؟ مع معروضات أصلية نابِضة بالحياة، بما في ذلك عرض حي نادِر لشقيقة ديكستر الوحيدة؟

جذبت عجلة القيادة بقوة، قاطعًا طريق سيارة WMB ضغط سائقها على نفيره بصوتٍ عالٍ للغاية، رفعت له إصبعي الأوسط، لمرةٍ واحدةٍ كُنت أقود سيارتي كمواطِن من مواطني ميامي،

أسرَعـت عـلى طريـق الجسر.

كانـت السـفينة السـياحية تُبحِـر عـلى اليسـار، والمنطقـة التـي تحتـوي الصناديـق عـلى اليمـين، مُحاطـة بسـياجٍ يعلـوه سـلك شـائك، قُـدت سـيارتي عـلى طريـق الوصـول، أقـاوِم مـدًّا متصاعـدًا مـن اليقـين، وجوقـة مُتضخِّمـة مـما بـدا لي وكأنـه أغـاني الراكِـب المُظلِـم الجامعيـة، كان الطريـق مسـدودًا بكشـك حراسـة قبـل الوصـول للحاويـات، كانـت هنـاك بوابـة مـع العديـد مـن السـادة المُحترمـين مرتـدي الأزياء الرسـمية يتسـكَّعون حولهـا، والتـي لا يُمكِـن عبورهـا دون الإجابـة عـلى بعـض الأسئلة المُحرِجـة لحـدٍ مـا، مـن فضلـك يـا حـضرة الضابِـط، أتسـاءل عـن إمكانيـة عبـوري للبحـث في المنطقـة؟ فكـما تـرى.. أعتقـد أن هـذا قـد يكـون مكانًـا جيـدًا لصديـقٍ لي ليقـوم بتقطيـع شـقيقتي.

قطعـت صفًّـا مـن الأقـماع البرتقاليـة في مُنتصـف الطريـق عـلى بُعـد ثلاثـين قدمًـا مـن البوابـة واسـتدرت، عائـدًا مـن حيـث أتيـت، كانـت السـفينة السـياحية تلـوح في الأفـق الآن، اسـتدرت يسـارًا قبـل أن أعـود مـن الجـسر إلى الطريـق الرئيـسي، قُـدت سـيارتي نحـو منطقـة واسـعة بهـا فاصِـل في نهايـة ناحيـة، وسـياج مُتصِـل بسلسـلة مـن الناحيـة الأخـرى، كان السياج قـد تـمَّ تزيينـه بمـرحٍ بعـدة لافتـات تُهـدِّد بعقـاب أي شـخص يضـل طريقـه إلى المنطقـة، وموقَّعـة مـن قِبَـل الجـمارِك الأمريكيـة.

يقـود السـياج إلى الطريـق الرئيـسي عـلى طـول موقـف سـيارات واسِـع، كان خاليًـا في هـذا الوقـت مـن الليـل، تجوَّلـت في محيطـه ببطءٍ، مُحدِّقًا في الحاويـات الموجـودة عـلى الجانِـب البعيـد، قـد تكـون آتيـة مـن موانـئ أجنبيـة، تحتـاج للمـرور عـبر الجـمارِك، وعبـور رقابـة مُشـدَّدة، حينئـذ سـيكون مـن الصعـب عـلى أي شـخص أن يدخُـل أو يخـرُج مـن

تلك المنطقة، خصوصًا إذا ما كان يحمِل أحمالًا مشكوكًا فيها مكونةً من أجزاء الجسد أو ما شابه، سأحتاج إما أن أجِد منطقة مُختلِفة أو أن أعترِف بأن مُطاردة هذه المشاعِر الغامِضة التي انبثقت من سلسلة من الأحلام الساخرة، والدمية ذات الملابس المُثيرة كانتا مضيعة للوقت، وكُلما أسرعت في الاعتراف بذلك، حظيت بفرصة أفضل في العثور على ديب، لم تكُن هنا، ولا يوجد أي سبب يُحتِّم وجودها هنا.

أخيرًا.. فكرة منطقية، شعرت بقليلٍ من التحسُّن، وبالتأكيد كُنت سأكون مُتعجرفًا بهذا الشأن.. لو لم أر لوحة شاحِنة مألوفة متوقِّفة أمام الجزء الداخلي من السياج مُباشرةً، متوقِّفة بشكلٍ يسمح لي برؤية الحروف المكتوبة على جانبها والتي تكوِّن جُملة (الأخوة ألونزو)، صَدَح حشدي الخاص في قبو عقلي بصوتٍ عالٍ لدرجة أنني سمعت نفسي أبتسِم، لذا ضغطت على الفرامِل وتوقَّفت، كان الولد الذكي بداخلي يطرُق على باب عقلي الأمامي وهو يصرُخ: "أسرع! أسرِع! هيا.. هيا.. هيا!".

لكن في النهاية ظهر الزاحِف واقترب من النافِذة قبل أن يلعقها بلسانه الحَذِر، لذلك جلست لبرهة في السيارة قبل أن أخرج في النهاية.

مشيت نحو السياج ووقفت كما لو أنني مُمثِّل صغير في فيلم عن مُعسكر سجن في الحرب العالمية الثانية، تعلَّقت أصابعي في فجوات السياج، أتوق بشدةٍ إلى ما يقبع خلفه، على بُعد أمتار قليلة مُستحيلة، كُنت مُتأكِّدًا من أنه يجب أن تكون هناك طريقة بسيطة جدًّا لمخلوقٍ ذكي مثلي ليدخُل، لكن ذلك كان مؤشرًا على الحالة التي كُنت أمر بها لدرجة أنني لم أستطِع أن أقوي فكرة

بفكـرة أخـرى، يجـب عـليّ أن أدخُـل، لكننـي لا أسـتطيع، وهكـذا وقفـت هنـاك مُتشـبثًا بالسـياج ومُتطلّعًـا إلى الداخِـل، مُـدرِكًا تمامًـا أن كُل مـا يهـم موجـود بالداخِـل، عـلى بُعـد أمتـار قليلـة، لم أتمكَّـن عـلى الإطـلاق مـن إجبـار عقـلي الـذكي عـلى حـل المُشـكلة والتوصُّـل إلى طريقـةٍ للدخـول، يختـار العقـل أوقاتًـا سـيئة للغايـة ليذهَـب في نزهـة، أليـس كذلـك؟

انطلـق منبِّـه مقعـدي الخلفـي، اضطـررت إلى الابتعـاد، والآن.. كُنـت أقِـف بارتيـابٍ في منطقـة حراسـة مُشـدَّدة، وكان الليـل قـد حـل، وكان مـن المؤكَّـد.. أنـه في أي لحظـة الآن سـيهتم أحـد الحُـرَّاس بالشـاب الوسـيم الـذي يُحـدِّق بتركيـز عـبر السـياج، كُنـت سـأضطر للمـضي قدمًـا والعثـور عـلى طريـقٍ مـا بينـما أقـود سـيارتي، تراجعـت مُبتعـدًا عـن السـياج، قبـل أن أرمقـه بنظـرةٍ مُحِبـةٍ أخـيرةٍ، وهنـاك بالضبـط، حيـث لامسـت قدمـاي السـياج، كان القطـع بالـكاد مرئيًـا، تـم قطـع السـياج بمـا يكفـي لعبـور شـخص واحـد، أو عـلى الأقـل نسـخة جيـدة تُشـبهني، كانـت الثنيَّـة مُثبَّتـة في مكانهـا بثِقـل الشـاحِنة المتوقِّفـة كي لا تتأرجَـح وتتخـلى عـن ثباتهـا، لا بُـد وأن هـذا قـد تـمَّ مؤخـرًا، هـذا المسـاء، عنـد وصـول الشـاحِنة.

دعوتي الأخيرة.

تراجعـت ببطـءٍ، شـعرت برسـالة مـن الترحيـب التلقـائي مـع ابتسـامة شـاردة تغطـي وجهـي كقنـاع، مرحبًـا أيهـا الضابِـط، أنـا هنـا مـن أجـل قليـل مـن التمشـية، أمسـية جميلـة للتشريـح.. أليـس كذلـك؟ عـدت إلى سـيارتي بسـعادةٍ، نظـرت مـن حـولي للقمـر الموجـود فـوق الميـاه، صفَّـرت بسـعادةٍ وأنـا أركـب سـيارتي وأقودهـا بعيـدًا، لم يبـد أن أي شـخص مُهتـم عـلى الإطـلاق.. باسـتثناء -بالطبـع- جوقـة الغنـاء الموجودة

في رأسي، صففت سيارتي في مكان مُخصَّص لوقوف السيارات بجوار مدخل السفينة السياحية، ربما على بُعد مائة ياردة من بوابتي الصغيرة المصنوعة يدويًا لتقودني للجنة، تناثرت بضع سيارات في المكان، لكن أحدًا لم يهتم بي.

لكن عندما أوقفت سيارتي، توقَّفت سيارة أخرى بالقُرب مني، سيارة شيفروليه زرقاء فاتحة تجلس امرأة خلف عجلة قيادتها، جلست ساكنًا للحظةٍ، وهكذا فعلَت، فتحت بابي وخرجت منها. وهكذا فعلت المُحقِّقة لاجويرتا.

الفصل الخامس والعشرون

لطالما كُنت جيدًا للغاية في المواقِف الاجتماعية المُحرِجة، لكن يجب أن أعترِف أن هذا الموقِف جَعَلَني في حيرةٍ من أمري، لم أكُن أعرِف ماذا أقول، وللحظةٍ.. حدّقت في لاجويرتا مثلما حدّقت بي دون أن ترمش بعينيها مُكشِّرةً عن أنيابها قليلًا، مثل قط مُفترِس يحاوِل أن يُقرِّر إذا ما كان سيلعَب معك أو سيلتهمك، لم أستطِع أن أفكِّر في أي تعليق لا يبدأ بلعثمة، بينما بدت هي مُهتمَّة بمُراقبتي فحسب، لذلك وقفنا هناك للحظةٍ طويلةٍ.

أخيرًا.. كسرت حاجز الصمت بمِزاحٍ خفيفٍ.

سألت وهي تومئ برأسها نحو السياج الموجود على بُعد مائة يـاردة: "ماذا يوجد هناك؟".

قُلت في تودُّد على أمل ألا تُلاحِظ ما قالته للتو: "لماذا أيتها المُحقِّقة! ماذا تفعلين هنا؟".

"قُمت بتتبّعك، ماذا يوجد هناك؟".

قُلت: "هناك؟".

أعلم أنه تعليق غبي للغاية، لكن بصراحة.. كانت تعليقاتي الذكية قد نفدت، ولم أتوقَّع أن أتوصَّل لأي شيء جيد في ظل هذه الظروف.

أمالَت رأسها قليلًا وهي تُخرِج لسانها، لعقت شفتها السُّفلية، ببطء إلى اليسار، اليمين، اليسار، قبل أن تدخله إلى فمها مرة أخرى، ثم أومأت برأسها وهي تقول: "لا بد وأنك تعتقِد أنني غبية".

بالطبع خطرت ببالي هذه الفكرة، مرارًا وتكرارًا، لكن لم يبد من الصحيح قول ذلك، أكمَلَت حديثها قائلة: "لكن عليك أن تتذكَّر.. أنا مُحقِّقة ماهرة، وهذه ميامي، كيف تعتقِد أنني وصلت لهذه المكانة؟".

ابتسمت ابتسامة مُجاملة وأنا أقول: "بِمُساعدة من مظهرك؟".

لا ضير أبدًا من مجاملة امرأة، ابتسمت لتظهر لي أسنانها الجميلة، التي تبدو حتى أكثر إشراقًا هنا على ضوء المصابيح مُكافِحة الجريمة الموجودة في منطقة وقوف السيارات، قالت: "هذا جيد".

لوت شفتيها في نصف ابتسامة غريبة جوَّفت وجنتيها، مما جعلها تبدو أكبر سنًّا وهي تقول: "اعتدت السقوط في فخ هذا النوع من الهراء عندما اعتقدت أنك مُعجب بي".

قُلت بشغفٍ بالغ: "أنا مُعجَب بكِ أيتها المُحقِّقة".

لكن لم يبد أنها تسمعني، أكملت حديثها قائلةً: "لكن بعد ذلك دفعتني على الأرض كما لو كُنت خنزيرةً من نوعٍ ما، وتساءلت.. ما الذي أخطأت فيه؟ هل لأنفاسي رائحة كريهة؟ قبل أن أدرِك الأمر، لم يكُن بي أي خطأ، إنه أنت.. هناك شيء خاطئ بشأنك".

بالطبع كانت مُحِقَّة، لكن رغم ذلك كان من المؤلِم أن أسمعها تقول هذا، قُلت: "أنا لست.. ماذا تقصدين؟".

هزَّت رأسها ثانيةً وهي تقول: "لطالما أراد الرقيب دوكس قتلك، وهو لا يعرف لذلك سببًا، كان يجب أن أستمِع إليه، هناك شيء خاطئ بشأنك، وبطريقةٍ ما.. أنت مُتَّصِل بهذه الأمور اللعينة".

"مُتَّصِل.. ماذا تقصدين؟".

هذه المرة شابت ابتسامتها بعض البهجة الوحشية، تسلَّلت

القليل من اللكنة ليصبغ حديثها وهي تقول: "وفِّر بعض هذا التظاهُر اللطيف من أجل مُحاميك، وربما من أجل القاضي، لأنني أعتقِد أنني أمسكت بك الآن".

نظرت لي لبرهةٍ، نظرة حادة قاسية، التمعت عيناها الداكنتان، بدت غير بشرية مثلي تمامًا، وهو ما جعل قشعريرة صغيرة تمر عبر مؤخرة عنقي، هل قلَّلت من شأنها حقًا؟ هل هي حقًّا بهذه البراعة؟

"ولهذا تتبَّعتني؟".

كشفت عن المزيد من أسنانها وهي تقول: "أجل، هذا صحيح، لماذا تتفحَّص السياج؟ ماذا يوجد بالداخِل؟".

أنا مُتأكِّد أنه في ظل الظروف العادية كُنت سأفكِّر في هذا من قبل، لكنني أدافِع عن نفسي بالإكراه، لم يخطر الأمر ببالي حتى هذه اللحظة حقًّا، لكن عندما حدث هذا، كان مثل ضوء صغير مؤلم يومض، سألتها: "متى بدأتِ بتتبُّعي؟ في المنزل؟ في أي وقت؟".

"لماذا تستمِر في تغيير الموضوع؟ هناك شيء ما، أليس كذلك؟".

"من فضلك أيتها المُحقِّقة، بإمكان هذا أن يكون مهمًّا للغاية، أين ومتى بدأتِ في تتبُّعي؟".

فحصتني لدقيقةٍ، وبدأت أدرِك أنني في الواقِع قد قُمت بالتقليل من شأنها حقًا، هذه المرأة تتمتَّع بالكثير من الحنكة السياسية، ويبدو أن لديها حقًّا شيئًا إضافيًا، ما زلت غير مُقتنِع بأن أيًّا من هذا كان ذكاءً، لكنها كانت تتحلى بالصبر، وفي بعض الأحيان.. كان هذا أكثر أهميةً من الذكاء في مجال عملها، كانت على استعداد أن تنتظِر وتراقبني، وأن تظل تُكرِّر أسئلتها حتى تحصل على إجابة،

وبعد ذلك.. كانت على الأرجَح ستطرَح نفس السؤال عدة مرات، تنتظِر وتُراقِب لقليلٍ من الوقت، لترى ماذا سأفعل، في العادة.. يُمكِنني خداعها، لكن لن يُمكِنني التفوُّق عليها، ليس الليلة، لذا تظاهرت بالتواضُع وأنا أكرِّر قولي: "من فضلك أيتها المُحقِّقة».

أخرجت لسانها مرة أخرى، في النهاية.. أدخلته مرة أخرى وهي تقول: "حسنًا، عندما اختفت شقيقتك لعدة ساعات دون أن تَرِد أي معلومات عن مكانها، بدأت في التفكير أنها على وشك القيام بشيءٍ ما، وأنا أعلَم أنها لا تستطيع القيام بأي شيء بمُفردها، فإلى أين ستذهب؟".

رفعت حاجبها في مواجهتي، ثم واصلت في لهجة المُنتصِرة: "إلى منزلك، هذا هو المكان! لتتحدَّث معك!".

أمالت رأسها وهي مسرورة من استنتاجها المنطقي وهي تستكمِل: "لذلك فكَّرت في أمرك لوهلةٍ، كيف تظهر دائمًا وتنظُر، حتى عندما لا تكون مُضطرًا لذلك، كيف تكشِف أمر هؤلاء القتلة المُتسلسلين دومًا.. باستثناء هذا؟ وبعد ذلك.. كيف حاولت خداعي بهذه القائمة الغبية، لتجعلني أبدو غبية، تدفعني فوق الأرض اللعينة».

بدا وجهها حادًّا، وبدت أكبر في السن لوهلةٍ، ثم ابتسمت وهي تقول: "قُلت شيئًا بصوتٍ عالٍ، في مكتبي، فقال الرقيب دوكس: لقد أخبرتكِ بشأنه، لكنكِ لم تستمعي لي، وفجأة.. رأيت وجهك الوسيم في كُل مكان لم يجب أن تكون موجودًا فيه، لذا ذهبت إلى منزلك أيضًا".

"متى؟ في أي وقت لاحظتِ ذلك؟".

قالت: "الآن، لكنني كُنت هناك لعشرين دقيقة فقط، قبل أن تظهر وتلعب بدمية باربي الشاذة الخاصة بك قبل أن تقود سيارتك إلى هنا".

عشرون دقيقة.. إذا لم تكُن موجودة هناك في الوقت المُناسِب لترى من أو ما الذي خَطَف ديبرا، وربما كانت تقول الحقيقة، وببساطةٍ.. تبعتني لترى.. لترى ماذا؟

"لكن لماذا تتبعينني من الأساس؟".

رفعت كتفيها وهي تقول: "أنت مُتَّصِل بهذا الأمر، ربما لم تفعله، لا أعرِف، لكنني سأكتشِف الأمر، وبعض ما سأكتشفه سيظل مُرتبِطًا بك، ماذا يوجد هناك؟ في هذه الصناديق؟ هل ستخبرني أم أننا سنقِف هنا طوال الليل؟".

وبطريقتها الخاصة.. كانت قد صبَّت جام غضبها عليّ، ليس بإمكاننا الوقوف هنا طوال الليل، ولن نفعل، كُنت متأكِّدًا من عدم قدرتنا على الوقوف هنا لفترةٍ أطول قبل أن تحدُث أشياء رهيبة لديبرا، إن لم تكُن قد حدثت بالفعل، علينا أن نذهَب، الآن، لنجده ونوقفه، لكن كيف سأفعل ذلك ولاجويرتا معي طوال الرحلة؟ شعرت وكأنني مذنِّب بذيلٍ لا أرغب به.

أخذت نفسًا عميقًا، أخذتني ريتا ذات مرة إلى ورشة للتوعية الصحية والتي شدَّدت على أهمية الوصول للراحة بالتنفُّس بعُمقٍ، أخذت نفسًا عميقًا، لكنني لم أشعُر بأي راحة بعده، لكن على الأقل جعل عقلي يُفكِّر على المدى القريب، وأدركت أنني سأفعل شيئًا نادرًا ما فعلته من قبل.. قول الحقيقة، كانت لاجويرتا لا تزال تحدِّق إليّ، في انتظار إجابة.

أخبرت لاجويرتا: "أعتقِد أن القاتِل هناك، وأعتقد أن الضابطة مورجان في حوزته".

راقبتني لوهلةٍ دون أن تتحرّك قبل أن تقول في النهاية: "حسنًا، لذلك أتيت ووقفت بجوار السياج لتنظر إليه؟ لأنك تُحب أختك حبًّا جمًّا للدرجة التي تجعلك ترغب في المُشاهدة؟".

"لأنني أردت الدخول، كُنت أبحث عن طريقة للدخول عبر السياج".

"لأنك نسيت أنك تعمل لدى الشُّرطة؟".

حسنًا، ها هي ذي.. بالطبع، كانت تُشير بالفعل إلى المُشكلة الحقيقية، وتوصَّلت إلى كُل هذا بنفسها أيضًا، لم يكُن لديَّ إجابة جيدة على ذلك، ويبدو أن مسألة قول الحقيقة لا تنجَح أبدًا دون بعض الكراهية المُربِكة، قُلت: "أنا فقط.. أردت أن أكون مُتأكِّدًا، قبل أن أحدِث ضجة كبيرة".

أومأت برأسها وهي تقول: "حسنًا، هذا جيد حقًّا، لكنني سأخبرك بما أعتقده، إما أنك فعلت شيئًا سيئًا، أو أنك تعرف بشأنه، وإما أنك تخفيه، أو أنك أردت أن تكتشفه بنفسك".

"بنفسي؟ لكن لماذا سأريد ذلك؟".

هزَّت رأسها لتُظهِر مدى غباء ذلك وهي تقول: "كي تحظى بكُل التقدير، أنت وشقيقتك، أتعتقِد أنني لم أفهَم ذلك؟ أخبرتكَ أنني لست غبية".

قُلت: "أنا لست السفَّاح الذي تبحثين عنه أيتها المُحقِّقة".

تركت نفسي تحت رحمتها، وأعتقِد الآن أن لديها من الرحمة أقل مما لديّ، قبل أن أقول: "لكنني أعتقِد أنه هناك، في واحدة من

وحـدات التخزيـن تلـك".

لعقت شفتيها وهي تسألني: "لماذا تعتقِد ذلك؟".

تـردَّدت، لكنهـا ظلَّـت تُحـدِّق بي بعينيهـا الزاحفتـين اللتـين لا ترمشـان، وبقـدر مـا جعلنـي ذلـك أشـعر بعـدم الراحـة، إلا أنـه كان عـليّ إخبارهـا بجـزءٍ آخـرٍ مـن الحقيقـة، أومـأت نحـو شـاحنة الإخـوة ألونـزو المصفوفة داخـل السـياج وأنـا أقـول: "هذه شـاحنته".

في النهايـة رمشـت، تركتنـي عيناهـا للحظـةٍ، بـدت وكأنهـا تهيـم بعيـدًا في مــكانٍ عميــقٍ، شـعرها؟ مكياجهـا؟ مسـيرتها المهنيـة؟ لا أسـتطيع المعرفـة.

لكــن كان هنــاك الكثــير مــن الأسـئلة المُحرِجـة التــي قــد يطرحهـا مُحقِّـق بـارِع هـا هنـا: كيـف عَرِفـت أنهـا شـاحنته؟ كيـف وجدتهـا هنا؟ لمـاذا كُنــت مُتأكِّـدًا للغايـة مـن أنـه لم يـترك الشـاحنة هنـا ويذهـب لمـكانٍ آخـر؟ لكـن في النهايـة.. لم تكُـن لاجويرتـا مُحقِّقـة بارعـة؛ أومـأت برأسـها ببسـاطةٍ، لعقـت شـفتيها مـرة أخـرى، وقالـت: "كيـف سـنجده هنـاك وسـط كُل هـذه الوحـدات؟".

مـن الواضِـح أننـي قلَّلـت مـن شـأنها حقًّـا، لقـد تحوَّلـت مـن (أنـت) إلى (نحـن) في لحظـة، سـألتها: "ألا ترغبـين في طلـب الدعـم؟ هـذا رجـل خطـير للغايـة".

أعـترِف أننـي كُنـت أخدعهـا فقـط، لكنهـا أخـذت الأمـر عـلى محمـل الجـد بشـدةٍ، قالـت: "إن لم أمسِـك هـذا الرجـل بنفـسي، ففـي خـلال أسـبوعين سـأكون ضابطـة مـرور، لـديّ سـلاحي، لـن يهـرب أي شـخص منـي، سـأطلب الدعـم حـين أمسِـك بـه".

نظـرت لي دون أن ترمــش قبــل أن تقــول: "وإن لم يكُــن هنــاك،

سأسلّمك لهم".

بدا الأمر وكأنها فكرة جيدة، سألتها: "هل بإمكانكِ أن تجعلينا نعبر البوابة؟".

ضحكت وهي تقول: "بالطبع بإمكاني، لديّ شارتي، والتي ستجعلنا نعبر إلى أي مكان، لكن ماذا بعد؟".

كان هذا هو الجزء الصعب، إذا ما نجحَت في القيام بالأمر، فسأكون حرًّا في الذهاب للمنزل، قُلت: "سننفصِل ونبحث عنه حتى نجده".

نظرت إليّ، ومرة أخرى.. رأيت في وجهها هذا الشيء الذي رأيته لأول مرة عندما هبطت من سيارتها، نظرة الحيوان المُفترِس الذي يزِن ضحيته، يتساءل متى وأين سيضرِب، وعدد المخالِب التي سيستخدمها، كان الأمر رهيبًا، وجدت نفسي أعجَب بالمرأة، قالت في النهاية وهي تُشير برأسها نحو سيارتها: "حسنًا، اركَب".

ركِبت، قادت سيارتها عائدةً إلى الطريق، ومنه نحو البوابة، حتى في هذه الساعة كان هناك القليل من الزحام المروري، بدا أن مُعظمهم من أوهايو ويبحثون عن سفينتهم السياحية، لكن عددًا قليلًا منهم انتهى به الأمر أمام البوابة، حيث أرسَلهم الحُرّاس مرة أخرى إلى الطريق الذي أتوا منه، قطعت المُحقِّقة لاجويرتا الطريق أمامهم جميعًا، دفعت سيارتها الشيفروليه الضخمة نحو مُقدِّمة الصف، لم تكُن مهارتهم في القيادة في الغرب الأوسط تُضاهي مهارة امرأة كوبية في ميامي تتمتَّع بتأمينٍ صحي جيد وتقود سيارة لا تهتم لأمرها، كان هناك دوي من الأبواق من حولها وبعض الصرخات المكتومة، لكننا كُنا بالفعل أمام كُشك الحراسة.

انحنـى الحـارس، وكان رجـلًا نحيـلًا أسـود البـشرة ورياضيًّـا، قـال: "أيتهـا السـيدة، لا يُمكِـن لـكِ...".

رفعـت شـارتها وهـي تقـول بصرامـة سـلطوية لدرجـة أننـي كُنـت سـأقفِز مـن السـيارة لأفتـح البوابـة بنفـسي: "شُرطـة، افتَـح البوابـة".

لكـن الحـارس تجمَّـد، أخـذ نفسًـا مـن فمـه ونظـر إليهـا بعصبيـةٍ مـن الكُشـك قبـل أن يقـول: "مـاذا تُريديـن مـن...".

هزَّت شارتها وهي تقول: "افتح البوابة أيها العامِل".

في النهاية أفاق من تجمُّده وهو يقول: "دعيني أرى الشارة".

رفعتهـا لاجويرتـا بهـدوء، تقـدَّم خطـوةً إضافيـةً لينظُـر إليهـا، عَبَـسَ وهـو لا يجـد شـيئًا ليعـترِض عليـه، قـال: "هـل يُمكِنـكِ أن تخبرينـي بمـا تريديـن مـن الداخِـل؟".

"يُمكننـي أن أخـبرَك أنـك إن لم تفتَـح البوابـة خـلال ثانيتـين، فسـأقوم بوضعِـك في صنـدوق سـيارتي، وسـآخذك إلى مُنتصـف المدينـة إلى زنزانـة مليئـة براكبـي الدراجـات المثليـين، وبعـد ذلـك سـأنسى أيـن وضعتـك".

وقف الحارِس وهو يقول: "أحاول المُساعدة فحسب".

قبل أن يصيح من فوق كتفه قائلًا: "تافيو.. افتح البوابة!".

فُتِحـت البوابـة، وحرَّكـت لاجويرتـا سـيارتها للداخِـل وهـي تقـول: "ابـن العاهـرة لديـه شيء مـا يحـدُث، ولا يريـدني أن أعلَـم بشـأنه".

كانـت هنـاك إثـارة في صوتهـا ممزوجـة بالحـماس المُتزايـد، نظـرت لي وهـي تسـأل: "لكننـي لا أهتـم بالتهريـب هـذه الليلـة، أين سـنذهب؟".

قُلـت: "لا أعـرِف، أعتقِـد أننـا يجـب أن نبـدأ مـن حيـث تَـرك شـاحنته".

أومـأت برأسـها، وأسرعـت تقطَـع الطريـق بـين وحـدات التخزيـن، قالـت: "إذا مـا كان لديـه جُثـة ليحملهـا، فمـن المُحتمَـل أنـه أوقَـف سـيارته بالقُـرب مـن المـكان الـذي سـيتجه إليـه".

هـدأت مـن السُرعـة عندمـا اقتربنـا مـن السياج، تحرّكـت السـيارة بهـدوء عـلى بُعـد خمسـين قدمًـا مـن الشـاحنة قبـل أن تتوقّـف، قالـت وهـي تـضرِب ناقـل الحركـة بيدهـا وتخـرُج مـن السـيارة: "دعنـي ألقـي نظـرة عـلى السـياج".

تبعتهـا، خَطَـت لاجويرتـا في شيءٍ لم تُحبّـه، رفعـت قدمهـا وهـي تنظـر إلى حذائهـا، قالـت: "اللعنـة عـلى ذلـك".

تحرّكـت لأقـف بجوارهـا، شـعرت بضربـات قلبـي تـزداد وتتسـارَع، تحرّكـت نحـو الشـاحنة، تجوّلـت حولهـا، جرّبـت فتـح الأبـواب، كانـت مُغلقـة، وعـلى الرغـم مـن وجـود نافذتـين صغيرتـين خلفيتـين، فإنـه تـم طلاؤهـما مـن الداخِـل، وقفـت عـلى المَصـد وحاولـت إلقـاء نظـرة عـلى أي حـال، لم تكـن هنـاك ثغـرات في الطـلاء، لم يكُـن هنـاك شيء يُمكِـن رؤيتـه عـلى هـذا الجانِـب، لكننـي جلسـت القرفصـاء عـلى أي حـال ونظـرت إلى الأرض، شـعرت بلاجويرتـا تنزلِـق خلفـي بـدلًا مـن سـماعها، سـألتني بينـما أقِـف: "مـاذا وجـدت؟".

قُلت: "لا شيء، النوافِذ الخلفية مطلية من الداخِل".

"هل تستطيع أن ترى المُقدِّمة؟".

تحرّكـت نحـو مُقدِّمـة الشـاحنة، كانـت خاليـة مـن أي أدلـة بدورهـا، داخـل الزجـاج الأمامـي، تـم فتـح زوج مـن واقيـات الشـمس التـي تحظـى بشـعبيةٍ في فلوريـدا عـلى لوحـة القيـادة، لتحجُبـا أي رؤيـة مُحتَمَلـة للكابينـة، تحرّكـت مـن اليمـين إلى اليسـار، لكننـي لم أجـد أي

فجوات في واقيات الشمس، قُلت وأنا أهبط: "لا شيء".

قالت لاجويرتا وهي تنظُر لي بعينين ضيّقتين، وهي تُبرِز طرف لسانها قبل أن تقول: "حسنًا، بأي طريق تُريد الذهاب؟".

هذا الطريق، همس بها شخص ما من أعماق عقلي، من هنا، ألقيت نظرة خاطِفة نحو اليمين، حيث أشار الخيالي الضاحِك قبل أن أنظر إلى لاجويرتا، التي كانت تُحدِّق بي بأعين شرسة تتضوَّر جوعًا دون أن ترمش، قُلت: "سأذهب إلى اليسار، وأدور من حولها، قابلني في مُنتصف الطريق".

قالت لاجويرتا بابتسامةٍ واسعةٍ: "حسنًا، لكنني سأذهب نحو اليسار".

حاولت أن أبدو مُتفاجئًا وغير سعيد، وأفترض أنني تمكَّنت من العثور على تعبير وجه معقول، لأنها راقبتني وهي تومئ، قبل أن تكرِّر قولها وهي تتحرّك نحو الصف الأول من حاويات الشحن المُكدّسة: "حسنًا".

كُنت وحدي الآن مع صديقي الداخلي الخجول، ماذا الآن؟ بعد أن خدعت لاجويرتا لتترك لي الطريق الأيمن، ماذا سأفعل به؟ فبعد كُل شيء.. ليس لديّ أي سبب للاعتقاد بأن هذا طريق أفضل من الأيسر، أو أفضل من الوقوف بجانب السياج للقيام ببعض السحر، لا يوجد سوى صخب داخلي هامِس ليوجِّهني، لكن هل هذا كافٍ حقًّا؟ عندما تكون خاليًا من المشاعِر كما كُنت دائمًا، دائمًا ما تبحث بشكلٍ طبيعي عن تلميحات منطقية لتوجيه مسار أفعالك، وبطبيعة الحال.. تتجاهَل الصراخ اللا عقلاني وغير الموضوعي للأصوات الموسيقية الصاخِبة التي تأتي من قاع عقلك والتي تحاول أن ترسلك لتترنَّح على جانِب الطريق، بغض النظر

عـن مـدى إلحاحهـم في ضـوء القمـر المتمـوِّج، أمـا بالنسـبة للبقيـة.. فتفاصيـل المكان الـذي يجـب أن أذهَـب إليـه الآن.. نظـرت حـولي، عـلى طـول صفـوف الحاويـات الطويلـة غـير المُنتظِمـة، بعيـدًا عـن الجانِـب الـذي تقدَّمـت إليـه لاجويرتـا، كانـت هنـاك عـدة صفـوف مـن قاطـرات الشـاحنات ذات الألـوان الزاهيـة، وأمامـي.. كانـت حاويـات الشـحن مُمتـدَّة إلى اليمـين.

فجـأة.. أصبحـت غـير مُتأكِّـد، لم يُعجبنـي هـذا الشـعور، أغلقـت عينـيّ، وفي اللحظـة التـي فعلـت فيهـا ذلـك، تحـوَّل الهمـس لسـحابةٍ مـن الأصـوات، ودون أن أدري لمـاذا.. وجـدت نفسـي أتحـرك نحـو فـوضى مـن وحـدات التخزيـن القريبـة مـن المياه، لم يكُـن لـديّ أي فكـرة عـن سـبب كـون هـذه الحاويـات مُختلِفـة أو أفضـل أو أن هـذا الاتجـاه كان أفضـل وأكـثر كفـاءةً، تحرَّكـت قدمـاي ببسـاطةٍ وتبعتهـما، بـدا الأمـر وكأنهـما تتبعـان مسـارًا لا يُمكِـن أن تـراه إلا أصابـع الأقـدام فقـط، أو كـما لـو كان هنـاك نمـط مُقنِـع تتغنـى بـه الهمسـات، ترجمتـه قدمـاي وجرَّتنـي نحـوه.

وبينـما كانتـا تتحـرَّكان ازداد الصـوت بداخـلي، هديـر خافِـت صامِـت، يجذبنـي أسرع مـن قدمـيّ، يسـحبني بشـكلٍ أخـرق في الطريـق المُتعـرِّج بـين الصناديـق بدفعـاتٍ قويـةٍ غـير مرئيـة، ومـع ذلـك.. في الوقـت نفسـه بـدأ صـوت جديـد، صغـير ومُعقـول، يدفعنـي إلى الخلـف، يُخـبرني أننـي لا أريـد أن أكـون هنـا مـن بـين كُل الأماكِـن الأخـرى، يـصرُخ في وجهـي أن أهـرَب، أن أذهـب للمنـزل، أن أبتعِـد عـن هـذا المكان، لكنـه لم يكُـن منطقيًّـا أكـثر مـن باقـي الأصـوات، كُنـت أجـذَب للأمـام وأدفَـع للخلـف في الوقـت ذاتـه بقـوةٍ للدرجـة التـي لم تجعـل قدمـيّ تعمـلان بشـكلٍ صحيـحٍ، تعـثَّرت وسـقطت عـلى وجهـي عـلى أرضٍ صخريـةٍ صلبـةٍ،

نهضت على ركبتيّ، بفمٍ جافٍ وقلب ينبُض بقوةٍ، توقّفت لأفحص بإصبعي مزقًا في قميصي الداكرون الجميل، دفعت طرف إصبعي عبر الفتحة ولوحت به لنفسي، مرحبًا ديكستر، إلى أين تذهَب؟ مرحبًا يا سيد إصبع، لا أعرف، لكنني أكاد أصل، أسمع أصدقائي ينادونني.

وهكذا وقفت فجأة على قدمين غير مُستقرتين وأنصت السمع، سمعته بوضوح الآن، حتى وعيناي مفتوحتان، وشعرت به بقوةٍ لدرجة أنني لم أستطِع حتى المشي، وقفت لدقيقةٍ، انحنيت على واحدة من الحاويات، فكرة واقعية للغاية، كما لو أنني أحتاج لواحدةٍ، وُلِد شيء بغير اسمٍ في هذا المكان، شيء عاش في أحلك حفرة مُخبّأة في الشيء الذي كان ديكستر، وللمرة الأولى التي أستطيع تذكُّرها.. أجد نفسي خائفًا، لا أريد أن أكون هنا حيث تقبَع أشياء رهيبة، ومع ذلك.. كان عليّ أن أكون هنا لأجد ديبرا، كنت أتمزّق إلى نصفين بسبب لعبة شد الحبل غير المرئية، شعرت وكأنني مُلصَق لسيجموند فرويد الطفل، أردت العودة إلى المنزل والذهاب للفراش.

لكن القمر حلّق في السماء المُظلِمة من فوقي، وكان الماء يعوي على طول امتداده، ونسيم الليل المُعتدِل يصرُخ فوقي مثل قطيع من المشعوذين، يجبر قدميّ على التقدُّم للأمام، ويُضخِّم صوت الغناء بداخلي مثل جوقة ميكانيكية عملاقة، تحُثّني على فعل ذلك، تُذكّرني بكيفية تحريك قدميّ، تدفعني على طول صفوف الحاويات، ازدادت دقّات قلبي وتسارعت، وارتفع صوت لهاثي القصير بصوتٍ عالٍ، وللمرة الأولى التي أستطيع تذكُّرها.. شعرت بالضعف، الدوار، والغباء.. مثل مخلوق بشري، مثل إنسان صغير جدًّا وعاجِز، ترنّحت على طول الطريق الذي بدا مألوفًا على أقدام

مُرتعِـدة حتـى لم أعُـد أسـتطيع الترنُّـح أكـثر مـن ذلـك، ومـرة أخـرى.. اسـتندت بذراعـي وأنـا أنحنـي نحـو حاويـة، حاويـة مُثبَّـت بهـا مُكيِّـف هـواء، يعـوي بصـوتٍ عـالٍ يختلِـط بـصراخ الليـل، تـدق الأصـوات في رأسي بـدويٍ صاخـبٍ لدرجـة أنني بالـكاد كُنـت قـادرًا عـلى الرؤيـة، وبينـما كُنـت أسـتنِد إلى الحاويـة.. فُتِـح بابهـا.

تمـت إضـاءة الصنـدوق مـن الداخـل بـزوجٍ مـن مصابيـح الطـوارئ التـي تعمـل بالبطاريـة، في مواجهـة الجـدار الخلفـي كانـت هنـاك طاولـة عمليـات مؤقَّتـة مصنوعـة مـن صناديـق التعبئـة.

وتقبع دون حراك فوق الطاولة.. شقيقتي العزيزة ديبرا.



الفصل السادس والعشرون

لبضع ثوانٍ.. لم يبد التنفُّس أمرًا ضروريًا، نظرت فحسب، شرائط طويلة وملساء من الشريط اللاصق ملفوفة على ذراعي وساقي أختي.

كانت ترتدي بنطالًا ذهبيًا لامعًا وبلوزة حريرية ضيِّقة مربوطة فوق سرَّتها، شعرها مشدود للخلف، عيناها مُتسعتان بشكلٍ غير طبيعي، تتنفَّس من أنفها بسُرعة، لأن فمها كان مُغلقًا بشريطٍ لاصِقٍ يمُر فوق شفتيها نزولًا إلى الطاولة للحفاظ على رأسها ثابتًا.

حاولت التفكير في شيءٍ ما لأقوله، لكنني أدركت أن فمي كان جافًا للغاية لأتمكَّن من الحديث، فاكتفيت بالنظر، بادلتني ديبرا النظر، كان هناك الكثير من الأشياء في عينيها، لكن الخوف كان أوضحها، وهو الأمر الذي جعلني أتجمَّد هناك في المدخَل، لم أر هذه النظرة عليها من قبل، ولم أكُن مُتأكِّدًا ماذا من المُفترَض أن أظن بشأنها، تقدَّمت نصف خطوة نحو ديبرا، جفلت رغم الشريط اللاصِق، خوفًا؟ بالطبع.. لكن خوفًا مني؟ أنا هنا كي أنقِذها، على الأرجَح، لماذا تخاف مني؟ إلا إذا..

هل فعلت ذلك؟

ماذا لو وَصَلت ديبرا إلى شقتي خلال قيلولتي الصغيرة هذا المساء، كما كان مُقرَّرًا، ووجدت الراكِب المُظلِم هو الذي يتولى قيادة ديكستر؟ وبالتالي لن أعرِف أنني أتيت بها إلى هنا وقُمت بربطها على الطاولة بشكلٍ مُثيرٍ للإعجاب دون أن أدرِك ذلك أو

أعيـه، وهـو الأمـر الـذي لا يبـدو منطقيًـا بطبيعـة الحـال، قبـل أن أسرع عائـدًا إلى منـزلي لأتـرك دميـة بـاربي لنفـسي، ثـم أعـود للطابِـق العلـوي وأنـام عـلى الفـراش، لأسـتيقِظ كنفـسي مـرة أخـرى، يبـدو الأمـر كـما لـو أننـي أركـض في سـباق مـن مراحـل القتـل؟ مُسـتحيل: لكـن..

كيف عرفت أنه يجب عليّ القدوم إلى هنا؟

هـززت رأسي؛ مـن المُسـتحيل أن أقـوم باختيـار هـذا الصنـدوق البـارِد مـن بـين جميـع الأماكِـن في ميامـي، إلا إذا كُنـت أعـرِف مكانـه بالفعـل، وهـو مـا فعلـت، الطريقـة الوحيـدة التـي مـن المُمكِـن أن يبـدو بهـا هـذا مُمكِنًـا، هـي إذا مـا كُنـت هنـا مـن قبـل، وإن لم يكُـن الليلـة مـع ديـب، فأيـن ومـع مـن؟

سـمعت صوتًـا يقـول: "كُنـت مُتأكّـدًا تقريبًـا أن هـذا هـو المـكان الصحيـح".

كان شـبيهًا بصـوتي لدرجـة أننـي اعتقـدت للحظـةٍ أننـي مـن قـال هـذا، وتسـاءلت عـما أعنيـه بذلـك.

انتصَبـت الشـعيرات الموجـودة عـلى مؤخـرة عنقـي وأنـا أخطـو نصـف خطـوة أخـرى نحـو ديـبرا.. وحينئـذ تقـدّم خارجًـا مـن الظـل، وعـلى ضـوء الفوانيـس الخافِـت.. تلاقَـت أعيننـا، وللحظـةٍ دارت الغُرفـة ذهابًـا وإيابًـا ولم أكُـن أعـرِف أيـن أنـا بالضبـط، تحـوّل بـصري بينـي عنـد البـاب وبينـه بجـوار طاولـة العمـل الصغـيرة المؤقّتـة، رأيتنـي أراه، ثـم رأيتـه يـراني، وفي وميـضٍ سـاطِعٍ.. رأيتنـي جالسًـا عـلى الأرض، جالسًـا بثبـاتٍ ودون حركـة، ولم أعـرِف معنـى لهـذه الرؤيـة، وهـو مـا كان مُقلِقًـا للغايـة، قبـل أن أعـود لأكـون أنـا مـرة أخـرى، عـلى الرغـم مـن كـوني غـير مُتأكّـد لمـا يعنيـه ذلـك.

قال بصوتٍ خافتٍ وسعيد مثل صوت السيد روجرز حين كان طفلًا مُضطربًا: "بالكاد مُتأكِّد، لكن الآن.. ها أنت ذا، لذلك يجب أن يكون هذا هو المكان الصحيح، ألا تظن هذا؟".

لا توجد طريقة جيدة لقول الأمر، لكن الحقيقة هي.. أنني حدَّقت به فاغِر الفم، أنا مُتأكِّد تمامًا أن لعابي كان يسيل، حدَّقت فحسب، كان هو، لا شك في الأمر، كان الرجل الموجود في الصور التي وجدناها من خلال كاميرا المُراقبة، الرجل الذي اعتقدنا أنا وديب أنه على الأرجَح.. هو أنا.

من هذه المسافة القريبة.. كان بإمكاني رؤية أنه لم يكن -في الواقِع- أنا، ليس تمامًا، وشعرت بموجة صغيرة من الامتنان لهذا الإدراك، مرحى.. لقد كُنت شخصًا آخر، لم أجن تمامًا بعد، شخصًا مُعاديًا للمُجتمع.. بالطبع، وقاتِلًا غير مُستمِر لحدٍ ما، لا عيب في الأمر، لكنني لست مجنونًا، هناك شخص آخر، ولم يكُن أنا، ثلاثة هتافات مُشجِّعة لعقل ديكستر.

لكنه كان يشبهني كثيراً، ربما كان أطول بمقدار بوصة أو اثنتين، أعرض قليلًا عند الكتفين والصدر كما لو كان يقوم بالكثير من رفع الأثقال، هذا.. بالإضافة إلى شحوب وجهه، جعلني أعتقِد أنه ربما كان في السجن مؤخَّرًا، لكن خلف الشحوب.. كان وجهه مُشابهًا جدًّا لوجهي، نفس الأنف وعظام الوجنتين، نفس نظرة العينين التي توحي بأن الأضواء تعمل، لكن دون أن يكون أحدهم موجوداً بالمنزل، حتى شعره.. كانت به نفس الموجة المُحرِجة في مُنتصفه، لم يكُن يُشبهني حقًّا، لكنه كان قريبًا من ذلك للغاية.

قال: "أجل، إنها صدمة صغيرة للمرة الأولى.. أليس كذلك؟".

قُلت: "قليلًا، من أنت؟ ولماذا يبدو كُل هذا...".

تركت السؤال غير مُكتمل، لأنني لم أعرف كيف يبدو كُل هذا.

ظهر تعبير على وجهه، يُشبِه ديكستر خائب الأمل للغاية وهو يقول: "يا للهول.. كُنت مُتأكِّدًا للغاية من أنك استوعبت الأمر".

هززت رأسي وأنا أقول: "أنا لا أعرف حتى كيف وصلت إلى هنا".

ابتسم بخفوتٍ وهو يقول: "تولى شخص آخر القيادة الليلة؟".

انتصبت الشعيرات الموجودة على مؤخرة عنقي، بينما ضحك هو مرة أخرى، بصوتٍ آلي لم يكُن جديرًا بالذكر، باستثناء أنه يتطابق تمامًا مع الصوت الزاحِف الموجود في الجانِب السفلي من عقلي، قبل أن يقول: "والقمر حتى ليس مُكتملًا.. أليس كذلِك؟".

قُلت: "لكن القمر ليس مُختفيًا كذلك".

بالكاد يتمتَّع بالذكاء، لكنها كانت محاولة من نوعٍ ما، والتي بدت مهمة في ظل هذه الظروف، وأدركت أنني كُنت نصف ثَمِل بإدراك أن في النهاية هناك شخص ما يعرف، لم يكُن يعبث بملاحظات طعنت بالصدفة في منتصف الهدف الخاص بي، كان مُنتصف الهدف الخاص به بدوره، وللمرة الأولى.. كان يُمكنني النظر إلى الهوة العملاقة بين عينيّ وعيني شخص آخر دون أي نوع من القلق، كان مثلي.

أيًا كان ما كُنت عليه، فكان عليه هو الآخر بدوره، قُلت: "لكن بجدية.. من أنت؟".

اتسعت ابتسامة ديكستر القططية على وجهه، لكن نظرًا لأنه كان يشبهني لحدٍ ما، كان بإمكاني رؤية عدم وجود سعادة حقيقية خلفها، قال: "ما الذي تتذكَّره من الذي حَدَث من قبل؟".

وارتدّ صوت صدى السؤال عبر جدران الحاوية، وكاد يُحطِّم

عقـلي.

الفصل السابع والعشرون

سألني هاري: ما الذي تتذكّره من الذي حَدَثَ من قبل؟

لا شيء يا أبي.

باستثناء..

تدفَّقت الصور في عقلي، صور ذهنية.. أحلام؟ ذكريات؟ رؤى واضحة للغاية، أيًّا ما كانت، وكانوا هنا.. في هذه الغُرفة؟ لا، مُستحيل، لا يُمكِن أن يكون هذا الصندوق هنا منذ فترة طويلة، وبالتأكيد لم أكُن فيه من قبل، لكن ضيق المكان، الهواء البارِد الذي يتدفَّق عبر مُكيِّف الهواء الضخم، الضوء الخافِت.. كُل شيء يناديني في سيمفونية الحنين للوطن، بالطبع لم يكُن هذا هو الصندوق نفسه.. لكن الصور كانت واضحة للغاية، مألوفة للغاية، وكانت تقريبًا صحيحة للغاية، باستثناء..

رَمَشت؛ تدفَّقت صورة خلف عينيّ، أغلقتهما.

وعلى الفور عاد إليّ الجزء الداخلي من حاوية أخرى، لا توجد أي صناديق في الحاوية الأخرى، لكن أشياء أخرى كانت هناك، بواسطة.. أمي؟ كان بإمكاني رؤية وجهها هناك، كانت تختبئ بطريقةٍ ما، وتختلِس النظر.. للأشياء، لا يظهر سوى وجهها، وجهها الغامِض غير المُتحرِّك بأي طريقة، في البداية.. أردت أن أضحَك، لأن أمي كانت قد اختبأت بشكلٍ جيدٍ، لم يكُن بإمكاني رؤية بقيتها، وجهها فقط، لا بد وأنها حفرت فجوة في الأرض، لا بد وأنها تختبئ في الحُفرة وتختلِس النظر.. لكن لماذا لم تجبني الآن بعد أن رأيتها؟

لماذا لم تغمِز حتى؟ وحتى حين ناديتها بصوتٍ عالٍ.. لم تجبني، لم تتحرّك، ولم تفعل أي شيء سوى النظر إليّ، وبدون أمي.. كُنت وحيدًا.

لكن لا.. ليس وحيدًا تمامًا، أدرت رأسي وتحرّكت الذكرى معي، لم أكُن وحيدًا، هناك شخص ما معي، كُنت مرتبكًا للغاية في البداية، لأنه كان هنا -لكنه كان شخصًا آخر- لكنه يشبهني تمامًا.. كلانا يشبهني تمامًا..

لكن ماذا كُنا نفعل هنا في هذا الصندوق؟ ولماذا لا تتحرّك أمي؟ يجب أن تُساعدنا، كُنا نجلس في بركة عميقة من.. من.. يجب أن تتحرّك أمي، أن تخرجنا من تلك.. تلك..

همست: "الدماء؟".

قال من خلفي: "لقد تذكّرت، أنا سعيد للغاية".

فتحت عينيّ، كان رأسي ينبُض بشدة، كان بإمكاني رؤية الغُرفة الأخرى تتداخَل مع تلك الغُرفة، وفي الغُرفة الأخرى.. كان ديكستر الصغير يجلس، كان بإمكاني وضع قدمي على ذات البُقعة، وسيكون أنا الآخر جالسًا بجواري، لكنه لم يكُن أنا، كان شخصًا آخر، شخصًا أعرفه كما أعرف نفسي، شخصًا ما يُدعى..

قُلت بتردُّد: "بيني؟".

كان الصوت واحدًا، لكن الاسم لم يبد صحيحًا.

أومأ بسعادة وهو يربت على يدي: "هذا ما اعتدت أن تناديني به، واجهت مشاكِل في نطق برايان في ذلك الوقت، كُنت تقول بيني، هذا جيد.. من اللطيف أن يكون لديك لقب».

صمت قليلًا، ابتسم وجهه لكن عينيه كانتا مُثبّتتين على وجهي

وهـو يقـول: "يـا أخـي الصغـير".

جلست، وجلس بجواري.

كُل ما استطعت قوله كان: "ماذا...".

كـرَّر قولـه: "أخـي، توأمـي الأيرلنـدي، وُلِـدت بعـدي بعـامٍ واحـدٍ، كانـت والـدتي مُهمِلـة لحـدٍ مـا».

التـوى وجهـه في ابتسـامة بشـعة، كان سـعيدًا للغايـة وهـو يُضيـف: "بأكـثر مـن طريقـة".

حاولت البلع، لكن الأمر لم يفلَح، بينما تابع -برايان- شقيقي.

قـال: "أنـا أخمِّـن بعـض تلـك الأمـور فقـط، لكـن كان لـديّ القليـل مـن الوقـت، وعندمـا تـمّ تشـجيعي عـلى القيـام بأمـرٍ مُفيـدٍ، فعلتهـا، أصبحـت جيـدًا جـدًّا في العثـور عـلى الأشـياء باسـتخدام جهـاز الكمبيوتـر، وجـدت ملفـات الشُّرطـة القديمـة، أمنـا العزيـزة كانـت تتسـكَّع مـع حفنـة مـن المُشـاغبين، في مجـال الاسـتيراد، مثـلي، بالطبـع كانـت مُنتجاتهـم أكـثر حساسـيةً".

مـدّ يـده نحـو صنـدوق مـن الـورق المقـوى وأخـرج يـدًا مليئـةً بالقُبّعـات المرسـوم عليهـا نمـر راكـض، وهـو يقـول: "سـلعي مصنوعـة في تايـوان، سـلعهم تـأتي مـن كولومبيـا، تخمينـي الأفضـل كان أن أمـي وأصدقاءهـا جرَّبـوا بـدء مـشروع صغـير مُسـتقّل ببعـض المُنتجـات التـي لا تنتمـي إليهـا في الواقِـع بالمعنـى الحـرفي للكلمـة، وكان زملاؤهـا في العمـل غـير راضـين عـن روح اسـتقلاليتها، وقـرَّروا تثبيـط عزيمتهـا".

وضـع القُبّعـات بعنايـةٍ في الصنـدوق، وشـعرت بـه ينظـر إليّ، لكـن لم يكُـن بإمـكاني حتـى أن أديـر رأسي نحـوه، وبعـد لحظـة.. نظـر بعيـدًا.

قال: "وجدونا هنا.. هنا تمامًا".

مـدّ يـده نحـو الأرض، ولمـس نفـس البُقعـة التـي كان يجلـس بهـا الصغير الـذي لم يكُـن أنـا منـذ أمـد بعيـد في الحاويـة الأخـرى، قبـل أن يقـول: "بعـد يومـين ونصـف، عالقـون في الأرض وسـط الدمـاء الجافـة، بعمـق بوصـة واحـدة".

كان صوتـه مُرعبًـا، فظيعًـا، قـال تلـك الكلمـة البغيضة -الدمـاء- بنفس الطريقـة التـي كُنـت سـأقولها بهـا، بـازدراءٍ وبغـضٍ مُطلـقٍ، اسـتكمل حديثـه: "وفقًـا لتقاريـر الشُّرطـة، كان هنـاك العديـد مـن الرجـال هنـا أيضًـا، عـلى الأرجَـح ثلاثـة أو أربعـة، قـد يكـون أحدهـم أو أكـثر والدنـا، جعـل المنشـار الكهربـائي عمليـة التعـرُّف عليهـم صعبـة للغايـة، لكنهـم كانـوا واثقـين تمامًـا مـن وجـود امـرأة واحـدة، أمنـا العجـوز العزيـزة، كُنـت تبلـغ مـن العُمـر ثـلاث سـنوات، أمـا أنـا فأربعـة".

قُلت: "لكن...".

لكـن شـيئًا آخـر لم يخـرُج، قـال برايـان: "صحيـح تمامًـا، كان مـن الصعـب للغايـة إيجـادك، الأمـر صعـب للغايـة مـع سـجلات التبنـي بهـذه الولايـة، لكننـي وجدتـك يـا شـقيقي الصغـير، لقـد فعلـت.. أليـس كذلِـك؟".

ربـت عـلى يـدي مـرة أخـرى، لفتـة غريبـة لم أرهـا مـن قبـل مـع أي شـخص آخـر في حيـاتي، بالطبـع لم أرَ مـن قبـل أخًـا مـن لحـم ودم، ربمـا كانـت ربتـة اليـد شـيئًا يجـب أن أمارسـه مـع أخـي، أو مـع ديـبرا، وأدركـت بـشيءٍ مـن القلـق أننـي قـد نسـيت كُل شيء بشـأن ديـبرا.

نظرت إليها، على بُعد ستة أقدام، مُثبّتة بدقةٍ في مكانها.

قال شقيقي: "إنها بخير، لم أرد البدء بدونك".

قـد يبـدو شـيئًا غريبًـا بالنسـبة لسـؤالي الأول المُتماسِـك، لكننـي

سـألته: "كيـف عَرِفـت أننـي أريـد ذلـك؟".

وهـو الـشيء الـذي جعـل الأمـر يبـدو كـما لـو كُنـت أرغَـب في ذلـك بالفعـل -وبالطبـع لم أكُـن أرغَـب في استكشـاف ديـبرا، بالطبـع لا، ورغـم ذلـك- هـا هـو شـقيقي الأكـبر، يريـد اللعـب، بالتأكيـد هـي فرصـة نـادرة بمـا فيـه الكفايـة، أكـثر مـن رابِـط الوالديـن المُشـتركين، أكـثر بكثـير، حقيقـة أنـه مثـلي، قُلـت: "لا يُمكِنـك أن تعـرف حقًّـا".

بـدوت أكـثر غموضًـا بكثـير مـما اعتقـدت أننـي سـأكون، قـال: "لا أعـرِف، لكننـي اعتقـدت أن هـذه فرصـة جيـدة للغايـة، نفـس الـشيء حـدث لكلينـا".

اتسـعت ابتسـامته وهـو يزفـر في الهـواء قائـلًا: "الحـدث الصـادِم.. هـل أنـت عـلى درايـة بهـذا المُصطلَـح، هـل قُمـت بـأي قـراءة عـن وحـوش مثلنـا؟".

قُلـت: "أجـل، وكذلـك فعـل هـاري -والـدي بالتبنـي- لكنـه لم يقُـل أبـدًا مـا حَـدَث بالضبـط".

لـوَّح برايـان بيـده داخـل الصنـدوق الصغـير وهـو يقـول: "هـذا حَـدَث يـا شـقيقي الصغـير، المنشـار الكهربـائي، أجـزاء الجسـد المُتطايـرة، الـ.. الدماء".

نطقهـا بنفـس التركيـز المُخيـف مـرة أخـرى، قبـل أن يسـتكمِل حديثـه: "يومـان ونصـف مـن الجلـوس في هـذه الأشـياء، إنهـا لمعجـزة أننـا نجونـا عـلى الإطـلاق، أليـس كذلـك؟ معجـزة تـكاد تكـون كافيـة لتجعلـك تُصـدِّق في وجـود الـرب".

لمعـت عينـاه، ولسـببٍ أو لآخـر، ارتعـدت ديـبرا وأصـدرت صوتًـا مكتومًـا، تجاهلهـا وهـو يقـول: "اعتقـدوا أنـك صغـير بمـا يكفـي للتعافي،

لكنني كُنت قد تجاوزت الحد العُمري بقليلٍ، لكن كلينا كان يُعاني من صدمة كلاسيكية، توافرت بنا جميع شروطها، وهذا ما جعلني ما أنا عليه، واعتقدت أنه قد يحدُث نفس الشيء بالنسبة لك".

قُلت: "لقد فعل، نفس الشيء بالضبط".

قال: "أوليس هذا لطيفًا، روابط عائلية".

نظرت إليه، أخي، كلمة غريبة، إذا ما حاولت نطقها بصوتٍ عالٍ، فأنا مُتأكِّد أنني سأتلعثَم، كان الأمر من المُستحيل تمامًا تصديقه، أو من العبث تمامًا محاولة إنكاره، كان يشبهني، نحب نفس الأشياء، حتى أنه كان يتمتَّع بنفس ذوقي الرهيب في المزاح.

هززت رأسي وأنا أقول: "أنا فقط...".

قال: "أجل، يستغرق الأمر دقيقة لتعتاد على فكرة وجود اثنين منا، أليس كذلك؟".

قُلت: "ربما أطول قليلًا، لا أعرِف إذا ما كُنت...".

"يا إلهي.. هل نشعُر بالحساسية؟ بعد كُل ما حَدَث؟ بعد يومين ونصف من الجلوس هنا يا صديقي، صبيان صغيران، يجلسان ليومين ونصف في الدماء".

بمُجرَّد أن قالها، شعرت بالمرض، الدوار، قلبي يؤلمني، ورأسي يدُق.

قُلت: "لا..".

لكنني صمتُّ عندما شعرت بيده على كتفي، قال: "لا يهم، المُهم هو ما يحدُث الآن".

قُلت: "ما.. يحدُث».

أحدث صوت ضجيج صغيرًا، غريبًا، كالقرقرة، كان المقصود منه

بالتأكيد أن يبدو مثل الضحك، لكنه ربما لم يتعلَّم كيفية تزييفه مثلما فعلت، وهو يقول: "أجل، ما يحدُث، الآن، أعتقد أنه يجب عليّ أن أقول شيئًا مثل: حياتي كُلها كانت تؤدي إلى ذلك!".

كرَّر صوت القرقرة وهو يستكمل: "بالطبع لم يستطع أي منا التعامل مع ذلك بشعورٍ حقيقي، فبعد كُل شيء.. لا يُمكننا أن نشعُر بأي شيء، أليس كذلك؟ لقد قضينا حياتنا في التمثيل، شققنا طريقنا في هذا العالم ونحن نقرأ أدوارنا، ونتظاهر أننا ننتمي لعالم مصنوع من أجل البشر، ونحن لم نكُن بشرًا أبدًا، ودائمًا.. للأبد.. نبحث عن وسيلة لنشعُر بشيءٍ ما! للوصول يا شقيقي الصغير، للحظةٍ مثل هذه! حقيقية، أصلية، شعور غير زائف! يخطف الأنفاس.. أليس كذلك؟".

وقد فعل، كان رأسي يدور، لم أجرؤ على إغلاق عينيّ مرة أخرى خوفًا مما قد ينتظرني هناك، والأسوأ من ذلك.. كان أخي بجانبي، يراقبني، يُطالبني بأن أكون على طبيعتي، أن أكون مثله تمامًا، وأن أكون كنفسي، أن أكون شقيقه، أن أكون ما أنا عليه، عليّ أن أفعل ذلك، عليّ أن أفعل.. ماذا؟ تحرّكت عيناي من تلقاء نفسيهما نحو ديبرا.

قال وغضب الراكِب المُظلِم الهادئ يسكُن صوته الآن: "أجل، كُنت أعلَم أنك ستفهم ذلك، هذه المرة.. سنفعلها معًا».

هززت رأسي، لكن ليس بشكلٍ مُقنِع وأنا أقول: "لا أستطيع".

قال: "يجب أن تفعل".

وكان كلانا مُحقًّا، لمس كتفي مرة أخرى، تقريبًا كانت دفعة مُطابقة تمامًا لدفعة هاري التي لم أستطع فهمها أبدًا، ومع ذلك..



بدت قوية تمامًا مثل يد أخي، لأنها رفعتني على قدميّ ودفعتني للأمام؛ خطوة، اثنتين، كانت عينا ديبرا اللتين لا ترمشان مُثبّتتين على وجهي، لكن مع هذا الحضور الآخر من خلفي، لم أستطِع إخبارها أنني لن أفعل ذلك بالتأكيد..

قال: "معًا، مرة أخرى، لننتهي من القديم، ونبدأ في الجديد، إلى الأمام.. إلى الأعلى.. إلى الداخل!".

خطوة أخرى، عينا ديبرا كانتا تصرخان عليّ، لكن..

كان بجانبي الآن، يقف معي، وشيء ما يلتمع في يده، شيئان، قال: "الواحد من أجل الجميع، والجميع من أجل الواحد.. هل سبق أن قرأت الفرسان الثلاثة؟".

قذف سكينًا في الهواء، سارَع بإمساكه بيده اليُسرى، ورفعه نحوي، انعَكَس الضوء الخافِت على النصل الذي أمسكه ليحرقني، لا يُضاهيه سوى البريق الذي التمَع في عيني برايان وهو يقول بينما تلتمِع أسنانه كعينيه تمامًا: "هيا يا ديكستر، يا شقيقي الصغير، خُذ السكين، إنه وقت العرض".

أصدرت ديبرا الملفوفة بإحكامٍ بالشريط اللاصِق صوتًا مكتومًا، نظرت نحوها، كان هناك نفاد صبر محموم في عينيها، وجنون مُتزايد كذلك، بحقك يا ديكستر! هل كُنت أفكّر حقًّا في فعل ذلك بها؟ أطلِق سراحها واتركها تعود للمنزل، حسنًا يا ديكستر؟ ديكستر؟ مرحبًا يا ديكستر؟ هذا أنت، أليس كذلك؟

ولم أكُن أعرِف.

قال برايان: "ديكستر، بالطبع لا أقصِد التأثير على قرارك، لكن منذ أن عَلِمت أن لديّ أخًا مثلي تمامًا، وهذا كُل ما يُمكِنني التفكير

بـه، وأنـت تشـعُر بالـشيء ذاتـه، أسـتطيع أن أرى ذلـك في وجهـك".

قُلـت وأنـا لا أزال لا أسـتطيع إبعـاد عينـيّ عـن وجـه ديـبرا القَلِـق: "أجـل، لكـن هـل يجـب أن تكـون هـي؟".

"ولماذا لا تكون هي؟ ماذا تُمثِّل لك؟".

مـاذا تُمثِّـل لي بالفعـل، كانـت عينـاي مُثبّتتـين عـلى ديـبرا، لم تكُـن شـقيقتي حقًّـا، ليـس في الحقيقـة، لا تربطنـي بهـا أي علاقـة حقيقيـة من أي نـوع، عـلى الإطـلاق، بالطبـع كُنـت مُغرمًـا بهـا للغايـة، لكـن.. لكـن مـاذا؟ لمـاذا تـردَّدت؟ بالطبـع كان الأمـر مُسـتحيلًا، كُنـت أعلـم أنـه أمـر لا يُمكِـن تصـوُّره، حتـى كـما اعتقـدت، ليـس فقـط بسـبب أنهـا ديـبرا، عـلى الرغـم مـن أنهـا كانـت كذلـك بالفعـل، لكـن هـذه الفكـرة الغريبـة التـي خطـرت عـلى عقـلي المسـكين الكئيـب، ولم أتمكَّـن مـن التخلُّـص منهـا: مـاذا كان هـاري سـيقول؟

وقفـت بغـير يقـين، لأنـه مهـما أردت أن أبـدأ، كُنـت أعـرِف مـاذا كان هـاري ليقـول، كان قـد قالهـا بالفعـل، لقـد كانـت مـن حقائـق هـاري غـير القابِلـة للتغيـير: قطِّـع الأشرار يـا ديكسـتر، لا تقُـم بتقطيـع أختـك، لكـن هـاري لم يتوقَّـع شـيئًا مـن هـذا القبيـل.. كيـف لـه أن يفعَـل؟ لم يتخيَّـل أبـدًا حينـما كَتـب قانـون هـاري أنني سـأواجه خيـارًا كهـذا: أن أقِـف إلى جانِـب ديـبرا -والتـي ليسـت أختـي الحقيقيـة- أو أن أنضـم إلى أخـي الحقيقـي بنسـبة ١٠٠٪ في لعبـة كُنـت أرغَـب بشـدةٍ في لعبهـا، ولا يُمكِـن لهـاري أن يتصـوَّر ذلـك عندمـا وضعنـي في طريقـي، لم يعلَـم هـاري قـط أن لـديّ أخ يُمكِنـه أن..

لكـن انتظـر لحظـة، أمسـك بالهاتِـف مـن فضلـك، كان هـاري يعلـم.. كان هـاري هنـاك عندمـا حَـدَث ذلـك.. أليـس كذلـك؟ واحتفَـظ بالأمـر لنفسـه، لم يُخـبرني قـط أن لـديّ أخًـا، كُل تلـك السـنوات الخاويـة المليئـة

بالوحدة التي شعرت فيها أنني كُنت بمفردي.. كان يعلم أنني لست كذلك، كان يعلم ولم يُخبرني، أهم حقيقة عني -أنني لست وحيدًا- وأبقى الأمر بعيدًا عني، بماذا كُنت مدينًا لهاري حقًّا الآن، بعد هذه الخيانة الرائعة؟

وأكثر من ذلك.. ما الذي كُنت مدينًا به لهذه الكُتلة الملتوية من لحوم الحيوانات التي ترتعِد تحتي، هذا المخلوق الذي يتظاهَر بكونه أختي؟ ما الذي يُمكِن أن أدين به لها مُقارنةً برابطتي مع برايان -أخي الحقيقي- والذي يُمثِّل نسخة حيَّة من نفس الحمض النووي الثمين؟

تدحرجت قطرة من العرق على جبين ديبرا وصولًا إلى عينها، رمشت بشكلٍ محمومٍ، لتصنع وجوهًا قبيحة في محاولتها للاستمرار في مُراقبتي وإزالة القطرة من عينها في الوقت ذاته، بدت حقًّا مُثيرة للشفقة إلى حدٍ ما، مربوطة بلا حول ولا قوة وتقاوم مثل حيوان أخرق؛ حيوان بشري أخرق، ليس مثلي على الإطلاق، مثل أخي؛ ليست ماهرة على الإطلاق، ذكية، نظيفة دون فوضى دموية، أو مُقاتِلة بالسكاكين ذات النصل الحاد مثل ديكستر وشقيقه.

قال بصوتٍ سمعت فيه نفاد الصبر، انتقادًا، وبداية خيبة أمل: "حسنًا؟".

أغلقت عينيّ، دارت الغُرفة من حولي، أظلَمت، لم أستطِع الحركة، كانت أمي تراقبني، دون أن ترمش، فتحت عينيّ، وقف شقيقي قريبًا جدًّا من خلفي لدرجة أنني شعرت بأنفاسه على رقبتي، نظرت أختي إليّ، كانت عيناها واسعتين ولا ترمشان مثل عيني أمي، وأسرتني النظرة التي رمقتني بها، مثلما فعلت بي نظرة أمي، أغلقت عينيّ؛ أمي.. فتحت عينيّ.. ديبرا.

أخذت السكين.

كانت هناك ضوضاء خافتة واندفاع من الهواء الدافئ في هواء الصندوق البارد، درت للخلف.

وقفت لاجويرتا على المدخَل، وفي يدها مُسدَّس آلي صغير رديء.

قالت وهي تنظر إلى ديبرا، قبل أن تعود لتنظُر إليّ: "علِمت أنك ستُجرِّب ذلك، يجب أن أطلق النار عليكما".

نظرت للسكين في يدي وهي تستكمِل: "يجب أن يرى الرقيب دوكس هذا، كان مُحقًّا بشأنك".

ووجَّهت المُسدَّس نحوي لنصف ثانية فحسب، لكنها كانت كافية، تحرَّك برايان سريعًا، أسرع مما ظننت أن بإمكانه فعله، ومع ذلك.. أطلقت لاجويرتا طلقة واحدة، وتعثَّر برايان قليلًا وهو يطعن وسط لاجويرتا بالسكين، وللحظةٍ.. وقفا بهذا الشكل، قبل أن ينهار كلاهما على الأرض، دون حراك.

بدأت بركة صغيرة من الدماء في الانتشار على الأرض، اختلطَت بها دماؤهما؛ برايان ولاجويرتا، لم تكُن عميقة، ولم تنتشِر بعيدًا، لكنني تراجعت مُبتعدًا عنها، هذه المادة الرهيبة، وبشيءٍ أقرب ما يكون للفزع، تراجعت خطوتين فقط للخلف، قبل أن أصطدِم بشيءٍ أصدر صوتًا مكتومًا يُطابِق ذعري.

ديبرا، أزلت الشريط اللاصِق عن فمها.

قالت: "بحق المسيح، هذا يؤلِم، أخرجني من هذا الهراء بحق السماء، وتوقَّف عن التصرُّف مثل مجنون لعين".

نظرت إلى ديبرا، ترك الشريط اللاصِق حلقةً من الدماء حول شفتيها، دماء حمراء قانية دفعتني إلى الخلف، خلف عينيّ ونحو

حاوية الماضي مع أمي، قبعت هناك، مثل أمي تمامًا، تمامًا مثل المرة السابِقة مع هواء الحاوية البارِد الذي يجعل الشعيرات الموجودة على مؤخرة عنقي تنتصِب، ويجعل الظلال الداكِنة تتراقَص من حولنا، تمامًا مثل المرة السابِقة التي استلقت فيها وهي مربوطة وتحدِّق بي في انتظار مثل نوعٍ من الـ...

قالت: "اللعنة، بحقك يا ديكس، أفِق".

وهذه المرة كان لديّ سكين، وكانت لا تزال عاجِزة، بإمكاني تغيير كُل شيء الآن، بإمكاني أن...

قالت أمي: "ديكستر؟".

أعني ديبرا، بالطبع هذا ما كُنت أعنيه، ليست أمي التي تركتنا في هذا المكان بهذه الطريقة على الإطلاق، تركتنا في هذا المكان حيث بدأ فيه الأمر، والذي ربما سينتهي فيه، مع شيء يلح عليّ أن أفعله وهو يركَب حصانه الأسود الضخم ويركض به تحت القمر الرائِع، بينما تهمس الآلاف من الأصوات الحميمة: افعلها.. افعلها الآن.. افعلها وسيتغيَّر كُل شيء.. بالطريقة التي ينبغي عليه أن يكون بها.. لتعود مع...

قال شخص ما: "أمي؟".

قالت أمي: "بحقك يا ديكستر".

أعني ديبرا، لكن السكين كان يتحرك، قالت: "ديكستر، بحق السماء، توقَّف عن هذا الهراء، إنها أنا.. ديبي!".

هززت رأسي، بالطبع كانت ديبرا، لكنني لم أستطِع إيقاف السكين، قُلت: "أعلم يا ديب، أنا آسف جدًّا حقًّا".

ارتَفَع السكين، لم يكُن بإمكاني سوى مُشاهدته، لم يُمكنني إيقافه

الآن بأي طريقة، لمسة واحدة صغيرة من هاري ما زالت تجلدني، تُطالبني بأن أنتبه لأبعدها، لكنها صغيرة جدًّا، وضعيفة، والرغبة كانت كبيرة، قوية، أقوى مما كانت عليه من قبل، لأن هذا كان كُل شيء، البداية والنهاية، وكانت قد رفعتني إلى أعلى وأخرجتني من نفسي، وأرسلتني لأمهِّد الطريق بين الولد المُلطَّخ بالدماء وبين الفُرصة الأخيرة لتصحيح الأمر، هذا من شأنه أن يغيِّر كُل شيء، وستعوضني أمي، سيُريها ما فَعَلَت، لأنه كان يجب على أمي أن تنقِذنا، وهذه المرة يجب أن تكون مُختلِفة، حتى ديب.. سيتحتَّم عليها أن ترى ذلك.

"ضع السكين جانبًا يا ديكستر".

كان صوتها أهدأ قليلًا الآن، لكن تلك الأصوات الأخرى كانت أعلى بكثير لدرجة أنني بالكاد استطعت سماعها، حاولت وضع السكين جانبًا، حاولت بالفعل، لكنني نجحت في خفضها لبضع بوصات قليلة فحسب.

قُلت: "أنا آسف يا ديب، أنا فقط لا أستطيع".

حاربت العواء المُتصاعِد من حولي بسبب العاصِفة التي كبرت تدريجيًا على مدار الخمس وعشرين سنة الماضية للتحدُّث، والآن جمعت بيني وبين أخي معًا مثل الرعد في ليلة قمرية مُظلِمة..

"ديكستر!".

قالتها أمي الشريرة، التي أرادت أن تتركنا هنا بمُفردنا في الدماء الباردة الرهيبة، وصوت هسيس أخي الذي تداخَل مع صوتي: "عاهرة!".

ورفعت السكين للأعلى مرة أخرى..

سمعت صوت ضوضاء من الأرضية، لاجويرتا؟ لم يكُن بإمكاني أن أقول، ولا يهم، عليّ أن أنتهي، عليّ أن أفعل ذلك، عليّ أن أسمح لهذا بالحدوث الآن.

قالت ديبي: "ديكستر، أنا شقيقتك، أنت لا تُريد أن تفعل هذا بي، ماذا كان أبي ليقول؟".

وآلمني هذا، سأعترف بذلك، قالت: "ضع السكين جانبًا يا ديكستر".

سمعت صوتًا آخر من خلفي، وغرغرة صغيرة، ارتفع السكين الموجود في يدي.

قالت ديبرا: "ديكستر، انتبه!".

التفت ورأيت المُحقِّقة لاجويرتا تستنِد على ركبة واحدة، تشهَق، تُجاهِد لرفع سلاحها الذي بدا ثقيلًا فجأة، ارتفعت فوهته، ببطء، ببطء.. صوَّبته نحو قدمي، نحو ركبتي..

لكن هل هذا مُهِم؟ لأن هذا كان سيحدُث الآن بغض النظر عن أي شيء، وعلى الرغم من أنني استطعت رؤية إصبع لاجويرتا مشدودًا على الزناد، فالسكين الموجود في يدي لم يبطئ من سُرعته.

نادتني ديب: "ستُطلق عليك النار يا ديكس!".

بدت محمومة إلى حدٍّ ما الآن، بينما كان المُسدَّس مصوَّبًا إلى سرتي، كان وجه لاجويرتا يتشنَّج في عبوسٍ من التركيز والجُهد الهائلين، كانت ستطلِق النار عليّ حقًّا، استدرت نصف استدارة نحو لاجويرتا، لكن سكيني كان لا يزال يشُق طريقه للأسفل..

قالت أمي/ ديبرا الموجودة على الطاولة: "ديكستر!".

لكن الراكِب المُظلِم ناداني بصوتٍ أعلى وهو يتقدَّم، أمسك

بيـدي، وخَفَـض السـكين للأسـفل..

"ديكس!".

همـس هـاري مـن الخلـف بصـوت شـبحي بخُـف الريشـة: "أنـت ولـد جيـد يـا ديكـس".

كان صوتـه كافيًـا لخفـض السـكين قليـلًا مـرة أخـرى، همسـت: "لا أسـتطيع المُسـاعدة".

كان هنـاك الكثـير يتصاعَـد عـلى مقبـض النصـل المُرتعِـش، قـال بحـدةٍ وعينـاه الزرقـاوان القاسـيتان اللتـان لا نهايـة لهـما تُراقبانـي مـن خـلال عينـي ديبرا: "اختـر مـاذا.. أو مـن.. سـتقتُل".

كانـت المُراقبـة كافيـة لخفـض السـكين نصـف بوصـة كاملـة إضافيـة، قـال هـاري بهـدوءٍ فـوق الصخـب المُتصاعِـد مـن التدافُـع بالداخِـل: "هنـاك الكثـير مـن النـاس الذيـن يسـتحقون ذلـك".

تجمَّـد طـرف السـكين في مكانـه، لم يسـتطِع الراكِـب المُظلِـم خفضـه، لم يسـتطِع هـاري وضعـه جانبًـا، وهـا نحـن ذا.

سـمعت صوتًـا صدئًـا مـن خلفـي، رطمـة ثقيلـة، ثـم أنينًـا مـلأ الفـراغ لدرجـة أنـه زَحَـف عـلى كتفـي مثـل وشـاح حريـري عـلى أقـدام عنكبـوت، التفـت.

اسـتلقت لاجويرتـا أرضًـا وامتـدَّت يدهـا المُمسِـكة بالمُسـدَّس بعيـدًا، مُثبَّتـة في الأرض بسـكين برايـان، شـفتها السُـفلي أسـيرة بـين أسـنانها، وعيناهـا تنبضـان بـالألم، جلـس برايـان بجوارهـا، يراقـب الخـوف الـذي يتدفَّـق عـلى وجههـا، كان يتنفَّـس بصعوبـة وهـو يبتسِـم ابتسـامة قاتمة.

قال: "هل ستتطهَّر يا أخي؟".

قُلت: "لا أستطيع».

ترنَّح أخي على قدميه وهو يقف أمامي، يترنَّح قليلًا من جانبٍ إلى آخر، قال: "لا تستطيع؟ لا أظن أنني أعرِف تلك الكلمة".

نزع السكين من بين أصابعي، لم أستطِع منعه ولم أستطِع مُساعدته، كانت عيناه على ديبرا الآن، لكن صوته كان يجلد جسدي ويُبدِّد أثر أصابِع هاري الشبحية عن كتفي، وهو يقول: "يجب أن نفعل يا شقيقي الصغير، يجب أن نفعل حقًّا، لا توجد طريقة أخرى".

شَهَق وانثنى مرتين للحظةٍ، اعتدل، ورفع السكين ببطءٍ، سألني: "هل سيتحتَّم عليّ أن أذكِّرك بأهمية العائلة؟".

قُلت: "لا".

ومن حولي بدأت كلتا عائلتي، الأحياء منهم والأموات، تحتشد من حولي تطالب إما أن أفعَل أو لا أفعَل، ومع همسة أخيرة من عيني هاري الزرقاوين إلى ذاكرتي، بدأ رأسي يهتز من تلقاء نفسه وأنا أقول مرة أخرى: "لا".

وهذه المرة كُنت أعنيها: "لا، لا أستطيع، ليس ديبرا".

نظر إليّ أخي وهو يقول: "سيئ للغاية، أنا مُحبَط للغاية".

وهو يهوي بالسكين.

الخاتمة

أعلَم أنه يكاد أن يكون ضعفًا بشريًا، وقد لا يكون الأمر أكثر من عاطفة عادية، لكني دائمًا ما كُنت أحِب الجنازات، لسببٍ واحدٍ.. أنها نظيفة وأنيقة للغاية، يتم تخصيصها بالكامِل للاحتفالات الدقيقة، وكانت هذه حقًا جنازة جيدةً جدًا، كانت تضم صفوفًا من رجال ونساء الشرطة ذوي الأزياء الرسمية زرقاء اللون، يبدون مهيبين وأنيقين و.. حسنًا احتفاليين، كانت هناك طقوس التحية بالبنادِق، طي العلم بأناقةٍ، وكل تلك الزركَشة.. عرض رائِع ويليق بالمتوفي، كانت بعد كُل شيء واحدة منّا، امرأة خدمت مع قلة من الرجال الفخورين.. أم أن هذا خاص بالمارينز؟ لا يهم، لقد كانت شرطية في ميامي، ويعرف رجال شرطة ميامي كيف يقيمون جنازة لواحد منهم، كانوا قد تدرَّبوا على هذا كثيرًا.

تنهَّدت بصوتٍ خافتٍ وأنا أقول: "أوه يا ديبرا".

كُنت أعلم بالطبع أنها لا تستطيع سماعي، لكن بدا هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله، وأردت أن أقوم بذلك بالشكل الصحيح.

لكم تمنَيت أن أستطيع ذرف دمعة أو اثنتين، كُنت أنا وهي قريبين من بعضنا البعض للغاية، كان موتها فوضويًا وغير سار، طريقة لا يتمنى أي شرطي أن يموت بها، مطعونة حتى الموت من قِبَل قاتل مهووس، حضرت قوات الإنقاذ بعد فوات الأوان؛ كان الأمر قد انتهى بوقت طويل قبل أن يتمكَّن أي شخص من الوصول إليها،

ورغـم ذلـك.. كمثـال عـلى شـجاعتها الذاتيـة، فقـد سـاعدت في إظهـار كيـف يجـب أن يعيـش ويمـوت رجـل الشرطـة، أنـا أقتبِـس ذلـك بالطبع، لكـن هـذا هـو جوهَـر الأمـر، وهـو أمـر جيـد للغايـة حقًّـا، يتحـرّك إذا مـا كان لـدى الشـخص أي شيء يُمكِـن نقلـه، وهـو مـا لا أعرفـه، لكننـي بالطبـع كُنـت أعرفـه حـين أسـمعه، وكان هـذا هـو الـشيء الحقيقـي، تورّطـت بـين شـجاعةِ الضُّبّـاط الصامتـةِ في بدلاتهـم النظيفـة الزرقـاء وبـين عويـل المدنيـين، لم أسـتطِع منـع نفـسي، تنهّـدت بشـدةٍ وأنـا أقـول: "أوه يـا ديـبرا".

تنهّـدت، بصـوتٍ أعـلى قليـلًا هـذه المـرة، كـدت أشـعر بذلـك وأنـا أقـول: "يـا ديـبرا العزيـزة الغاليـة".

همست: "توقّف عن ذلك أيها الأحمق".

قبـل أن تصدمنـي بكوعهـا بقـوةٍ، بـدت جميلـة في زيهـا الجديـد، أخـيرًا أصبحـت رقيبـة، وهـو أقـل مـا يُمكِـن أن يفعلـوه لهـا بعـد عملهـا الشـاق في التعـرُّف عـلى سـفّاح تاميامـي والاقـتراب مـن القبـض عليـه، ومـع صـدور كُل تلـك المنشـورات الرسـمية الإلكترونيـة، لا شـك أنهـم سـيجدون شـقيقي المسـكين آجـلًا أم عاجـلًا، هـذا في حـال لم يجدهـم هـو أولًا بالطبـع، منـذ أن تـمّ تذكـيري بالقـوة بـأن العائلـة مُهمّـة، وأنـا أتمنـى أن يظـل حـرًّا، وسـتتقبّل ديـبرا الأمـر بعـد أن تقبّلـت ترقيتهـا، أرادت حقًّـا أن تُسـامحني، وكانـت أكـثر مـن نصـف مُقتنِعـة بالفعـل بحكمـة هـاري، نحـن أيضًـا عائلـة، وهـذا ظَهَـر في النهايـة.. أليـس كذلـك؟ لم تكُـن هـذه خطـوة كبـيرة في تقبُّـل حقيقتـي بعـد كُل شيء.. أليـس كذلـك؟ سـتكون الأمـور كـما هـي عليـه، وفي الحقيقـة.. مـا كانـت عليـه، سـتظل دائمًـا عليـه.

تنهّدت مرة أخرى، قالت هامسةً: "توقّف!".

أومأت برأسها نحو الطرف البعيد من صف رجال شُرطة ميامي القُساة، اختلست نظرة خاطِفة إلى حيث أشارت، كان الرقيب دوكس يحدِّق بي، لم يرفَع عينيه عني، ولا مرة واحدة طوال الوقت، ولا حتى عندما كُنت ألقي حفنة من التُراب فوق تابوت المُحقِّقة لاجويرتا، كان واثِقًا جدًّا من أن الأشياء ليست كما تبدو عليه، كُنت أعلَم على وجه اليقين أنه سيأتِي من أجلي الآن، سيتعقَّبني مثل كلب الصيد الذي كان عليه، ليتتبَّع خطواتي ويشم آثاري في محاولة للإيقاع بي، ليجعلني أدفع ثمن كُل ما قُمت به، وما سأفعله مرة أخرى بطبيعة الحال.

ضغطت على يد أختي بيدٍ، وباليد الأخرى لمست الشريحة الزجاجية الباردة الموجودة في جيبي، قطرة واحدة من الدماء الجافة، والتي لم تذهَب للقبر مع لاجويرتا، لكنها ستعيش للأبد في الرف الخاص بي، جعلني الأمر أشعر بالراحة، لم أكُن أمانِع ما يفعله الرقيب دوكس، أو أيًّا كان ما يعتقده أو يفعله، كيف يُمكِنني أن أمانِع؟ ليس بإمكانه السيطرة على من يكون أو ماذا يفعل أكثر من أي شخص آخر، سيأتِي من أجلي، حقًّا، ماذا يُمكِنه أن يفعل أكثر من ذلك؟

ماذا يُمكِن لأي منا أن يفعل؟ جميعنا عاجزون تمامًا، ساقطون في قبضة أصواتنا الصغيرة، ماذا يُمكِننا أن نفعل حقًّا؟

لكم تمنيت حقًّا لو تمكَّنت من ذرف دمعة، كان كُل شيء جميلًا للغاية، جميلًا مثل تمام اكتمال القمر القادم، عندما سأستعدي الرقيب دوكس، وستستمر الأمور كما هي عليه، وكما كانت دائمًا، تحت ذلك القمر الجميل الساطع.

القمر الرائع، الكامل، الموسيقي، المحمر.



عن الكاتِب

جيف ليندسي يعيش في جنوب فلوريدا مع زوجته وبناته الثلاث، وهو الآن بصدد الانتهاء من رواية ثانية خاصة بديكستر.




KayanPublishing

الحالم الغامض

دكستر

قايل دكستر مورجان، ذئب مُهذَّب في ثياب حمل، إنه وسيم وجذاب، لكن شيئًا ما ف ماضيه جعله يلتزم بمجموعةٍ مُختلِفةٍ من القواعِد، فهو قاتل مُتسلسل تجعله قاعدته الذهبية الوحيدة محبوبًا للغاية: يقتل الأشرار فقط، وعمله كخبير في بُقع الدم بقسم شرطة ميامي يضعه في الموقع المثالي للتعرُّف على ضحاياه، ولكن عندما تبدأ سلسلة من جرائم القتل الوحشية والتي تحمل تشابهًا صارخًا مع أسلوبه في الظهور، يجد دكستر نفسه حائرًا بين الشعور بالإطراء والخوف.. منه أو من أي شرير آخر.

«كوميديا سوداء بلمسةٍ إبداعيةٍ»
(The Miami Herald)

«ربما يكون القاتل المُتسلسِل الأول الذي يحصد حبنا بلا خجَل»
(Entertainment Weekly)

«مُظلِمة ومُخادِعة.. جريئة وكوميدية بشكلٍ غير متوقعٍ»
(USA Today)

«يُمكِنك الاستغناء عن تكييف الهواء.. بفضل قشعريرة كتلك»
(Time)

جيف ليندسي





9 789778 201086

